

الحمد لله الذي قرأ القرآن الكريم

وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ



تأليف
صاحب السمو الملكي الأمير
غازي بن محمد بن طلال الهاشمي

طبعة رابعة مَزِيدَة وَمُنَقَّحَة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحبُّ في القرآن الكريم

تأليف

أ. د. د. صاحب السمو الملكي الأمير غازي بن محمد بن طلال الهاشمي

المملكة الأردنية الهاشمية

١٤٣١هـ، ٢٠١٠م

(جميع الحقوق محفوظة للمؤلف)

المملكة الأردنية الهاشمية

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

٢٠٠٩/١١/٤٤٨٨

غازي بن محمد بن طلال (الأمير)

الحب في القرآن الكريم / غازي بن محمد بن طلال..

عمان: المؤلف، ٢٠٠٩.

(٤٥٤ ص).

ر.أ.: ٢٠٠٩/١١/٤٤٨٨.

الواصفات: / إعجاز القرآن / القرآن / العلاقات بين الأفراد /

أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي

دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة أخرى حكومية

ISBN: 978-9957-8533-7-2

الطبعة الرابعة

(مَزِيدَةٌ وَمُنْقَحَةٌ)

١٤٣١هـ / ٢٠١٠م

عدد النسخ:

الطبعة الأولى: ٣٠٠٠ نسخة (غلاف عادي) (١٤٣١هـ / ٢٠١٠م)

الطبعة الثانية (مزيدة): ١٢٠ نسخة (غلاف مجلد) (١٤٣١هـ / ٢٠١٠م)

الطبعة الثالثة (مزيدة ومنقحة): ٨٨٠ نسخة (غلاف مجلد) (١٤٣١هـ / ٢٠١٠م)

الطبعة الرابعة (مزيدة ومنقحة): ١٠٠٠ نسخة (غلاف مجلد) (١٤٣١هـ / ٢٠١٠م)



See: www.LoveintheQuran.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾
 الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾
 الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾
 مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾
 إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾
 اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾
 صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾

(آمين)

... وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ...

(البقرة، ٢: ١٦٥)

المؤلف في سطور:



ولد صاحب السمو الملكي الأمير غازي بن محمد بن طلال في عمان في ١٥/١٠/١٩٦٦م، وهو ابن أخ المرحوم بإذن الله تعالى الملك الحسين بن طلال طيب الله ثراه. وقد حصل على درجة البكالوريوس من جامعة برنستون في أمريكا عام ١٩٨٨م بمرتبة أعلى الشرف، ثم حصل على درجة الدكتوراه من جامعة كمبردج في إنجلترا سنة ١٩٩٣م.

وقد شغل سموه عدة مناصب منها: السكرتير الثقافي لجلالة الملك الحسين بن طلال طيب الله ثراه؛ والمستشار لشؤون العشائر لجلالة الملك الحسين بن طلال طيب الله ثراه؛ والمبعوث الشخصي والمستشار الخاص لجلالة الملك عبدالله الثاني ابن الحسين المعظم. وأسس الأمير غازي جامعة البلقاء التطبيقية سنة ١٩٩٦م؛ وكذلك أسس جامعة العلوم الإسلامية العالمية سنة ٢٠٠٧م؛ وأنشأ سموه مشروع التفسير الكبير (www.Altafsir.com) وهو أكبر مشروع لتفسير القرآن الكريم على الإنترنت، عام ٢٠٠١م. والأمير أيضاً رئيس مجلس أمناء مؤسسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامي؛ وهو صاحب الرسالة التاريخية "كلمة سواء بيننا وبينكم" في عام ٢٠٠٧م.

وقد تقلّد عدة جوائز وأوسمة من الأردن ومن دول أخرى. وله عدة مؤلفات قيّمة منها كتاب "إجماع المسلمين على احترام مذاهب الدين" الذي قال عنه الإمام الأكبر شيخ الأزهر الراحل الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي: "إن هذا السفر الجليل هو خير مرجع لمن يريد أن يسير على الصراط المستقيم في قوله وفعله وفي سلوكه ونهجه".

الأمير غازي متزوج من د. الأميرة أريج (بنت معالي د. السيد عمر بن عبد المنعم الزواوي)، ولهما ثلاثة من الأولاد وهم: الأميرة تسنيم، والأمير عبد الله، والأميرة جنة، حفظهم الله تعالى.

أقوال علماء الأمة في هذه الرسالة

قال العلماء في هذه الرسالة "الحب في القرآن الكريم" ما يلي:

"رسالة متميزة، جديرة بالثناء والتقدير: منهجاً ومضموناً ولغة".

مشرف الرسالة في جامعة الأزهر الشريف،

فضيلة الإمام الأكبر أ. د. أحمد محمد الطيب، شيخ الأزهر

"الحب كلمة من حرفين، الحاء في نطقها سعة، والباء في لفظها جمع، فبعد أن تعلق الفؤاد بالمحبوب، وأحاط به على قدر معرفته، ضمه إليه، وعندها ينمو كسنا بل الخير يضاعف لمن يشاء، وما أعظمه عندما يكون الحب الدائم الذي لا يموت، والقائم الذي لا يفوت فالحب في القرآن هو منهج العلاقة بين الإنسان وبين خالقه، فلا ركن من أركان الإسلام يصل إلى الله إلا عن طريق القلب كما قال رسول الله ﷺ: "ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله"، وإذا كان القلب هو محل تجليات الله عز وجل فإن الحب هو إشراقه النابع من ذلك القلب.

وبحثكم يا سمو الأمير عن الحب في القرآن قد جمع درر معاني الحب في سعتها، وضمها بسلك محبتكم، فكان الأنفس في العقود، والأجل على الجيد، والأرسخ في القلب، والأقرب إلى الفكر، والأكمل في التأثير. ولقد رأينا في بحثكم أفق العلم وقوته، وحب العالم وتواضعه، وجلال المعرفة وجمال الكلمة، وكمال الأسلوب، وحسن الخطاب. بُورِكَتْ أعمالكم، وتكللت بالخير مساعيكم، ونفع الله بكم العباد، وأسبغ ربي عليكم نعمه ظاهرة وباطنه".

المفتي العام رئيس مجلس الإفتاء الأعلى في الجمهورية العربية السورية،

فضيلة الشيخ أ. د. أحمد بدر الدين حسون

"إن الحب هو الأساس المتفرّع من الرحمة التي بدأ الله بها كتابه، فهو العلاقة بين الخالق وخلقّه، وبين الوالد وولده من بني الإنسان، وفي عالم الحيوان، وفي كل الأكوان، والحب في القرآن اسم لبُحث جميل جليل خطه يراع الأمير الحبيب المحبوب غازي بن محمد جزاه الله خيراً، بيّن فيه ما يجب على العالم أن يسمعه وهو يتلقى القرآن، فأجاد وأفاد، نسأل الله تعالى أن ينفع به العالمين، آمين".

مفتي الديار المصرية، فضيلة الشيخ أ.د. علي جمعة

"فألفيته كتاباً غاص في أعماق الحقيقة واستخرج منها درها المكنون، إذ أخرج للناس ما كان عازباً عن إفهامهم من كون الحب له قداسة ومكانه في القرآن ... فقد أتيتم في مؤلفكم هذا بما لم يأت به من قبلكم، ولا غرو إذ الشيء من معدنه لا يُستغرب والدُّر إنما يجود به البحر الغزير، وحسبكم أنكم ارتقيتم بالحب إلى أوج الفضيلة، وقدّستموه من أن تدنسه الرذيلة بأدرانها، وهذا فضل يعترف به لكم من قرأ كتابكم وأجال فيه نظره".

مفتي عام سلطنة عمان،

معالي الشيخ أحمد بن حمد الخليلي

"رسالة الحب في القرآن الكريم، رسالة جاءت في وقتها، في هذه الظروف التي تمر بها الأمة الإسلامية. وهي رسالة لا مثيل لها في الماضي، ومستقبلها خير ما يكون في الحب بين أبناء الأمة الواحدة من جهة، وبينهم وبين الآخرين جاءت هذه الرسالة نتيجة فهم الحب في القرآن الكريم، ووجود الحب في قلب مؤلفها، الذي استطاع عرض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، كاشفاً سر حب الله للإنسان، وحب الإنسان لله، وحبه لجاره، وكل هذا جاء من قلب سليم محب للإنسانية، فلذا ينبغي لكل إنسان

أن يقرأ هذا الكتاب، من أجل أن يتعرف على الحب في القرآن، ومن أجل المحبة التي في هذه الرسالة " .

رئيس العلماء والمفتي العام في البوسنة والهرسك،
فضيلة الشيخ د. مصطفى تسيريتش

"كتابكم "الحب في القرآن الكريم" ثمرة جهدكم الفكري المبارك، وخلاصة سياحتكم القلبية المنيرة، بإشرافات المعارف الوهية؛ وإنه لعمل مبارك مشكور ومأجور إن شاء الله، سينهل منه كل مؤمن صادق النية والعزم على إذكاء حبه لله ولرسوله ﷺ، فجزاكم الله عن كل من قرأ كتابكم المبارك هذا فانتعشت روحه واغتنى وجدانه بما حواه من كنوز المعارف ودقيق اللطائف والرقائق " .

وزير الشؤون الدينية والأوقاف الجزائرية،
معالي أ.د. بو عبد الله غلام الله

"أنه رَحْبُ مناط سعادة الدارين، وكتاب الله دليل هذه السعادة وقائد مبتغيها، وإن المتصفح لإصداركم ليجد إيفاء لحق الموضوع، وتفصيلاً لكافة جوانبه بأسلوب يتسم بالسلاسة والقرب من القارئ " .

وزير الأوقاف والشؤون الدينية في سلطنة عُمان،
معالي الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الله السالمي

"هي رسالة ذات طابع ... فلسفي، فَوَجَدْتُ فيها معاني ذوقية جميلة استنبطها المؤلف حفظه الله من الجمع بين الآيات في المواضيع التي طرقها لعله لم يُسبق إليها، ولكنها لم تُخالف ثوابت العقيدة الإسلامية " .

المفتي العام للمملكة الأردنية الهاشمية،
سماحة الشيخ أ.د. نوح علي سلمان القضاة

" في غمرة بحثي دون جدوى عمن قد أهمه حديث الحب في كتاب الله فكتب فيه أو تحدث عنه، تلقيت البشرى. وافاني البريد بما أبحث عنه: "الحب في القرآن" تأليف سمو الأمير غازي بن محمد بن طلال الهاشمي. تركت عندئذ كل ما أنا بصددده وباشرت بقراءته. إن قيمة هذا الكتاب بل الموضوع لكبيرة كتابكم رائع أهنتك بالحب الذي دعاك إلى ما كتبت، ذاك الذي اتخذته دليلاً إلى معرفة الله والكون، ثم استقر بك المقام في محرابه. وأسأله سبحانه أن يجعل قلوبنا أوعية لحبه، حتى نؤخذ من أنفسنا إليه ونستدل به عليه ".

عميد كلية الشريعة في جامعة دمشق،
فضيلة الشيخ أ.د. محمد سعيد رمضان البوطي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فَأَنْبِئْتَنَاهُ بِهٖ حَدَاقٍ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِئُوهُ شَجَرَهَا ﴾ (النمل، ٢٧: ٦٠)
﴿ فَأَنْبِئْتَنَاهُ بِهٖ جَنَّتٍ وَحَبِّ الْحَصِيدِ ﴿١﴾ وَالنَّخْلَ بِاسْقَنْتِهَا طَلْعَ نَضِيدٍ ﴿٢﴾ ﴾ (ق، ٥٠: ٩-١٠)

" رحلة في أعماق النفس، ميدانها بستان الحب، سقيت أصوله بماء الحكمة، امتدت فروعها في سماء المعرفة، أزهاره معطرة بأنفاس الشريعة، ثماره الجنة السعادة. عمل نافع، ترتيب رائع ".

رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين ورئيس ومؤسس المركز العالمي للتجديد والإرشاد، معالي الشيخ أ.د. عبدالله بن محفوظ بن بيّه

" هذا الكتاب احتوى على وجه من أوجه الخطاب الرباني تحتاجه الأمة في هذا العصر يهدي إلى كريم التعامل ويمد جسور التواصل و يمهّد سبيل

التكامل بمقتضى توجيه غلوي ومنهج سوي".

عميد دار المصطفى للدراسات الإسلامية، اليمن،

فضيلة الحبيب عمر بن محمد بن حفيظ

"فقد سعدت بمطالعة كتابكم الرائع (الحب في القرآن الكريم) بما فيه من تتبع جميل للآيات الشريفة التي يكمل بعضها البعض الآخر.... والجميل تركيزه على الحب المتبادل بين الله جل وعلا وعباده وبين المخلوقين أنفسهم، بل بين كل المخلوقات، ورائع ما طرحته آية البسملة من أن الكون كله ينطلق بسم الله، وله الأسماء الحسنی، وبمقتضى رحمته الواسعة".

سماحة آية الله محمد علي التسخيري،

الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

"إن من دواعي سعادتني أن الأستاذ الفاضل غازي بن محمد بن طلال، ذلك الرجل الذي تتجلى أسمى مفاخره في المخدار نسبه إلى أهل بيت رسول الله ﷺ، قد شمر عن ساعد الجذ للبحث في هذا الموضوع في القرآن الكريم وخصص أطروحته في الدكتوراه في الأزهر الشريف بالقيام بدراسة حول هذا الموضوع. وقد تصدى لهذه المهمة بكل نجاح وجدارة وأضاف معطى قيماً إلى تراث الأدب الإسلامي من خلال إمعان النظر والاهتمام بأسس الحكمة في الإسلام".

سماحة آية الله أ.د. السيد مصطفى محقق الداماد،

الأستاذ في فرع القانون والفلسفة الإسلامية، جامعة الشهيد بهشتي، طهران؛

رئيس قسم الدراسات الإسلامية في مجمع العلوم، إيران

"لقد اعتبرته من الذخائر النفيسة لما تضمنه من معالجة دقيقة لواحدة من أهم

القيم والمشاعر الإنسانية المشتركة بين الأفراد والشعوب ... لقد جمعت دراستكم القيمة الأبعاد الأخلاقية والفلسفية والروحية، وهي في الغالب غير متناولة فيما صدر من أبحاث لقضية حياتية معاصرة تشكل محوراً مهماً في حياتنا العامة، فقد احتوى الكتاب على منارات وضاءات من البيان جاءت بشكل ترابطي يسهل على القارئ فهم الموضوع والتفاعل معه وجدانياً. عند تأمل التعبيرات والتأويلات للآيات القرآنية الحكيمة يستكشف القارئ المخزون الوجداني والعمق العاطفي والفهم الفلسفي الذي تحتويه تلك الآيات المباركة، مجسدة لبني البشر أهمية هذا المركز الإنساني مما يعمق العلاقة الترابطية بينهم وما هو موجود حولهم من مخلوقات المولى عزّ وجلّ ولتضيف تأصيلاً جالياً لرسالة الإسلام ... يجد فيه ما يغني الباحث ويقنع الحائر ويزيد من إيمان المؤمن، ويشعر الجميع أهمية التذوق الوجداني للحب وللمشاعر الإنسانية العليا".

سماحة المرجع الديني آية الله الفقيه السيد حسين إسماعيل الصدر

"هي بحمد الله وفضله دراسة مشرقة بأنوار القرآن الكريم ومصابيح السنة المطهرة في موضوع حيوي هام يعتبر من أمهات المسائل، قائمة على تأصيل قرآني شامل واستقصاء دقيق للأحاديث النبوية الشريفة، لتثبت أن الحب كما بين معناه وأوضح آفاقه وحدد أبعاده الوحي الإلهي العظيم يعتبر أهم المحاور الناعمة لمختلف العلاقات في الوجود بما يشمل العلاقات بين الله تعالى وخلقه ومخلوقاته، وبين الخلق بعضهم مع بعض، وقد وظفت كل ذلك أوفى توظيف ببيان آثار هذا الحب وفق المنهج القرآني على وجود الإنسان وسلوكه في كل آفاق حياته. فهي بحق رسالة فريدة في بابها، أصيلة في منهجها وأسلوبها، عظيمة في فوائدها وآثارها، جديرة بكل إشادة وتقدير".

أمين عام مجمع الفقه الإسلامي الدولي، معالي أ.د. عبدالسلام العبادي

"هذه الرسالة التي اتسمت بالعمق والتحليل والتوثيق يزيد بها جمالاً ذلك الأسلوب السلس الجذاب فما أن شرعت في قراءتها حتى شدتني، فاسترسلت فيها حتى الخائفة. وحري بهذه الرسالة القيمة أن يتداولها الإعلام والناس، جميع الناس حتى تنتشر المحبة فيما بينهم، وحتى تقوى صلاتهم بالله الرحمن الرحيم، ويا حبذا لو قامت مؤسسة معنية بنشر هذه الرسالة بعد ترجمتها إلى اللغات الإنسانية الحية لما تحويه من معانٍ سامية تستحق أن يطلع الآخرون عليها".

إمام وخطيب المسجد الأقصى المبارك، رئيس الهيئة الإسلامية العليا،
رئيس هيئة العلماء والدعاة - القدس، سماعة الدكتور عكرمة سعيد صبري

"إضافة هامة للفكر الإسلامي في الواقع المعاصر لأنها تعالج قضية الحب والجمال بعمق شديد في ضوء القرآن الكريم وبما لا يصادم احتياجات الإنسان المعاصر، وبالتالي فالرسالة تساهم في إزالة إشكالية الصدام بين الدين والحب وبين الإيمان وتذوق الجمال".

رئيس مجلس أمناء مؤسسة رايت ستارت الدولية،
الداعية الإسلامي د. عمرو خالد

"وجدت أنه تأليف مبتكر أوضح معاني الحب وأنواعه وجزئياته وأسراره المستنبطة من القرآن الكريم وما يُمدح منه وما يُذمّ، ودرجات الحب بالنظر إلى من يتعلق به، والمآلات التي يؤدي إليها الحب، وكل ذلك بأسلوب بديع رائع. ونسأل الله سبحانه أن يقبل منه هذا الجهد ويقدر فيه النفع للبلاد والعباد".

نائب رئيس دار العلوم، كراتشي، باكستان،
فضيلة الشيخ محمد تقي العثماني

"إن هناك فراغاً فلسفياً واسعاً في الدرس القرآني؛ فلقد ظل علماء المسلمين يتنافسون على مدى قرون في بحث النص القرآني، قراءةً وعقيدةً وفقهاً وتفسيراً وقصصاً ونغم التنافس هذا، لكنهم وأسفاه ضربوا صفحاً عن كثير من المفاهيم والمعاني والقيم والحقائق والأدلة التي قد تكون محلّ استشكالات واستدلالات فلسفية غاية في الأهمية، على الرغم من أن هذا الجانب المهمل يشكّل الجزء الأكبر من هذا النص المنزل؛ فإني أقول: يتجلّى فضلُ هذه الرسالة في كونها اقتحمت مجال الموضوعات القرآنية الفلسفية المسكوت عنها، إذ تناولت، بترتيب دقيق، مفهوماً جليلاً في الفلسفة الأخلاقية، مُركّزة على منزلته الخاصة في القرآن الكريم، رفعةً وسعةً، وفتحةً لآفاق غير مرتادة في الاستشكال الفلسفي الإسلامي تستنهض الهِممَ إلى تجديد قراءة كتاب الله، استناداً إلى هذا المفهوم الأخلاقي الأساسي .

رئيس منتدى الحكمة للمفكرين والباحثين في المغرب؛ مدير مجلة الأمة، الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، فضيلة أ.د. طه عبد الرحمن

"رسالة "الحب في القرآن الكريم" رسالة موضوعية قيّمة جامعة نافعة لكل قارئ مزجّت بين الأصالة والحداثة بعقيدة راسخة صافية وفكر ثاقب مستنير ووسطية سديدة، لذا أدعو كل مؤمن بل كل إنسان لقراءتها لأنها تُهمُّه وتفيده حقاً".

المفتي السابق للمملكة الأردنية الهاشمية،
سماحة الشيخ سعيد عبدالحفيظ حجاوي

"أثرت بي مزيداً من الحب لله ولرسوله وللمؤمنين ... إذ عبّرت عن مشاعره المخلصة ونظرته الدقيقة. فقد عشت معها ساعات روحانية ولحظات ربانية وإيمانية .

المفتي العراقي، فضيلة الشيخ أ.د. عبد الملك عبد الرحمن السعدي

"لقد سد ثغرة في المكتبة الإسلامية وعرض من كتاب الله سبحانه وتعالى تعريفات للحب وأنواعاً ومراحل معظمها غير مسبوق موضوعاً ومنهاجاً فسبحان القائل ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾" (١)

عمران، ٣: (٧٤) .

أستاذ العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر الشريف،
فضيلة الشيخ أ.د. عبدالمقصود حامد عبدالمقصود

"هيا الله تعالى لهذا المقام الرفيع من ملأ الله قلبه حباً ونوراً فجلى هذا الأمر بكل ما يتطلبه البحث من أمانة وصدق وإخلاص".

عضو لجنة مناقشة هذه الرسالة في جامعة الأزهر الشريف،
عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة، أ.د. عبدالحميد عبدالمنعم مذكور،
كلية دار العلوم جامعة القاهرة،

"هذا الكتاب الأول من نوعه فريد في أسلوبه ومنهجيته دقيق في تفاصيله ملتزم بفكره يجب أن يكون مرجعاً لكل دارس على المستوى الجامعي والبحثي في موضوع الحب بكل جوانبه ومعانيه وقيمه المستقاة من كتاب الله".

صاحب كتاب "الجنس في اليهودية والمسيحية والإسلام، المرأة والرجل وعلاقتهما"، معالي أ.د. كامل العجلوني

‘The book before us is a moving narrative of Qur'an's self-expression on love and how the love of God animates every aspect of His creation. Love is vividly shown as the governing principle of Islam and of God's relationship with the prize of His creation, humankind. The author skilfully lets the Qur'an speak for itself, a hallmark of credibility that also espouses the author's intimate knowledge of the Holy Book.

It is a comprehensive and self-contained text on the subject that aspires to high standards of scholarship, [and] one that is imbued with the strength and conviction of *Iman* (faith).’

— Prof. Dr. Mohammad Hashim Kamali,
Founding Chairman & CEO, International Institute of Advanced
Islamic Studies (IAIS), Malaysia

‘Love in the Holy Qur’an is a study characterized by sound scholarship and spiritual insight. This is a compelling and subtle presentation of a topic which has not been given adequate attention in previous literature.’

— Prof. Dr. Ingrid Mattson,
Director, Macdonald Center for the Study of Islam and Christian-Muslim Relations Hartford Seminary; President, Islamic Society of North America (ISNA)

‘Prince Ghazi bin Muhammad of Jordan gives [here] a masterly exposition of this love in the souls of those whom the revelation calls and who respond by “submitting” their existence to it, in Arabic termed *Islam*. Drawn from the words of the Koran itself, this long-needed work is a nuanced treatment of a subject that deserves the regard of anyone who wants to get beyond contemporary clichés....’

— Shaykh Nuh Ha Mim Keller

الحب في القرآن الكريم

المحتويات

باب المقدمات

١. الفصل الأول: تمهيد: أهداف ومنهج هذه الرسالة ص ٢٣
٢. الفصل الثاني: مقدمة: سر الحب ص ٣١
٣. الفصل الثالث: تعريف الحب ص ٣٣

الباب الأول: الحب الإلهي

٤. الفصل الأول: الله ﷻ والحب ص ٤١
٥. الفصل الثاني: الحب أصل الخلق ص ٤٩
٦. الفصل الثالث: الكون والحب ص ٥٩
٧. الفصل الرابع: حب الله ﷻ للناس ص ٦٥
٨. الفصل الخامس: حب الله ﷻ لرسله وأنبيائه ص ٨١
٩. الفصل السادس: الذين لا يحبهم الله ﷻ ص ٩٧

الباب الثاني: حب الرسول ﷺ

١٠. الفصل الأول: حب الرسول ﷺ لله ص ١٠٩
١١. الفصل الثاني: حب الرسول ﷺ للمؤمنين ص ١١١

الباب الثالث: حب الإنسان

١٢. الفصل الأول: حب الإنسان لله ﷻ ص ١١٥
١٣. الفصل الثاني: حب المؤمن للرسول ﷺ ص ١٢٥
١٤. الفصل الثالث: حب قربي الرسول ﷺ وأهل بيته الأطهار ص ١٣١

١٥. الفصل الرابع: أثر حب الله ﷻ على الإنسان ص ١٤٣
١٦. الفصل الخامس: الحب العائلي ص ١٥٩
١٧. الفصل السادس: حب الآخرين (الناس جميعاً، وأهل الكتاب، والمؤمنين، والأصدقاء) ص ١٦٩
١٨. الفصل السابع: الحب الزوجي والحب الجنسي ص ١٨٣
١٩. الفصل الثامن: الحب والزنا ص ١٩٩
٢٠. الفصل التاسع: الحب والنظر ص ٢٠٣

الباب الرابع: الحب

٢١. الفصل الأول: أنواع الحب ص ٢٠٧
٢٢. الفصل الثاني: مراحل الحب ص ٢٤٥
٢٣. الفصل الثالث: الوقوع في الحب ص ٥٨٩
٢٤. الفصل الرابع: نمو الحب ص ٣٠١
٢٥. الفصل الخامس: دائرتا الحب ص ٣١١
٢٦. الفصل السادس: مثلث الحب ص ٣١٩
٢٧. الفصل السابع: مراتب الجمال والحب ص ٣٣١
٢٨. الفصل الثامن: نقيض الجمال والحب ص ٣٤١
٢٩. الفصل التاسع: انتهاء الحب ص ٣٤٧
٣٠. الفصل العاشر: طبيعة الحب ص ٣٥٧
٣١. الفصل الحادي عشر: الحب والسعادة ص ٣٦٣
٣٢. الفصل الثاني عشر: الحب والجمال في الجنة ص ٣٦٩

الباب الخامس: المحبوب (الجمال واللقاء والرضوان)

٣٣. الفصل الأول: الجمال والحسن ومكوناتهما ص ٣٧٣

٣٤. الفصل الثاني: الذوق ص ٣٧٩
٣٥. الفصل الثالث: طبيعة الجمال ص ٣٨٣
٣٦. الفصل الرابع: الحب والموت ص ٣٨٩
٣٧. الفصل الخامس: اللقاء والرضوان ص ٤٠١
٣٨. الفصل السادس: المقصود الحقيقي وراء كل حب ص ٤٠٧

باب خاتمة الرسالة

٣٩. خلاصة واستنتاج ص ٤١٣
٤٠. المراجع ص ٤٢٩

باب المقدمات

١. باب المقدمات؛ الفصل الأول:

تمهيد: أهداف ومنهج هذه الرسالة

المطلب الأول: الأهداف

لنا في هذه الرسالة إن شاء الله ﷻ خمسة أهداف، والله المستعان.

(١) الهدف الأول:

القرآن الكريم حق. يقول الله ﷻ:

الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٤٧﴾ (البقرة، ٢: ١٤٧)
وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ ﴿٢٩﴾ ... (الكهف، ١٨: ٢٩)

والذي أنزل القرآن الكريم أنزله بالحق:

ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ تَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ۖ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ

(البقرة، ٢: ١٧٦) ﴿٦٦﴾

وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ ۖ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ (الإسراء، ١٧: ١٠٥)

وبكونه الحق فهو الحق الكامل:

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨١﴾

(الإسراء، ١٧: ٨٩)

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ۖ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ

جَدَلًا ﴿٥٤﴾ (الكهف، ١٨: ٥٤) ﴿٥٤﴾

وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَنْ جَعَلْنَاهُمْ بَيِّنَةً لِقَوْلِ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ (الروم، ٣٠: ٥٨)

وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٩﴾ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٠﴾ (الزمر، ٢٩: ٢٨-٢٩)

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الَّذِي كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٦١﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٦٢﴾ (النحل، ١٦: ٨٨-٨٩)

وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٣﴾ (يونس، ١٠: ٣٧)

لَقَدْ كُنَّا فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۚ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ (يوسف، ١٢: ١١)

وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ ۚ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٦٥﴾ (الأنعام، ٦: ٣٨)

وهكذا يوضح الله ﷻ لنا أن القرآن الكريم هو الحق الكامل. بل أكثر من ذلك، إذ يخبرنا الله ﷻ أنه ضرب في القرآن الكريم " مِنْ كُلِّ مَثَلٍ "، وأنه قال ﷻ " وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ "، وقال ﷻ إن القرآن الكريم هو " تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ "، " وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ "، وأن الله ﷻ قال: " مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ". وقد اختلف العلماء والمفسرون في معنى هذه الآيات. فيفهم الطبري من " وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ " التالي:

"تفصيل كل ما بالعباد إليه حاجة من بيان أمر الله ونهيه، وحلاله وحرامه، وطاعته ومعصيته"^١.

ويفهم الفخر الرازي من "**تَبَيَّنَّا لِكُلِّ شَيْءٍ**" أن المقصود جميع أصول علوم الدين:

"من الناس من قال: القرآن تبيان لكل شيء وذلك لأن العلوم إما دينية أو غير دينية، أما العلوم التي ليست دينية فلا تعلق لها بهذه الآية، لأن من المعلوم بالضرورة أن الله تعالى إنما مدح القرآن بكونه مشتملاً على علوم الدين فأما ما لا يكون من علوم الدين فلا التفات إليه، وأما علوم الدين فإما الأصول، وإما الفروع، أما علم الأصول فهو بتمامه موجود في القرآن، وأما علم الفروع فالأصل براءة الذمة إلا ما ورد على سبيل التفصيل في هذا الكتاب، وذلك يدل على أنه لا تكليف من الله تعالى إلا ما ورد في هذا القرآن، وإذا كان كذلك كان القول بالقياس باطلاً، وكان القرآن وافياً ببيان كل الأحكام، وأما الفقهاء فإنهم قالوا: القرآن إنما كان تبياناً لكل شيء، لأنه يدل على أن الإجماع وخبر الواحد والقياس حجة، فإذا حكم بحكم من الأحكام بأحد هذه الأصول كان ذلك الحكم ثابتاً بالقرآن"^٢.

١ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، ص ٣٢٥.

٢ الإمام الرازي، التفسير الكبير، ٧/٢٥٨. ويقول الفخر الرازي أيضاً:

"قال تعالى: ... مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ... (الأنعام: ٦: ٣٨) وفي المراد بالكتاب قولان: القول الأول: المراد منه الكتاب المحفوظ في العرش وعالم السماوات المشتمل على جميع أحوال المخلوقات على التفصيل التام، كما قال عليه السلام: «جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة». والقول الثاني: أن المراد منه القرآن، وهذا أظهر لأن الألف واللام إذا دخلا على الاسم المفرد انصرف إلى المعهود السابق، والمعهود السابق من الكتاب عند المسلمين هو القرآن، فوجب أن يكون المراد من الكتاب في هذه الآية القرآن". (الإمام الرازي، التفسير الكبير، ٤/٥٢٦).

وَيَفْهَمُ الزُّمَخْشَرِيُّ فِي الْكُشَافِ مِنْ قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ "تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ" أَنَّ الْمَقْصُودَ جَمِيعَ الْعُلُومِ الدِّينِيَّةِ حَيْثُ يَقُولُ:

"الْمَعْنَى أَنَّهُ بَيْنَ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ، حَيْثُ كَانَ نَصًّا عَلَى بَعْضِهَا وَإِحَالَةً عَلَى السَّنَةِ فِي الْبَعْضِ الْآخَرِ، حَيْثُ أُمِرَ فِيهِ بِاتِّبَاعِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَطَاعَتِهِ"^٣.

وَلَكِنَّا نَقُولُ إِنَّ فِي كِتَابِ اللَّهِ جَمِيعَ عُلُومٍ وَمُبَادِئِ الْفَلَسَفَةِ؛ أَيْضًا. وَهَذَا مِنْ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ؛ فَلَا يُمْكِنُ لِأَيِّ كِتَابٍ بَشَرِيٍّ أَنْ يَحْتَوِيَ عَلَى جَمِيعِ الْعُلُومِ الْفَلَسَفِيَّةِ فِي كِتَابٍ وَاحِدٍ مِثْلَ مَا هُوَ الْحَالُ مَعَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ. فَكَمَا يَوْجَدُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ إِعْجَازٌ لُغَوِيٌّ وَبَلَاغِيٌّ وَرَبَّمَا أَيْضًا إِعْجَازٌ عِلْمِيٌّ، فَإِنَّهُ

ويقول الفخر الرازي كذلك:

"وفيه قولان: الأول: المراد وتفصيل كل شيء من واقعة يوسف عليه السلام مع أبيه وإخوته، والثاني: أنه عائد إلى القرآن، كقوله: ... مَا فَزَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ... فإن جعل هذا الوصف وصفًا لكل القرآن أُلِيقَ مِنْ جَعْلِهِ وَصْفًا لِقِصَّةِ يُوسُفَ وَحَدِّثِهِ، وَيَكُونُ الْمُرَادُ: مَا يَتَضَمَّنُ مِنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَسَائِرِ مَا يَتَصَلُّ بِالدِّينِ". (الإمام الرازي، التفسير الكبير، ٥٢٣/٦).

٣ أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، الكشاف، ص ٥٨٦.

٤ كلمة "فلسفة" أصلها من اللغة اليونانية، وهي مركبة من كلمتين: "فايلو"، وهي تعني "الحب"؛ و"سوفيا"، وسوفيا تعني "الحكمة". فـ"الفلسفة" حسب أصلها اللغوي تعني "حب الحكمة". وعلماء المسلمين عرّفوا الفلسفة بعدة تعاريف. ولكننا نقصد نحن هنا من كلمة "الفلسفة" التالي: "الحكمة التي هي دون العقيدة ودون التشريع"، وبمعنى آخر كل حكمة ومعرفة باستثناء العقيدة (والكلام) والفقه. فعلى سبيل المثال الحب موضوع فلسفي، وعلم المنطق موضوع فلسفي، وعلم النفس موضوع فلسفي إلى آخره. وربما يكون جانب تشريعي في هذه المواضيع أو جانب عقائدي، ولكن الفهم الذي هو محاذ بالنسبة للعقيدة أو الشريعة يعتبر علمًا فلسفيًا، شريطة أن لا يُدخل الإنسان في الكفر أو في المعصية. ولذلك عُرِّفَتِ الْفَلَسَفَةُ فِي الْغَرْبِ قَدِيمًا بِتَعْرِيفٍ فِي اللَّاتِينِي "انسلا ثيولوجيا"، وتعني هذه "خادمة العقيدة أو علم الكلام".

يوجد في القرآن الكريم إعجاز فلسفي كذلك:

وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ
مَنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٤﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْتُوا النَّارَ الَّتِي
وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٥﴾ (البقرة، ٢: ٢٣-٢٤)

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ
دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَلِئَلَّامُ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ
لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٢٧﴾ (هود، ١١: ١٣-١٤)

وَمَا يَنْبَغُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٨﴾
وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ
وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ
مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٠﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ
يَحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ
عَنْقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٣١﴾ (يونس، ١٠: ٣٦-٣٩)

أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٢﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٣﴾
(الطور، ٥٢: ٣٣-٣٤)

ولذلك هدفنا الأول في هذه الرسالة أن نبين أن كل ما يمكن أن يقال
بالنسبة للحب هو في كتاب الله، وأنه مفصل وليس مجملاً، ولذلك تقتصر
هذه الرسالة فقط على الحب في القرآن وليس الحب في الحديث الشريف، أو
في السنة، أو عند العلماء، والعارفين بالله، والفلاسفة.

(ب) الهدف الثاني:

إن الهدف الثاني هو الاستفادة مما قيل قبلنا عن الحب في القرآن الكريم

في كتاب واحد - بقدر الاستطاعة - مع إضافة ما يهبه الله ﷻ لكشف بعض الأسرار التي عُرِفَتْ من قبل ولكن لم تكتب - حسب علمنا - في مرجع واحد عن موضوع الحب في القرآن الكريم. ومن الجدير بالذكر أن كثيراً من الفلاسفة عندما ناقشوا الحب لم يستشهدوا بآية واحدة من القرآن الكريم ومنهم - مع الأسف - ابن سينا في رسالته (رسالة في العشق). وبعض علماء المسلمين الآخرين كالإمام الغزالي في كتابه: (إحياء علوم الدين/ كتاب المحبة، والشوق، والأنس، والرضا) الباب رقم ٣٦، ومحيي الدين بن عربي في كتابه: (الفتوحات المكية) الفصل ١٧٨ (رسالة في الحب)، وابن حزم في (طوق الحمامة)، فإنهم أحياناً كانوا يستدلون من القرآن والحديث معاً، وأحياناً من القرآن وحده، وأحياناً من الحديث وحده. ونحن في هذه الرسالة الفلسفية الحية بمشيئة الله ﷻ نأمل أن نعطي شرحاً كافياً عن الحب ومنهجنا هنا الاستدلال بالقرآن وحده دائماً، حيث نجعله الأساس في بناء النقاط. وأما الأحاديث فإذا أوردناها فإنما هي لتعزيز المعنى وزيادة الإيضاح.

(ج) الهدف الثالث:

الهدف الثالث هو الشرح الكافي والوافي للحب وأسراره من القرآن الكريم فقط. ولا يمكن لنا أو لغيرنا أن نقول كل ما يمكن أن يقال في هذا الموضوع وهو: الحب في القرآن الكريم. فكيف نستنفذ كلام الله الذي يقول:

قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا

بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٨﴾ (الكهف، ١٨: ١٠٩)

والذي يقول ﷻ:

وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَنْهَارٍ مَا نَفَذْتُ

كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ (لقمان، ٣١: ٢٧)

(د) الهدف الرابع:

إن الهدف الرابع في هذه الرسالة هو أن نفيد - بإذن الله تعالى - القارئ في بعض أسرار وعجائب الحب، لأن الحب ربما يكون أكبر سرٍّ في عالمنا المعاصر، فمعظم أفعال الناس وأمانيتهم من أجل الحب والسعادة. والسعادة هي وليدة الحب - كما سنرى إن شاء الله تعالى - ولكن معظم الناس لا يعلمون شيئاً عن الحب وبالتالي لا يعلمون شيئاً عمّا يعملون. لكن الذي يعلم عن الحب بإمكانه أن يُنمّي حباً معيناً، أو يوقفه. ولذلك يمكن لهذه الرسالة إن شاء الله أن تعود بالفائدة الكبيرة على الناس في مساعدة أنفسهم في حب الخير، والابتعاد عن حب الشهوات. وقد سعينا أن نبسط هذا الموضوع في فصول قصيرة ومستقلة، عسى أن تنفع هذه الفصول لتكون مواد صالحة للتعليم في الجامعات أو دونها، ... وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ

أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ (هود: ١١)

(هـ) الهدف الخامس:

يوجد عند كثير من غير المسلمين لبس شائع عن موضوع الحب في الإسلام وفي القرآن الكريم: فكثير من غير المسلمين - مفكرتهم وعامتهم - يظنون أنه لا يوجد ذكرٌ للحب أو اعتناء به في القرآن الكريم، وإن وُجد اهتمام في الإسلام بالحب، فهذا الاهتمام إنما يأتي من المتصوفين أو أحياناً من بعض الأحاديث الشريفة (التي يُشككون أصلاً في صحتها)، وليس من القرآن الكريم. فالهدف الخامس في هذه الرسالة هو أن نبين أن القرآن الكريم ذكرَ وأوضح كل ما يمكن للإنسان أن يعرفه أو يفهمه عن الحب فهو موجود في كتاب الله ﷻ - القرآن الكريم.

المطلب الثاني: المنهج في هذه الرسالة

إن المنهج في هذه الرسالة استدلالي يستند إلى قاعدتين في تفسير كتاب الله ﷻ.

القاعدة الأولى هي: القرآن يفسر بعضه بعضاً،

والقاعدة الثانية هي: لا ترادف في القرآن.

وفي القاعدة الأولى جاء في الدر المنثور للسيوطي ما يلي:

"أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: (مثنائي) قال: القرآن يشبه بعضه بعضاً، ويُرد بعضه إلى بعض. وأخرج عن جرير وابن المنذر عن سعيد بن جُبَيْر رضي الله عنه في قوله: (متشابهاً) قال: يفسر بعضه بعضاً، ويدل بعضه على بعض."°

والقاعدة الثانية وهي أن لا ترادف في القرآن مُستنبطة من قول الله ﷻ:

أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلَمْ يَكُنْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾

(النساء، ٤: ٨٢)

كِتَابُ أَحْكَمَتْ أَيْنَتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ (هود، ١: ١)

° السيوطي، الدر المنثور، مجلد ٥، ص ٦١٠.

٢. باب المقدمات؛ الفصل الثاني:

مقدمة: سِرُّ الحبِّ

يقول الحق ﷻ:

زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ
وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۚ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَاللَّهُ

عِنْدَهُ حُسْبُ الْمَوْتَابِ ﴿١٤﴾ (آل عمران، ١٤: ١٤)

إن معظم ما يتعلق بحياة الإنسان مذكور في هذه الآية الكريمة، فالناس العاديون يقضون حياتهم إما طالبين للجنس، أو الذرية، أو العز، أو المال، أو الأمل، وإما طالبين لحب الله، والآخر. فمعظم الموسيقى والأفلام الحديثة موضوعها الحب الجنسي، ومعظم عمل الإنسان هو لكسب المال، وسد حاجة أسرته، ومعظم العلاقات الاجتماعية هدفها طلب العز. وكل العبادة هدفها الجنة ووجه الله ﷻ. يُضاف إلى هذا أن معظم الذي نقوله أو نفكر فيه هو من أجل شيء نريده، وبالتالي من أجل شيء نحب، وهذا ينطبق حتى على الطعام والشراب، وينطبق على طلب الانبساط، والراحة، وعلى السعي في الفلاح في العمل، وعلى التعبير عن أحوالنا وعواطفنا. والمقصود في معظم ما نقوله ونفعله شيء نريده، وبالتالي نحب، أو شيء لا نريده فنفر منه وبالتالي لا نحب. فكم منا يدرك أن وراء كل نية يقصدها الإنسان إما حب النفس وإما حب الجسم وإما حب الشهوة وإما حب الآخر وإما حب الله ﷻ. حتى السعادة التي نبحث عنها ما هي إلا الرضا بامتلاك شيء نحب - كما سنرى إن شاء الله تعالى - فالحب هو القصد وراء معظم الأشياء إن لم يكن وراءها كلها. ولكن ما هو الحب؟ ولماذا نحن كبشر ملزمون، بل محكومون، بالحب؟ ومن أين يأتي الحب؟ وإلى أين يذهب؟ وما هو هدفه؟

وكيف يصل إلى هذا الهدف؟ كم من شاب بكى، أو انتحر نتيجة الحب؟ كم من مُسن بكى أو تألم نتيجة الخوف من مفارقة من يُحب؟ وكم من إنسان قادر على أن يرى ويصف ماذا يحدث له في الحب؟ وكم من إنسان يمتلك أو يسيطر بعقله على الذي يحب أن يحبه؟ لا مبالغة إن قلنا إنَّ معظم نشاط وجهود الحياة هو طلب للحب من غير أن ندرك ماذا نعمل ولِمَ؟. فاليوم ليس على وجه الأرض - حسب علمنا - مدرسة أو جامعة تقدم مادة في الحب، وبالتالي تُعلِّم الناس بماذا سيقضون حياتهم مما يجعلهم:

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي

ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمُّ بُكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ (البقرة: ١٧-١٨)

وبمشيئة الله ﷻ من خلال هذه الرسالة سننقل ما جاء في كلام الله ﷻ عن الحب وهو أكبر سر في الحياة، التي تشغل الكل فيها والقليل هم الذين يعلمون عنها شيئاً:

يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ ﴿٧﴾ (الروم: ٣٠-٧)

٣. باب المقدمات؛ الفصل الثالث:

تعريف الحب

بطبيعة الحال لا يمكن تعريف الحب بشكل قطعي، لأن الحب مثل الألم فيه شيء لا يُحدد ولا يُعرف من خلال وصفه، فالحب يختلف عن الشيء الملموس، فمن الممكن أن أعرف كرسياً، أو أسداً من خلال اسمه، ولكن لا يمكن أن أعرف حقيقة الحب عن طريق وصفه، ولهذا قال البعض إن الحب لا يُعرف. ومع هذا يمكن لنا أن نستنبط تعريفاً معيناً يصف الحب وصفاً قريباً من الحقيقة من كلام الله ﷻ. يقول الله ﷻ:

وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ آئِمِلٍ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ ... (النساء: ٤: ١٢٩)

ويقول الله ﷻ:

لَا تَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعَجَبَكَ حُسْنُهُنَّ ... (الأحزاب، ٣٣: ٥٢)

فنفهم من هاتين الآيتين معاً أن الحب "ميل، من بعد الإعجاب، إلى الحسن". وهذا التعريف الذي استنبطناه من كلام الله ﷻ مباشرة لا يختلف في جوهره عما قاله كثير من العلماء في تعريف الحب^٦.

تعريف العلماء للحب والمحبة

٦ أقوال علماء المسلمين في الحب عموماً على قسمين. فأما القسم الأول فهم الذين يقولون إنه ليس للحب تعريف دقيق لكونه لا يوصف ولكن توصف آثاره فقط. أما القسم الثاني من العلماء فهم يصفون الحب كنوع من أنواع الميل إلى شيء جميل أو مُراد، علماً بأن الميل مُحال على الله ﷻ فالحب عند الله ﷻ هو نوع من تفضيله لبعض عباده. وأحياناً يخلط بعض العلماء بين هذين النوعين من التعريف.

قال الجاحظ (توفي سنة ٢٥٥هـ) منشداً قول أحد الشعراء:

"العين تُبدي الذي في نفس صاحبها ... من المحبة أو بغضٍ إذا كانا
والعين تنطق والأفواه صامتة ... حتى ترى من ضمير القلب تبياناً"
(الجاحظ، كتاب البيان والتبيين، مجلد ١، ص ٦٢).

قال الإمام **الكلاباذي** (توفي سنة ٣٨٠هـ): "قال **الجنيد**: المحبة ميل القلوب. معناه: أن يميل قلبه إلى الله وإلى ما لله من غير تكلف. وقال غيره: المحبة: هي الموافقة، معناه: الطاعة له فيما أمر، والانتفاء عما زجر، والرضا بما حكم وقدر. قال محمد بن علي الكتاني: المحبة: الإيثار للمحبوب. قال غيره: المحبة: إثارة لمن تحبّ فمحبة العبد لله تعظيم يحل الأسرار، فلا يستجيز تعظيم سواه، ومحبة الله للعبد: هو أن يُبليه به فلا يصلح لغيره. وهو معنى قوله تعالى: **وَأَصْطَفَيْنَاكَ لِنُقَسِّيَ** (طه: ٢٠١). ومعنى لا يصلح لغيره: أن لا يكون فيه فضل لمراقبة الأغيار ومراعاة الأحوال إن للقوم عبارات تفرّدوا بها، واصطلاحات فيما بينهم لا يكاد يستعملها غيرهم، نخبر ببعض ما يحضر، ونكشف معانيها بقول وحيز. وإنما نقصد في ذلك إلى معنى العبارة دون ما تتضمنه العبارة، فإن مضمونها لا يدخل تحت الإشارة فضلاً عن الكشف، وأمّا كنه أحوالهم فإن العبارة عنها مقصورة وهي لأربابها مشهورة".
(الكلاباذي، التعرف لمذهب أهل التصوف، ص ١٠٩-١١١)

وقال **ابن سينا** (توفي سنة ٤٢٨هـ): "لأن العشق ليس في الحقيقة إلا استحسان الحسن والملائم جداً". (ابن سينا، رسالة في العشق، ص ٥٢).

وقال **ابن حزم** (توفي سنة ٤٥٦هـ) في تعريف الحب: "الذي أذهب إليه أنه اتصال بين أجزاء النفوس المقسومة في هذه الخليقة في أصل عنصرها الرفيع". (ابن حزم، طوق الحمامة، ص ٧). وقال ابن حزم في تعريفه أيضاً: "الحب اتصال بين النفوس في أصل عالمها العلوي". (ابن حزم، طوق الحمامة، ص ٢٧).

وقال **القشيري** (توفي سنة ٤٦٥هـ): "المحبة حالة شريفة، شهد الحق سبحانه بها للعبد، وأخبر عن محبته للعبد، فالحق سبحانه يُوصف بأنه يُحب العبد، والعبد يُوصف بأنه يحب الحق سبحانه، والمحبة على لسان العلماء هي الإرادة، وليس مراد القوم بالمحبة الإرادة، فإن الإرادة لا تتعلق بالقديم، اللهم إلا أن يُحمل على إرادة التقرب إليه والتعظيم له، ونحن نذكر من تحقيق هذه المسألة طرفين إن شاء الله تعالى، فمحبة الحق سبحانه للعبد لإرادته لإنعام مخصوص عليه، كما أن رحمته له إرادة الإنعام، فالرحمة خاص من الإرادة، والمحبة أخص من الرحمة، فإرادة الله تعالى لأن يوصل إلى العبد الثواب والإنعام، وتسمى رحمة، وإرادته لأن

يُخصَّه بالقرية والأحوال العَلِيَّة وتسمى محبة، فأرادته سبحانه صفة واحدة، فبحسب تفاوت متعلقاتها تختلف أَسْمَاؤها، فإذا تعلقت بالعقوبة تسمى غضباً، وإذا تعلقت بعموم النعم تسمى رحمة، وإذا تعلقت بخصوصها تسمى محبة وقال قوم من السلف: محبته من الصفات الخَبَرِيَّة فأطلقوا اللفظ وتوقفوا عن التفسير، فأما ماعدا هذه الجملة مما هو في المعقول من صفات محبة الخلق كالميل إلى الشيء والاستئناس بالشيء، وكحالة يجدها المُحِبُّ مع محبوبه من المخلوقين، فالقديم سبحانه يتعالى عن ذلك، وأما محبة العبد لله تعالى فحالة يجدها من قلبه تَلَطُّفٌ عن العبارة، وقد تحملها تلك الحالة على تعظيمه، وإيثار رضاه، وقلة الصبر عنه، والاهتياج إليه، وعدم القرار من دونه، ووجود الاستئناس بدوام ذكره له بقلبه وعبارات الناس عن المحبة كثيرة، وقد تكلموا في أصلها في اللغة، فبعضهم قال: الحب اسم لصفاء المودة وأما أقول الشيوخ فيه: فقال بعضهم: المحبة الميل الدائم بالقلب الهائم. وقيل: المحبة إثثار المحبوب على جميع المصحوب. وقيل: موافقة الحبيب في المشهد والمغيب. وقيل: محو الحب لصفاته، وإثبات المحبوب بذاته. وقيل: مواطاة القلب لمرادات الرب. وقيل: خوف ترك الحرمة مع إقامة الخدمة. وقال أبو يزيد البسطامي: المحبة استقلال الكثير من نفسك، واستكثار القليل من حبيبك. وقال سهل بن عبد الله: الحب معانقة الطاعة، ومُباينة المخالفة. وسئل الجنيـد عن المحبة فقال: دخول صفات المحبوب على البَدَل من صفات المحب. أشار بهذا إلى استيلاء ذكر المحبوب حتى لا يكون الغالب على قلب المحب إلا ذكر صفات المحبوب، والتَّغافل بالكلية عن صفات نفسه والإحساس بها. وقال أبو علي أحمد الروذباري: المحبة الموافقة. وقال أبو عبد الله القرشي: حقيقة المحبة أن تهب كلك لمن أحببت، فلا يبقى لك منك شيء. وقال دلف الشبلي: سُميت المحبة محبة لأنها تحو من القلب ما سوى المحبوب ... " إلى آخره. (أبو القاسم القشيري، الرسالة القشيرية، ص ٣١٧-٣٢٧).

وقال الغزالي (توفي سنة ٥٠٥هـ): "بيان حقيقة المحبة وأسبابها وتحقيق معنى محبة العبد لله تعالى لم يُتصوَّر أن يتصف بالحب جمد بل هو خاصية الحي المدرك فالحب عبارة عن ميل الطبع إلى الشيء المُلذَّ، فإن تأكد ذلك الميل وقوي سُمي عشقاً والمحبة في وضع اللسان عبارة عن ميل النفس إلى موافق ملائمتها، وهذا إنما يُتصوَّر في نفس ناقصة فإنها تميل إلى ما لا يوافقها فتستفيد بنيله كما لا فتلذذ بنيله وهذا مُحال على الله تعالى فإذا محبة الله للعبد تقريبه من نفسه بدفع الشواغل والمعاصي عنه، وتطهير باطنه عن كدورات الدنيا ورفع الحجاب عن قلبه حتى يشاهده كأنه يراه بقلبه. وأما محبة العبد لله فهو ميله إلى درك

هذا الكمال الذي هو مُفلس عنه فاقد له، فلا جَرَم يشتاق إلى ما فاته، وإذا أدرك منه شيئاً يلتذُّ به، والشوق والمحبة بهذا المعنى مُحالٌّ على الله تعالى". (الإمام الغزالي، إحياء علوم الدين، مجلد ٤، ص ٣٧٨-٤٥٤).

وقال **ابن العريف** (توفي سنة ٥٣٦هـ): "وأما المحبة فهي أول أودية الفناء والعقبة التي يُتحدَّر منها على منازل الحو، وهو آخر منزل تلتقي فيه مقدمة العامة بساقية الخاصة". (ابن العريف، النفائس ومحاسن المجالس، ص ٦٩٥).

وقال **ابن الجوزي** (توفي سنة ٥٩٧هـ): "اعلم أن الهوى ميل الطبع إلى ما يلائمه، وهذا الميل قد خُلِق في الإنسان لضرورة بقائه، فإنه لولا ميله إلى المطعم ما أكل، وإلى المشرب ما شرب، وإلى المنكح ما نكح، وكذلك كل ما يشتهي، فالهوى مستجلب له ما يفيد، كما أن الغضب يدفع عنه ما يؤذي، فلا يصلح ذمُّ الهوى على الإطلاق، وإنما يُذم المفرط من ذلك، وهو ما يزيد على جلب المصالح ودفع المضار". (ابن الجوزي، ذم الهوى، ص ١٨).

وقال الشيخ الأكبر **محيي الدين ابن عربي** (توفي سنة ٦٣٨هـ) في الباب الثامن والسبعين ومئة في معرفة مقام المحبة: "إعلم وفقك الله أن الحب مقام إلهي فإنه وصف به نفسه وتسمّى بالودود ولهذا المقام أربعة ألقاب: منها الحب وهو خلوصه إلى القلب وصفائه عن كدورات العوارض فلا غرض له ولا إرادة مع محبوه. والقلب الثاني: الودّ وله اسم إلهي وهو الودود، والودّ من نعوته وهو الثابت فيه، وبه سمّي الودّ ودّاً لثبوته في الأرض. واللقب الثالث: العشق وهو إفراط المحبة، وكنى عنه في القرآن بشدة الحب في قوله: (... **وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ** ...) (البقرة: ١٦٥) وهو قوله: (... **قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا** ...) (يوسف: ١٢: ٣٠)

أي صار حبها يوسف على قلبها كالشغاف وهي الجلدة الرقيقة التي تحتوي على القلب فهي ظرف له محيطة، وقد وصف الحق نفسه في الخبر بشدة الحب غير أنه لا يطلق على الحق اسم العشق، والعاشق والعشق التناف الحب على المحب حتى خالط جميع أجزائه، واشتمل عليه اشتمال الصماء مشتق من العشقة. واللقب الرابع: الهوى وهو استفراف الإرادة في المحبوب والتعلّق به في أول ما يحصل في القلب وليس لله منه اسم، ولخصوله سبب، نظرة أو خبر أو إحسان، وأسبابه كثيرة، ومعناه في الخبر الإلهي الصحيح حب الله عبده إذا أكثر نوافل الخيرات، وكذلك اتباع الرسول فيما شرع، وهذا منزلته فينا مسمّى الهوى واختلف الناس في حدّه فما رأيت أحداً حدّه بالحدّ الذاتي بل لا يتصور ذلك، فما حدّه من حدّه إلاّ بتناججه وآثاره ولوازمه، ولا سيما وقد اتصف به الجناب العزيز وهو الله. وأحسن ما سمعت

وهذا الوصف ينطبق على الإنسان لأنه ينطبق على رسول الله ﷺ. ولكن لا نعلم هل يجوز لفظ "الإعجاب" ولفظ "الميل" على حب الله ﷻ. يقول الإمام الغزالي - كما ذكرنا بعضه في الحاشية السابقة - :

"والحبة في وضع اللسان عبارة عن ميل النفس إلى موافق ملائم ، وهذا إنما يُتصوّر في نفس ناقصة فإنها تميل إلى ما لا يوافقها فتستفيد بنيله كمالاً فتلتذّ بنيله، وهذا مُحال على الله تعالى فإذا محبة الله للعبد تقريبه من نفسه بدفع الشواغل والمعاصي عنه، وتطهير باطنه عن كدورات الدنيا ورفع الحجاب عن قلبه حتى يشاهده كأنه يراه بقلبه. وأما محبة العبد لله فهو ميله إلى درك هذا الكمال الذي هو مُفلس عنه فاقد له، فلا جَرَم يشتاق إلى ما

فيه ما حدثنا به غير واحد عن أبي العباس ابن العريف الصنهاجي قالوا: سمعناه يقول وقد سئل عن الحبة فقال: الغيرة من صفات المحبة والغيرة تأبى إلاّ السرّ فلا تحدّ. واعلم أن الأمور المعلومات على قسمين: منها ما يحد، ومنها ما لا يحد، والمحبة عند العلماء بها، المتكلمين فيها، من الأمور التي لا تحد، فَيَعْرِفُهَا من قامت به ومن كانت صفته ولا يعرف ما هي ولا ينكر وجودها إن الحب تعلّق خاص من تعلّقات الإرادة". (الشيخ ابن عربي، الفتوحات المكية، مجلد ٢، ص ٣١٧-٣٢٢).

وقال ابن قيم الجوزية (توفي سنة ٧٥١هـ): "فصل: لا تُحدّ المحبة بحدٍ أوضح منها، فالحدود لا تزيدها إلا خفاءً وجفاءً، فحدها وجودها، ولا توصف المحبة بوصفٍ أظهر من المحبة. وإنما يتكلم الناس في أسبابها وموجباتها وعلاماتها وشواهداها وثمراتها وأحكامها، فحدودهم ورسومهم دارت على هذه الستة، وتنوعت بهم العبارات، وكثرت الإشارات، بحسب إدراك الشخص ومقامه وحاله، ومُلكه للعبارة. وهذه المادة تدور في اللغة على خمسة أشياء: أحدها: الصفاء والبياض الثاني: العلو والظهور الثالث: اللزوم والثبات الرابع: اللَّبّ وهو أصل الشيء ومادته وقوامه. الخامس: الحفظ والإمساك ولا ريب أن هذه الخمسة من لوازم المحبة". (ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، مجلد ٣، ص ١٠).

فاتته، وإذا أدرك منه شيئاً يلتذُّ به، والشوق والمحبة بهذا المعنى مُحالٌ على الله تعالى^٧.

فالإمام الغزالي يصف محبة الله للعبد بأنها "تقريبه من نفسه بدفع الشواغل والمعاصي عنه". أما بالنسبة لحب الله لعبده (وقد يكون هنالك فرق بين "المحبة" و "الحب" كما سنرى لاحقاً إن شاء الله) فنعود إلى الحديث الشريف:

«إن الله جميل يحب الجمال»^٨.

فنعول عن حب الله ﷻ إنه "حب الجمال"، وسنرى فيما بعد إن شاء الله ﷻ في فصل "حب الله ﷻ للناس" أن الله ﷻ يحب أصنافاً من الناس يتميزون بالجمال الخلقي وحلية النفس. فتعريف الحديث لحب الله ﷻ كـ "حب الجمال" هو نفس تعريف القرآن الكريم لحب الله ﷻ. ومعنى تعريف "حب الجمال" لا يختلف كثيراً عن معنى تعريف الحب بـ "الميل إلى الحسن" إلا أن الميل مُحال على الله ﷻ. والله أعلم.



ويؤكد وصفنا السابق للحب الأصل اللغوي للكلمة فالحب من الحَب، والحَب هو الذي يقع في الأرض، ثم ينمو، ثم يأتي بنبتة جميلة جديدة. فقد أوضح الله ﷻ في كتابه الكريم هذا الأمر في قوله ﷻ:

مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أُنْتُبِتَتْ سَعَى سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ (البقرة، ٢: ٢٦١)

٧ الإمام الغزالي، إحياء علوم الدين، مجلد ٤، ص ٣٧٨-٤٥٤.

٨ رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، رقم ٩٩.

فالحُبُّ مثل الحَبِّ، يأتي بنبتة يضاعفها الله كيف يشاء، لمن يشاء. وقد أكد العلماء هذا الأصل اللغوي لكلمة "الحب"، وذكروا أصولاً أخرى لكلمة الحب قد تكون مشتقة منها أيضاً^٩.

٩ قال القشيري: "وعبارات الناس عن المحبة كثيرة، وقد تكلموا في أصلها في اللغة، فبعضهم قال: الحب اسم لصفاء المودة، لأن العرب تقول لصفاء بياض الأسنان ونضارتها حبيب الأسنان. وقيل الحُبَّاب ما يعلو الماء عند المطر الشديد، فعلى هذه المحبة غليان القلب وثورانه عند العطش، والاهتياج إلى لقاء المحبوب. وقيل: إنه مشتق من حَبَاب الماء بفتح الحاء وهو معظمه، فسمي بذلك: لأن المحبة غاية معظم ما في القلب من المهمات. وقيل: اشتقاقه من اللزوم والثبات، يقال: أحب البعير وهو أن يرك فلا يقوم، فكأن المحب لا يرح بقلبه عن ذكر محبوبه. وقيل: الحب مأخوذ من الحَبِّ وهو القَرَط، قال الشاعر:

تبَّيت الحَيَّة النضناض منه مكان الحَبِّ يستمع السرا را

وسمي القَرَط حَبًّا: إما للزومه للأذن أو لَقَلْقِهِ، وكلا المعنيين صحيح في الحَبِّ. وقيل: هو مأخوذ من الحَبِّ، والحَبِّ جمع حَبَّة، وَحَبَّة القلب ما به قوامه، فسمي الحَبُّ حَبًّا باسم محله. وقيل: هو مأخوذ من الحَبَّة بكسر الحاء، وهي بزور الصحراء، فسمي الحَبُّ حَبًّا لأنه لباب الحياة، كما أن الحب لباب النبات. وقيل: الحب هي الخشبات الأربع التي توضع عليها الجرة، فسميت المحبة حَبًّا لأنه يتحمل عن محبوبه كل عز وذل. وقيل: هو من الحب الذي فيه الماء، لأنه يمسك ما فيه فلا يسع فيه غير ما امتلأ به، كذلك إذا امتلأ القلب بالحب فلا مساغ فيه لغير محبوبه". (القشيري، الرسالة القشيرية، ص ٣٢٠).

الباب الأول: الحب الإلهي

٤. الباب الأول؛ الفصل الأول:

الله ﷻ والحب

من الواضح أن الحب حقيقة، لأن الله ﷻ ذكر في القرآن الكريم أنه يحب بعض الأنواع من الناس ومنهم المتوكلون: **فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنََّّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ** (آل عمران ٣: ١٥٩)

ويؤكد أيضاً أن الحب من صفات الله ﷻ وليس فقط من أفعاله كثير من أسمائه الحسنى (مثل اسمه ﷻ): "اللطيف"، و"الرؤوف"، و"القدير"، و"الحليم"، و"الوكيل"، و"الولي" و"البر"، و"الغفور"، و"الغفار"، و"التواب"، و"العفو" وبالذات اسمه "الودود" الذي جاء في القرآن الكريم مرتين:

وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ (هود، ١١: ٩٠)

وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ (البروج، ٨٥: ١٤)

فاسم الله ﷻ الودود يدل على علاقة الحب بالرحمة لأن معنى 'اسم

١٠ قال الإمام الغزالي (توفي سنة ٥٠٥هـ) في اسم الله الودود: "الودود هو الذي يحب الخير لجميع الخلق فيحسن إليهم ويثني عليهم. وهو قريب من معنى الرحيم، لكن الرحمة إضافة إلى مرحوم، والمرحوم هو المحتاج والمضطّر. وأفعال الرحيم تستدعي مرحوماً ضعيفاً، وأفعال الودود لا تستدعي ذلك، بل الإنعام على سبيل الابتداء من نتائج الود". (الإمام الغزالي، المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، ص ١٢٢).

وقال الإمام الرازي (توفي سنة ٦٠٦هـ) في اسم الله الودود: "قال تعالى (وهو الغفور الودود) والود هو الحب، وفيه وجهان. الأول أنه فعول بمعنى فاعل، بالودود بمعنى الوداد،

"الودود" يحتوي على فكرتين: الحب والرحمة - كما نرى في اقتران اسم "الودود" باسم "الرحيم" واسم "الغفور" في الآيتين الكريميتين أعلاه - وبالتالي فإن الحب يأتي مع الرحمة، وإن الرحمة تأتي مع الحب.

وأيضاً يمكننا أن نقول إنّ أسماء الله الحسنى الأخرى التي تدل على "الإكرام" أو "الجمال" - مثل "الرؤوف" الذي أتى في القرآن الكريم عشر مرات^{١١} وغيره من الأسماء - تشير إلى حب ورحمة الله ﷻ معاً. بل أكثر من ذلك فبالإمكان أن نقول: إن الرحمة تُؤلّد الحب. فالرحمة من الرحم، ويقول الله ﷻ في الحديث القدسي:

«أَنَا اللَّهُ وَأَنَا الرَّحْمَنُ خَلَقْتُ الرَّحِمَ وَشَقَقْتُ لَهَا مِنْ اسْمِي فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَّه»^{١٢}.

وإذا تفكرنا في الرحم نستنتج أن الرحم تلد الحب كما يلد الطفل، لأن الطفل يولد من الرحم ومعه حُب أمه، وهذه قاعدة طبيعية: الرحمة تولد الحب ولكن للحب خصوصية على الرحمة.

أي يحبهم كما قال "...حُبُّهُمْ وَحُبُّوهُمْ..." (المائدة: ٥٤) ومعنى قولنا: أنه تعالى يحب عبده أي يريد إيصال الخيرات إليه. واعلم أن الود بهذا التفسير قريب من الرحمة، لكن الفرق بينهما أن الرحمة تستدعي مرحوماً ضعيفاً، والود لا يستدعي ذلك، بل الإنعام على سبيل الابتداء من نتائج الود. الثاني: أن يكون معنى كونه ودوداً أن يوددهم إلى خلقه، كما قال: "... سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا " (مريم: ٩٦) الثالث: أن يكون فعول بمعنى المفعول، كما قيل: رجل هيب، بمعنى مهيب، وفرس ركوب، بمعنى مركوب، فالله سبحانه وتعالى مودود في قلوب أوليائه، لكثرة وصول إحسانه إليهم ". (الرازي، شرح أسماء الله الحسنى، ص ٢٧٣-٢٧٤).

١١ البقرة ٢: ١٤٣، والبقرة ٢: ٢٠٧، وآل عمران ٣: ٣٠، والتوبة ٩: ١١٧، والنحل ١٦: ٧، والنحل ١٦: ٤٧، والمؤمنون ٢٣: ٦٥، والنور ٢٤: ٢٠، والحديد ٥٧: ٩، والحشر ٥٩: ١٠.

١٢ رواه الترمذي، رقم ١٩٠٧، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في قطيعة الرحم.

الحب في القرآن الكريم

ولا تقتصر العلاقة الطبيعية بين الحب والرحمة على صلة الرحم. فالله ﷻ وضع علاقة المودة - التي هي نوع من أنواع الحب كما سنرى لاحقاً إن شاء الله - بالرحمة في الآية التالية:

وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ (الروم: ٢١)

وقد اقترن اسمه ﷻ "الرَّحْمَنُ" باسم الجلالة "الله" في قوله سبحانه:

قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيُّمَا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۖ ... (الإسراء: ١٧: ١١٠)

فهذا يعني أن الرحمة من الذات الإلهية من غير تشبيه. ويؤكد هذا الطرح قول الله ﷻ:

... كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ... (الأعراف: ٦: ١٢)

وقوله ﷻ:

... كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ۖ ... (الأعراف: ٦: ٥٤)

وهذا يعني أيضاً أن الله ﷻ أوجب على نفسه الرحمة ويؤكد ذلك قوله ﷻ:

... وَرَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ ... (الأعراف: ٧: ١٥٦)

وهذا ما أكدته الملائكة وهم يستغفرون للذين آمنوا:

... رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا ... (غافر: ٤٠: ٧)

ولا يفوتنا أيضاً أن نذكر أن جميع سور القرآن الكريم تبدأ بـ "بسم الله الرحمن الرحيم"، باستثناء سورة التوبة وأن العلماء قالوا بأن "البسملة" التي لم تذكر في أولها موجودة في سورة النمل في قوله ﷻ:

... وَإِنَّهُ بِإِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (النمل: ٢٧: ٣٠)

فبما أن كل شيء في القرآن يبدأ بـ "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ" فهذا

يدل أيضاً على الاقتران بين اسم "الله" والرحمة^{١٣}. فكل ذلك لنقول إن الرحمة ومعها الحب من صفات الله ﷻ و من أسماء الذات الإلهية.

واختلف العلماء والمفسرون في الفرق بين "الرحمن" و "الرحيم" لكنهم أكدوا جميعاً أن اسم "الرحمن" لا يحتاج مفعولاً به، بينما اسم "الرحيم" يحتاج إلى مفعول به لكي يرحمهم. فهذا يعني أن الرحمن رحمن بذاته، وأن الرحيم رحيم بفعله. لكن الحب يأتي مع الرحمة، فالرحمة تأتي في كل من الاسمين الكريمين: "الرحمن" و "الرحيم"^{١٤}.

١٣ يشير العالم عبد الكريم الجليلي (توفي سنة ٨٠٥هـ) إلى أن الرحمة أصل أسماء وصفات الله ﷻ وأن أسماء الله تنبثق من صفة الرحمانية، وهذا نصه من كتابه الإنسان الكامل: "الرحمانية: هي الظهور بحقائق الأسماء والصفات، وهي بين ما يختص به في ذاته كالأسماء الذاتية، وبين ما لها وجه إلى المخلوقات كالعلم والقادر والسميع وما أشبه ذلك مما له تعلق بالحقائق الوجودية والاسم الظاهر في المرتبة الرحمانية هو الرحمن، وهو اسم يرجع إلى أسمائه الذاتية وأوصافه النفسية، وهي سبعة: الحياة والعلم والقدرة والإرادة والكلام والسمع والبصر واختصاص هذه المرتبة بهذا الاسم للرحمة الشاملة لكل المراتب الحقيقية والخلقية، فإن بظهوره في المراتب الحقيقية ظهرت المراتب الخلقية، فصارت الرحمة عامة في جميع الموجودات من الحضرة الرحمانية". (الشيخ الجليلي، الإنسان الكامل، ص ٧٣).

اسْمَاُ الله الرَّحْمَنُ وَالرَّحِيمُ

١٤

إن أقوال العلماء في بيان معنى اسمي الله تعالى "الرَّحْمَنُ" و "الرَّحِيمُ" كثيرة، اخترنا منها ما يلي:

قال ابن كثير: "الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ" اسمان مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة، ورحمن أشد مبالغة من رحيم ... عن عيسى عليه السلام أنه قال: والرحمن رحمن الدنيا والآخرة، والرحيم رحيم الآخرة ... قال أبو علي الفارسي: الرحمن اسم عام في جميع أنواع الرحمة يختص به الله تعالى، والرحيم إنما هو في جهة المؤمنين، قال الله تعالى: ... وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿١٠١﴾ (الأحزاب: ٣٣-٤٣)، وقال ابن عباس رضي الله عنهما هما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر، أي أكثر رحمة ... وقال ابن المبارك: الرحمن إذا سئل أعطى، والرحيم إذا لم يسأل يغضب، وهذا كما جاء في الحديث ... قال رسول الله ﷺ «من لم يسأل الله يغضب عليه»، ... سمعت

العَرُزْمِي يقول: الرحمن الرحيم، قال: الرحمن لجميع الخلق، الرحيم قال: بالمؤمنين، قالوا: ولهذا قال: ... **ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ** ... (الفرقان، ٢٥: ٥٩) وقال: **الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى** ﴿١﴾ (طه، ٢٠: ٥) فذكر الاستواء باسمه الرحمن ليعم جميع خلقه برحمته، وقال: ... **وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا** ﴿٢﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٤٣) فخصَّهم باسمه الرحيم، قالوا: فدل على أن الرحمن أشد مبالغة في الرحمة لعمومها في الدارين لجميع خلقه، والرحيم خاصة بالمؤمنين ... واسمه تعالى الرحمن خاص به لم يُسمَّ به غيره ... وأما الرحيم فإنه تعالى وصف به غيره، حيث قال: **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴿٣﴾ (التوبة، ٩: ١٢٨) . (ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص ٦٥-٦٦).

وقال **الغزالي**: "الرحمن الرحيم اسمان مشتقان من الرحمة، والرحمة تستدعي مرحوماً، ولا مرحوم إلا وهو محتاج، والذي ينقضي بسببه حاجة المحتاج من غير قصد وإرادة وعناية بالمحتاج لا يسمى رحيماً، والذي يريد قضاء حاجة المحتاج ولا يقضيها فإن كان قادراً على قضائها لم يسمَّ رحيماً، إذ لو تمت الإرادة لوفى بها، وإن كان عاجزاً فقد يسمى رحيماً باعتبار ما اعتوره من الرقة، ولكنه ناقص، وإنما الرحمة التامة إفاضة الخير على المحتاجين وإرادته لهم عناية بهم، والرحمة العامة هي التي تتناول المستحق وغير المستحق، ورحمة الله عز وجل تامة وعامة. أما تمامها، فمن حيث أنه أراد قضاء حاجات المحتاجين وقضاها. وأما عمومها فمن حيث شمولها المستحق وغير المستحق، وعمَّ الدنيا والآخرة، وتناول الضرورات والحاجات والمزايا الخارجة عنهما. فهو الرحيم المطلق حقاً". (الغزالي، المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، ص ٦٢).

وقال **الرازي**: "أيهما أكثر مبالغة: الرحمن أم الرحيم: روى أبو صالح، عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ أنه قال: الرحمن الرحيم اسمان رقيقان، أحدهما أرق من الآخر؛ ولم يبين أيهما أرق. وقال الحسين بن الفضل البلخي: هذا وهم من الراوي، لأن الرقة ليست من صفات الله تعالى، قال النبي ﷺ «**إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطى عليه ما لا يعطى على العنف**»، واعلم: أنه لا شك أن الرحمن الرحيم كل واحد منهما مشتق من الرحمة وإن لم يكن أحدهما أشد مبالغة من الآخر، كانا لفظين مترادفين من جميع الوجوه من غير تفاوت في المعنى، وذلك بعيد، فوجب القطع بكون أحدهما أكثر مبالغة من الآخر، ثم اختلفوا فقال



مسألة: إذا كانت رحمة الله ﷻ وسعت كل شيء ("وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ")، وإذا كان الله ﷻ "كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ"، وإن كانت رحمة الله ﷻ سبقت غضبه (كما جاء في الحديث الشريف "إن رحمتي سبقت غضبي")، فكيف يعذب الله ﷻ المذنبين بذنوبهم عذاباً أليماً وغلظاً؟ يقول الله ﷻ:

وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصْرَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّهُوَ ۖ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِر لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ (المائدة: ١٨)

وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ (النساء: ٤٠، ٩٣)

قال الفخر الرازي عن هذه الآية:

الأكثر: الرحمن أكثر مبالغة من الرحيم، واحتجوا عليه بوجهه". (الرازي، شرح أسماء الله الحسنى، ص ١٦٢).

والقاسم المشترك لكل هذه التعريفات هو: أولاً: أن الرحمن يطلق على الله ﷻ فقط بينما الرحيم يطلق على الله وعلى البشر؛ ثانياً: أن اسم الرحمن لغوياً يدل على زيادة المعنى؛ وثالثاً: أن الرحيم يحتاج إلى مرحوم بينما الرحمن لا يحتاج إلى مرحوم؛ ورابعاً: أن الرحمن يأتي قبل الرحيم كما هو الحال في كل ما ذكر في الاسمين؛ وسادساً: أن الرحمن شبه مرادف لاسم الله ﷻ: "قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمٰنَ ۚ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ" (الإسراء: ١٧، ١١٠)؛ وسابعاً وأخيراً: بما أنه "... كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ..." (الأنعام: ٦٠، ١٢)، وبما أن الرحمن أشد مبالغة من الرحيم ولا يحتاج لمرحوم، فالرحمن اسم من أسماء ذات الله، بينما الرحيم من أسماء صفاته، والله أعلم.

"وقوله (**"وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ"**) فيه أقوال كثيرة. قيل المراد من قوله (**"وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ"**) هو أن رحمته في الدنيا عمّت الكل وأما في الآخرة فهي مختصة بالمؤمنين وإليه الإشارة بقوله: (**"فَسَأَلْتُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ"**)^{١٥}.

وكذلك قال القرطبي في تفسيره عن هذه الآية:

"قوله (**"وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ"**) عمومٌ، أي لا نهاية لها، أي من دخل فيها لم تعجز عنه، وقيل: وسعت كل شيء من الخلق، حتى أن البهيمة لها رحمة وعطف على ولدها، قال بعض المفسرين: طمع في هذه الآية كل شيء حتى إبليس وقال: أنا شيء، فقال الله تعالى: (**"فَسَأَلْتُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ"**)^{١٦}.

وعلى أية حال، فإن الله ﻋَﻠَﻴْهِ السَّلَام قال: **"وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ"**، ولم يقل "ولطفي وسع كل شيء"، بل قال: **اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ** (الشورى، ٤٢: ١٩). فيلطف الله ﻋَﻠَﻴْهِ السَّلَام بعباده بشكل عام، و**"يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ"** وليس الكل، فهذا لا يعني أن لطفه وسع كل شيء. وهناك فرق شاسع بين الرحمة واللطف: فيمكن لنا أن نرحم شيئاً بفعل قاسٍ نحوه لكي نجنبه شيئاً آخر أشق (على سبيل المثال، الطبيب أو البيطري الذي يؤدي عملية جراحية) ولكن ربما لا تكون هذه الرحمة (وبالتالي هذه العملية) لطيفة أو فيها لطف من جميع النواحي، والله أعلم.



١٥ الفخر الرازي، التفسير الكبير مفاتيح الغيب، المجلد ٥، ص ٣٧٩.

١٦ القرطبي، تفسير القرطبي، المجلد ٧، ص ٢٦١.

٥. الباب الأول؛ الفصل الثاني:

الحب أصل الخلق

خلق الله ﷻ الإنسان من رحمته، فالله ﷻ يقول:

الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾ (الرحمن ٥٥: ١-٤)

ويقول الله ﷻ:

وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلَئِنَّكَ خَلَقَهُمْ ... (هود ١١٨-١١٩)

يقول الإمام فخر الدين الرازي في تفسير قوله ﷻ " وَلَئِنَّكَ خَلَقَهُمْ ":

" وفيه ثلاثة أقوال: القول الأول: قال ابن عباس رضي الله عنهما: وللرحمة خلقهم، وهذا اختيار جمهور المعتزلة. قالوا: ولا يجوز أن يقال: وللاختلاف خلقهم ويدل عليه وجوه: الأول: أن عود الضمير إلى أقرب المذكورين أولى من عوده إلى أبعدهما، وأقرب المذكورين ههنا هو الرحمة، والاختلاف أبعدهما. والثاني: أنه تعالى لو خلقهم للاختلاف وأراد منهم ذلك الإيمان لكان لا يجوز أن يعذبهم عليه، إذ كانوا مطيعين له بذلك الاختلاف. الثالث: إذا فسرنا الآية بهذا المعنى، كان مطابقاً لقوله ﷻ: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا

لِيَعْبُدُونِ ﴿١﴾ (الذاريات ٥١: ٥٦). فإن قيل: لو كان المراد وللرحمة خلقهم لقال: ولتلك خلقهم ولم يقل: ولذلك خلقهم. قلنا إن تأنيث الرحمة ليس تأنيثاً حقيقياً فكان محمولاً على الفضل والغفران كقوله: قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ ... (الكهف ١٨: ٩٨)

وقوله: ... إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥١﴾ (الأعراف ٧: ٥٦). والقول الثاني: إن المراد وللاختلاف خلقهم. والقول الثالث: وهو المختار أنه خلق أهل الرحمة

للرحمة وأهل الاختلاف للاختلاف" ١٧.

ونحن نقول إن قول ابن عباس رضي الله عنهما هنا هو الموافق لظاهر الآية، لأنه لا يمكن لنا أن نتجاهل رأي ابن عباس رضي الله عنهما ولو اختار الرازي خلافه، ولأن القول الثالث الذي ذكره الرازي صحيح من ناحية اللغة، لأنه يصح تأنيث وتذكير الرحمة. وإضافة إلى ذلك فإن الله ﷻ كتب على نفسه الرحمة:

... كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ... (الأعراف: ٦: ٥٤)

وهذه الرحمة مرتبطة أصلاً بخلق السموات والأرض ومن فيهن:

قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لِيَجْمَعَ كُفُوكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ (الأعراف: ٦: ١٢)

وقال رسول الله ﷺ:

«لما قضى الله الخلق كتب عنده فوق عرشه "إن رحمتي سبقت غضبي"» ١٨.

فكيف يُقال إن الله خلق "أهل الاختلاف للاختلاف"، أي للبعد عن الرحمة؟ فالله ﷻ خلق الناس للرحمة حسب ما كتبه على نفسه، ولكن بعضهم اختلفوا وبسبب اختلافهم أغلقوا باب الرحمة عن أنفسهم، وهذا بالرغم من أن رحمته واسعة (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ) (الأعراف: ٧: ١٥٦) ١٩

١٧ الرازي، التفسير الكبير، مجلد ٦، ص ٤١٢.

١٨ رواه البخاري، رقم ٧٤٥٣، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى "ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين".

١٩ ولا يفوتنا هنا أيضاً أن نذكر حديث:

«كنت كنزاً لم أعرف فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق وتعرّفت إليهم فعرّفوني».

قال العلامة المحدث العجلوني:

"قال ابن تيمية ليس من كلام النبي ﷺ ولا يعرف له سند صحيح ولا ضعيف وتبعه الزركشي والحافظ ابن حجر في اللآلئ والسيوطي وغيرهم، وقال القاري: لكن معناه

الحب في القرآن الكريم

وإضافة إلى ذلك، كيف نقول إن الله ﷻ خلق أهل الاختلاف للاختلاف وقد ذكر الله ﷻ لنا سبب الخلق بقوله:

"وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥١﴾" (الذاريات، ٥١: ٥٦)؟

فعبادة الله ﷻ رحمة تؤدي إلى الرحمة، ولم يذكر الله ﷻ أنه خلق بعض الجن والجن للعبادة وبعضهم الآخر لغير ذلك (أي للاختلاف). وفي القرآن الكريم أكثر من خمس وعشرين آية تدل على أن الله ﷻ خلقنا للرحمة ولما يؤدي إلى الرحمة.

فالله ﷻ: "خلقنا لتتقيه"، قال الله ﷻ:

يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ (البقرة، ٢١)

(٢١:

والله ﷻ: "خلقنا لأنه يمكن لنا أن نعلم الأسماء كلها"، قال الله ﷻ:

صحيح مستفاد من قوله تعالى: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} أي: ليعرفوني، كما فسره ابن عباس رضي الله عنهما، والمشهور على الألسنة: (كنت كنزاً خفياً فأحببت أن أعرف فخلقت خلقاً في عرفوني) وهو واقع كثيراً من كلام الصوفية واعتمده وبنوا عليه أصولاً لهم". (العلامة المحدث العجلوني، كشف الخفاء، المجلد: ١، ص ١٣٢).

لكن قال الشيخ ابن عربي إن الحديث "صحيح كشفاً"، وهذا نصه من كتاب الفتوحات المكية:

"ورد في الحديث الصحيح كشفاً الغير الثابت نقلاً عن رسول الله ﷺ عن ربه ﷻ أنه قال ما هذا معناه:

«كنت كنزاً لم أعرف فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق وتعرفت إليهم فعرفوني»".

(الشيخ ابن عربي، الفتوحات المكية، المجلد: ٢، ص ٣٩٣).

ونحن هنا لا نود الخوض في صحة الحديث أو ضعفه، وإنما نقول بأن الحديث صحيح المعنى كما قال المحدث علي القاري. فهذا يعني أن الله خلق الإنسان أولاً من حبه ("فأحببت أن أعرف") وثانياً من رحمته كما ذكرنا أعلاه، ولا تناقض هنا بين حبه ورحمته لأن الحب يقتضي الرحمة كما سنرى لاحقاً إن شاء الله، والله أعلم.

وَإِذْ قَالَ رُبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ اِنِّیْ جَاعِلٌ فِی الْاَرْضِ خَلِیْفَةً ۖ قَالُوْۤا اَتَجْعَلُ فِیْهَا مَنْ یُّفْسِدُ فِیْهَا
وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَحَنَ نُّسِیْحٌ بِحَمْدِكَ وَتُقَدِّسُ لَكَ ۗ قَالَ اِنِّیْۤ اَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُوْنَ ﴿٣٠﴾
وَعَلَّمَ ءَادَمَ الْاَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلٰی الْمَلٰٓئِكَةِ فَقَالَ اُنۢبِئُوْنِیْ بِاَسْمَآءِ هٰۤؤُلَآءِ ۖ اِنْ
كُنْتُمْ صٰدِقِیْنَ ﴿٣١﴾ (البقرة، ٣٠: ٣١)

ولكي "يخزينا بالحسنى"؛ قال الله ﷻ:

وَلِلّٰهِ مَا فِی السَّمٰوٰتِ وَمَا فِی الْاَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِیۡنَ اَسْتَوٰۤا بِمَا عَمِلُوْا وَبِجَزَیِّ الَّذِیۡنَ
اَحْسَنُوْا بِالْحَسَنٰی ﴿٥٣﴾ (النجم، ٥٣: ٣١)

ولكي "يبلونا أينما أحسن عملاً"؛ قال الله ﷻ:

الَّذِیۡ خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيٰوةَ لِيَبْلُوَكُمْ اَتُكْمَرُ اَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَهُوَ الْعَزِیْزُ الْغَفُوْرُ ﴿٦٧﴾ (الملك، ٦٧)

(٢:

ولكي "يجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط"؛ قال الله ﷻ:

اِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِیْعًا وَعَدَ اللّٰهُ حَقًّا ۚ اِنَّهُۥ یَبْدُوْۤا الْخَلْقَ ثُمَّ یُعِیْدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِیۡنَ ءَامَنُوْۤا
وَعَمِلُوْا الصّٰلِحٰتِ بِالْقِسْطِ ۚ وَالَّذِیۡنَ كَفَرُوْۤا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِیْمٍ وَعَذَابٌ اَلِیْمٌۢ بِمَا
كَانُوْۤا یَكْفُرُوْنَ ﴿١٠﴾ (يونس، ١٠: ٤)

وكذلك "لعلنا نوقن ببقاء الله ﷻ"؛ قال الله ﷻ:

اللّٰهُ الَّذِیۡ رَفَعَ السَّمٰوٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَّرَوٰۤہَا ۗ ثُمَّ اَسْتَوٰی عَلٰی الْعَرْشِ ۚ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ
وَالْقَمَرَ ۗ كُلٌّ لِّحَدِّثِیۡ لِاَجَلٍ مُّسَمًّی ۚ یُدَبِّرُ الْأَمْرَ یُفَصِّلُ الْاٰیٰتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ
تُوقِنُوْنَ ﴿١٣﴾ (الرعد، ١٣: ٢)

وكذلك "لنتبغى من فضله ونشكره ونتفكر بآياته ونعقلها ونهتدي"؛ قال الله ﷻ:

خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ بِالْحَقِّ ۚ تَعَلٰی عَمَّا یُشْرِكُوْنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْاِنْسَانَ مِنْ
نُّطْفَةٍ ۖ اِذَا هُوَ خَصِیْمٌ مُّبِیْنٌ ﴿٣﴾ وَالْاُنۢعَمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِیْهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا

تَأْكُلُونَ ﴿٦٠﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْخَوْنَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦١﴾ وَنَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ ﴿٦٢﴾ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَالْبِغَالُ وَالْحَمِيرُ لِرَكْبِكُمْهَا وَزِينَةٌ وَمُخَلِّقٌ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَابِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَانَكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿٦٦﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴿٦٧﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٨﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ﴿٦٩﴾ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ﴿٧٠﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٧١﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ ﴿٧٢﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٤﴾ وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَهْزَأَ وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٧٥﴾ وَعَلَّمَتِ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٧٦﴾ (النحل، ١٦: ٣-١٦)

وكذلك "لندكر ونشكر" ؛ قال الله ﷻ:

وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذْكُرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٧٧﴾ (الفرقان، ٢٥: ٦٢)

وكذلك "لندعوه" ؛ قال الله ﷻ:

قُلْ مَا يَدْعُوا بِكُم ربيَ لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٨﴾ (الفرقان، ٢٥: ٧٧)

وكذلك "ليتوب على المؤمنين والمؤمنات" ؛ قال الله ﷻ:

لِيَعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٩﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٧٣)

وكذلك "لنبلي أجلاً مسمى ونعقل" ؛ قال الله ﷻ:

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لِيَكونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجْلاً مُّسَبًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٤٧﴾ (غافر، ٤٠: ٤٧)

وكذلك "لنبغي من فضل الله ﷻ ونشكره ونتفكر في آياته ونكون من يتذكرون" ؛ قال الله ﷻ:

اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لَتَجْزِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٨﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤٩﴾ (الحجرات، ٤٥: ١٢-١٣)

وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٠﴾ (الحجرات، ٤٥: ٢٢)

وكذلك "لتعارف" ؛ قال الله ﷻ:

يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَى اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٥١﴾ (الحجرات، ٤٩: ١٣)

وكذلك "لتبصر ونكون من أصحاب الذكرى والإنابة" ؛ قال الله ﷻ:

تَبَصَّرْهُ وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٥٢﴾ (ق، ٥٠: ٨)

وكذلك "لنقيم الوزن بالقسط ولا نغشى أو نخسر في الميزان" ؛ قال الله ﷻ:

الرَّحْمَنُ ﴿٥٣﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٥٤﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٥٥﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٥٦﴾ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿٥٧﴾ حُسْبَانٍ ﴿٥٨﴾ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٥٩﴾ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٦٠﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٦١﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٦٢﴾ (الرحمن، ٥٥: ١-٩)

وكذلك "لنهتدي للسبيل ونكون شاكرين لله ﷻ" ؛ قال الله ﷻ:

إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿١﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ

السَّبِيلَ إِنَّمَا شَاكَرًا وَإِنَّمَا كَفُورًا ﴿٢﴾ (الإنسان، ٧٦: ٣-٢)

وكذلك " خلق الأرض وجعلها لنا متاعاً "؛ قال الله ﷻ:

ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَيْنَاهُ ﴿١﴾ رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّيْنَاهُ ﴿٢﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا

وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٣﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَلْنَاهُ ﴿٤﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٥﴾

وَالْجِبَالَ أَرْسَنَاهُ ﴿٦﴾ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَمَ عَلَيْكُمْ ﴿٧﴾ (النازعات، ٧٩: ٢٧-٣٣)

والقاسم المشترك بين هذه الآيات كلها هو أن الله ﷻ خلقنا وأعطانا الحرية وابتلانا في هذه الحياة لكي ننال رحمته، ولو أنه سيعذب بعضنا على عدم الوفاء في سبب خلقه.

وإضافة إلى ذلك كله فإنه يوجد في القرآن الكريم خمس وعشرون آية أخرى يصف الله ﷻ فيها تفصيل حكمته في خلق أجزاء من الخلق (وليس الخلق كله) لخدمة الإنسان في الغاية من حياته وهي نيل رحمة الله ﷻ من خلال عبادته، وعلى سبيل المثال قوله ﷻ:

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ

كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١﴾ (الطلاق، ٦٥: ١٢) ٢٠.

فهذا كله دليل على أن خلق العالم والإنسان من أجل الرحمة، وبما أن

٢٠ وانظر أيضاً إلى: (البقرة، ٢: ١٨٥-١٨٧؛ والأنعام، ٦: ١٦٥؛ والأعراف، ٧: ١٥٦؛ ويونس، ١٠: ٥ و ١٤ و ٦٧؛ وإبراهيم، ١٤: ٣٢-٣٤؛ والحجر، ١٥: ١٦-٥٠؛ والنحل، ١٦: ٧٨-٨١؛ وطه، ٢٠: ١٥ و ٥٣-٥٤؛ والحج، ٢٢: ٦٥؛ والمؤمنون، ٢٣: ٧٨-٨٠؛ والفرقان، ٢٥: ١٠؛ والنمل، ٢٧: ٦٠-٦٤ و ٨٦؛ والقصاص، ٢٨: ٧٠-٧٣؛ والروم، ٣٠: ٤٦؛ ولقمان، ٣١: ١٠-١١ و ٣٢-٣١؛ والسجدة، ٣٢: ٧-٩؛ وفاطر، ٥٣: ١٢-١٣؛ ويس، ٣٦: ٨٠؛ وغافر، ٤٠: ٦٤ و ٧٩-٨٠؛ والفتح، ٤٨: ٤-٩؛ والملك، ٦٧: ١٥ و ٢٣-٢٤؛ ونوح، ٧١: ١٤-٢٠).

الحب من الرحمة (كما رأينا سابقاً في فصل " الله ﷻ والحب ") فخلق العالم والإنسان من الحب أيضاً.



مسألة: إذا كان الخلق من الرحمة وبالتالي من الحب، فما حال الخلق الذين لا يحبهم الله ﷻ؟ سنرى لاحقاً إن شاء الله، أن الله ﷻ لم يذكر في القرآن الكريم أنه لا يحب شيئاً من خلقه إلا بعض الفئات كالظالمين والكافرين وبعض الأعمال السيئة، فجواب هذا السؤال يقتصر على ما هو حال هذه الفئات كالظالمين والكافرين وبعض الأعمال السيئة بالنسبة لحب الله ﷻ ورحمته.

أما بالنسبة لبعض الفئات كالظالمين والكافرين فنقول إن الله ﷻ خلقهم من رحمته على الفطرة، وفي أحسن تقويم^{٢١}. يقول الله ﷻ:

بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا هُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ ﴿٢٠﴾ فَأَقْرَبُ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ (الروم، ٢٩: ٣٠)

وَالَّذِينَ وَالَّذِينَ وَالَّذِينَ ﴿٢٢﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢٣﴾ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٧﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالذِّينِ ﴿٢٨﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴿٢٩﴾

(التين، ٩٥: ١-٨)

اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ

٢١ وسنشرح لاحقاً ما أنعم الله به على الإنسان في فصل " حب الله ﷻ للناس " وفي فصل " ما هو الوقوع في الحب؟ " بزيادة من التوسع والتفصيل.

وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٤﴾ (غافر، ٤٠)

(٦٤:

خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٦٥﴾ (التغابن، ٦٤: ٣)

يَتَأْتِي الْإِنْسَانَ مَا عَرَّفَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَّلَكَ ﴿٦٧﴾ فِي أَيِّ

صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٦٨﴾ (الانفطار، ٨٢: ٨-٨)

ولكن هذا لا يعني أن الله ﷻ الذي خلق الإنسان " فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ "

يُحِبُّه بعدما يصبح " أَسْفَلَ سَفَلِينَ " ، عن أبي هريرة ؓ قال رسول الله ﷺ:

«كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كمثل

البهيمة تُنْتَج البهيمة هل ترى فيها جدعاء»^{٢٢}.

وعن عياض المجاشعي قال رسول الله ﷺ:

«يقول الله تعالى: "... وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم وأنهم أتتهم

الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ... "»^{٢٣}.

فهذا يعني أن الله ﷻ خلق الإنسان من الرحمة ولكن جعله حراً، يختار

ما يشاء من الخير أو من الشر. يقول الله ﷻ:

إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٢٤﴾ (الإنسان، ٧٦: ٣)

وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿٢٥﴾ (البالد، ٩٠: ١٠)

وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صِعْقَةُ الْعَذَابِ أَهْلُونَ

بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٢٦﴾ (فصلت، ٤١، ١٧٠)

فإذا اختار الإنسان طريق الخير وكان من المحسنين أو ما شابه ذلك، فإن

^{٢٢}رواه البخاري، رقم ١٣٨٥، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، ورواه مسلم، رقم ٢٦٥٨، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة.

^{٢٣}رواه مسلم، رقم ٢٨٦٥، كتاب الجنة، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار.

غازي بن محمد بن طلال

الله ﷻ سيحبه. وإذا اختار الإنسان طريق الشر والسوء وأغلق عن نفسه باب
هداية الله، فإنه لا ينال رحمة ورضا الله ﷻ، والله أعلم.



٦. الباب الأول؛ الفصل الثالث:

الكون والحب

ما الفرق بين التسبيح والحمد؟ التسبيح يدرك الإنسان فيه عظمة الله ﷻ وصفاته الجلالية لأن التسبيح هو تنزيه الله ﷻ، والحمد - وهو الشكر العام^{٢٤} - يدرك فيه صفاته الجمالية، أو "الإكرامية"، ويحمده عليها. وكل ما في السماوات وما في الأرض يَسْبِحُ بحمد الله تسييحاً وحمداً فطرياً:

تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (الإسراء، ١٧: ٤٤)

فهذا الحمد يضم حب المخلوقات الفطري الطبيعي لله ﷻ. فالكون كله يحب الله ﷻ. نحن لا نرى أثر هذا الحب ولا نفقه تسييح الكون لله ﷻ؛ كما قال الله ﷻ: **"وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ"**. لكن رسول الله ﷺ كان يفقه ويسمع حب الجماد - الذي ليس له قلب - لله ﷻ وحبه أيضاً له ﷻ. وهذا واضح في أحاديث "حنين الجذع" التي جاءت في صحيح البخاري:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ كَانَ يَقُومُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِلَى شَجَرَةٍ أَوْ نَخْلَةٍ فَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ - أَوْ رَجُلٌ - يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا نَجْعَلُ لَكَ مِئْبَرًا قَالَ: «إِنْ شِئْتُمْ» فَجَعَلُوا لَهُ مِئْبَرًا. فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ دُفِعَ إِلَى الْمِئْبَرِ فَصَاحَتْ النَّخْلَةُ صِيحَاً صَوْبِيٍّ ثُمَّ نَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ فَضَمَّهُ إِلَيْهِ؛ تَبَيَّنَ أَيْنَ الصَّيْبِ الَّذِي يُسَكِّنُ قَالَ: «كَأَنَّكَ تَبْكِي عَلَى مَا كَانَتْ

٢٤ قال ابن كثير في تفسيره، ص ٦٧: "وقال ابن عباس رضي الله عنهما: (الحمد لله) كلمة كل شاكر وقد استدل القرطبي لابن جرير بصحة قول القائل: (الحمد لله) شكراً... فالحمد أعم من الشكر من حيث ما يقعان عليه".

تَسْمَعُ مِنَ الذِّكْرِ عِنْدَهَا»^{٢٥}.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما:

«كان النبي ﷺ يخطب إلى جذع فأتاه فمسح يده عليه»^{٢٦}.

ويؤكد هذه الحقيقة ملكية الخالق ﷻ للخلق، فهو الملك والمالك:

أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ

﴿يونس: ١٠، ٥٥﴾

أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ ۖ ... ﴿يونس: ١٠، ٦٦﴾

ويؤكد هذه الحقيقة أيضاً قنوت الخلق لله:

... وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ كُلُّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴿الرؤم: ٣٠، ٢٦﴾

كما يؤكد هذه الحقيقة تسليم الخلق لله:

أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ

يَرْجِعُونَ ﴿آل عمران: ٣، ٨٣﴾

وكذلك يؤكد هذه الحقيقة سجود الإنسان العاصي -

لله ﷻ:

قال الله ﷻ:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ۗ وَمَنْ

يُهِنَّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ ۖ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿الحج: ٢٢، ١٨﴾

وقال الله ﷻ:

وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظُلُمْلُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٥﴾

٢٥ رواه البخاري رقم ٣٥٨٤، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام.

٢٦ رواه البخاري رقم ٣٥٨٣، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام.

وقال الله ﷻ:

وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ

﴿١٣﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿١٤﴾ (التجل، ١٦: ٤٩-٥٠)

وأخيراً يؤكد هذه الحقيقة طلب وسؤال كل شيء لله ﷻ:

قال ﷻ:

يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢١﴾ (الرحمن، ٥٥: ٢٩).

الإنسان العاصي فقط هو الذي لا يجب الله ﷻ في نفسه العاصية وليس في أجزائه المسبحة لله ﷻ، أي ليس بكيانه - لأن كيانه يجب الله ﷻ -

وهذا معنى من معاني قول الله ﷻ:

... وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ﴿٢٢﴾ ... (الحج، ٢٢: ١٨)

وذلك لعموم قوله ﷻ:

... وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ... (الإسراء، ١٧: ٤٤)

ودليلنا على أن الإنسان يجب الله سبحانه بكيانه حتى لو كانت نفسه عاصية هو أن جلود البشر وحواسهم تشهد عليهم.

قال الله ﷻ:

يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ (النور، ٢٤: ٢٤)

وقال الله ﷻ:

الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٢٦﴾ (يس،

٣٦: ٦٥)

وقال الله ﷻ:

حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ وَقَالُوا لِمَ لُجُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ

أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ (فصلت، ٤١: ٢٠-٢١)

فالكون كله يجب الله ﷻ، وكيف لا؟ وهو خالقه، وبارؤه ومصوره.
قال الله ﷻ:

هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٢﴾ (الحشر، ٥٩: ٢٤).

أما بالنسبة لحب الله خلقه فقد ذكرنا سابقاً أن الله ﷻ قال:

... وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴿١٥٦﴾ (الأعراف، ٧: ١٥٦).

ومع أن الله سبحانه لا يجب فئات الظالمين والكافرين والمشركين
والمنافقين - كما سنرى إن شاء الله - وباستثناء هذه الفئات فالله ﷻ يجب
كل شيء وهذا لا يعني بطبيعة الحال أنه سيلطّف بكل شيء دوماً، فقال:
"وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ" ولم يقل ولطفي وسع كل شيء، ولكن قال:

اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ (الشورى ٤٢: ١٩).

فالله يرزق اللطف لمن يشاء، ولكن رحمته أوسع. والدليل على أن الله
يجب كل شيء خلقه (باستثناء الكافرين والظالمين والمشركين والمنافقين) هو
أن الجمال موجود في كل شيء خلقه، قال ﷻ:
الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ... (السجدة ٣٢: ٧)

فالله ﷻ يجب جماله من خلال الخلق الذي أحسن فيه من جماله، لأنه
«يجب الجمال».

ولكن بطبيعة الحال فإن هذا لا يعني أن حب الله كحب الإنسان لأنه
قال:

... لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ (الشورى ٤٢: ١١)

فالله ﷻ يجب الكون والإنسان لما وضعه فيهما من جمال. إذاً فالله

الحب في القرآن الكريم

يحب جماله ﷻ في الكون، وبالتالي يحب الكون ليس لذات الكون ولكن لما وضعه فيه من جمال، ولكن الإنسان يحب الله لذاته، فالله ﷻ يقول:

... وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ ... (محمد، ٤٧: ٣٨)

ويقول الله ﷻ:

يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ﷻ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ (فاطر، ٣٥: ١٥)

فنحن نسبح الله ﷻ لعظمته ونحمده على رحمته لنا بالرغم من تقصيرنا في عبادته.

٧. الباب الأول؛ الفصل الرابع:

حب الله ﷻ للناس

فضل الله شيء من رحمته، والرحمة - كما رأينا سابقاً - تأتي مع الحب، فينبغي لنا هنا أن نذكر فضل الله بشكل عام على الإنسان كشيء من عموم حبه.

فبعد أن خلق الله ﷻ الإنسان من تراب، نفخ فيه من روحه:

فَإِذَا سَوَّيْتُهُ^١ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ^٢ سَاجِدِينَ^٣ (ص: ٣٨، ٧٢)

الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ^٤ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ^٥ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ^٦ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُّوحِهِ^٧ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ^٨ (السجدة، ٣٢: ٧-٩)

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَلٍ مَّسْنُونٍ^٩ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ^{١٠} وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ^{١١} سَاجِدِينَ^{١٢} فَسَجَدَ الْمَلَأِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ^{١٣} إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ^{١٤} قَالَ يَتَّبِعُكَ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ^{١٥} قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَلٍ مَّسْنُونٍ^{١٦} قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ^{١٧} (الحجر، ١٥: ٢٨-٣٤)

وخلق الله ﷻ الإنسان في أحسن صورة:

اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ^{١٨} وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ^{١٩} (غافر، ٤٠: ٦٤)

خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ^{٢٠} (التغابن، ٦٤: ٣)

يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا عَمَرَكَ رَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦٠﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَلَكَ ﴿٦١﴾ فِي أَيِّ
صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٦٢﴾ (الأنفطار، ٨٢: ٦-٨)

وخلق الله ﷻ الإنسان أيضاً في أحسن تقويم:

وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ ﴿٦٣﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٦٤﴾ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٦٥﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ
فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٦٧﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦٨﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالذِّينِ ﴿٦٩﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴿٧٠﴾
(التين، ٩٥: ١-٨)

وخلق الإنسان على فطرة حنيئة:

بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ
نَاصِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَقَمَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتِ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ
لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٢﴾ (الروم، ٣٠: ٢٩-٣٠)

فبروح الله، وبأحسن صورة، وبأحسن تقويم، وبالفطرة الحنيئة، فضل
الله ﷻ الإنسان تفضيلاً على كثير من الخلق:

وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ
عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴿٧٣﴾ (الإسراء، ٧٠: ٧٠)

فبهذا الفضل، كرّم الله الإنسان حتى على الملائكة وجعله خليفته في
الأرض:

وَلَقَدْ خَلَقْنَكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ

لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿٥٠﴾ (الأعراف، ٧: ١١)

هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٥٣﴾ قَالُوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ۚ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٥٤﴾ قَالَ يَتَّخِذُ أُنثِيَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ۖ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٦﴾ (البقرة، ٢: ٣٤-٣٧)

فبهذا كله تسلّم الإنسان أمانة أكبر من أن تحملها السماوات والأرض والجبال:

إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ تَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٧٢)

وأخيراً لا يفوتنا أن نذكر أنه بالإضافة إلى الفضل العام الذي كرّم الله به كل إنسان كإنسان، فإنه أيضاً كرّم كل إنسان كفردٍ. يقول الله ﷻ:

وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها ۗ إن الله لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ (النحل، ١٦: ١٨)

٢٧ انظر أيضاً إلى: الأعراف، ٧: ١٢-٢٧؛ الإسراء، ١٧: ٦١-٦٥؛ الكهف، ١٨: ٥٠؛ طه، ٢٠: ١١٥-١١٦؛ ص، ٣٨: ٧١-٨٥؛ يونس، ١٠: ١٤؛ الأنعام، ٦: ١٦٥؛ فاطر، ٣٥: ٣٩؛ الأحزاب، ٣٣: ٧٣.

وَمَا بِكُمْ مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ ﴿٥٣﴾ (النحل، ١٦، ٥٣)
 وَآتَيْنَكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٥٤﴾ (إبراهيم، ١٤، ٣٤)
 أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٥٥﴾ (لقمان، ٣١، ٢٠)
 كَلَّا نُمِدُّ هُنُوْلًا وَهُنُوْلًا مِّنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٥٦﴾ (الإسراء، ١٧، ٢٠)



كما رأينا فضل الله الإنسان بشكل عام تفضيلاً عظيماً على المخلوقات، والفضل من الرحمة، والرحمة تأتي مع الحب. ولكن أشار الله ﷻ إلى محبته للناس في حالة اتباعهم للرسول ﷺ:

قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ (آل عمران، ٣، ٣١)

وذكر الله ﷻ قوماً قد يأتون في المستقبل، ويتحلون بصفات معينة:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُم عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ﴿٥٤﴾ (المائدة، ٥، ٥٤)

لكن ذكر الله ﷻ ثمانية أصناف من الناس يحبهم ويفعل مضارع، كما يلي:

١. " المتوكلين " :

فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۚ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ

الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ (آل عمران: ٣: ١٥٩)

٢. " المتطهرين " أو " المطهرين " :

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ ۚ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ

الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ (البقرة: ٢: ٢٢٢)

لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ ۚ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا ۚ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴿١٠٨﴾ (التوبة: ٩: ١٠٨)

٣. " التوابين " :

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ ۚ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ

الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ (البقرة: ٢: ٢٢٢)

٤. " المقسطين " :

سَمِعُورَتَ لِلْكَذِبِ أَكَلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۚ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا ۚ وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ

الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ (المائدة: ٥: ٤٢)

وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ۚ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩٠﴾ (الحجرات، ٤٩: ٩٠)

لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الدِّينِ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩١﴾ (الممتحنة، ٦٠: ٨)

٥. "الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص :

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُورٌ ﴿٩٢﴾ (الصف، ٦١: ٤)

٦. "الصابرين :

وَكَايْنٍ مِّنْ نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِيشُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿٩٣﴾ (آل عمران، ٣: ١٤٦)

٧. "المتقين :

بَلَىٰ مَن أَوفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٩٤﴾ (آل عمران، ٣: ٧٦)
إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٩٥﴾ (التوبة، ٩: ٤)
كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۖ فَمَا اسْتَقِيمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٩٦﴾ (التوبة، ٩: ٧)

٨. " المحسنين " :

وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ

(البقرة: ٢١٥)

الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبَطِ وَالْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ

الْمُحْسِنِينَ (آل عمران: ٣٤)

فَقَاتِلْهُمْ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (آل عمران: ١٤٨)

فِيمَا نَقُضُهُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُخَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ

فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (المائدة: ٥٤)

لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ

(المائدة: ٩٣)

ما هو القاسم المشترك بين هذه الأصناف الثمانية من الناس؟ الجواب أنهم جميعاً يتحلون بأنواع من فضائل النفس. فالتوكل، والطهارة، والتوبة، والقسط، والقتال في سبيل الله، والصبر، والتقوى، والإحسان، كلها فضائل وبالتالي كلها من جمال النفس، الجمال "الداخلي" في الإنسان^{٢٨}. ولذلك ذكرنا سابقاً (في فصل "تعريف الحب") أن حب الله ﷻ هو "حب الجمال"

٢٨ ولذلك فإن الله ﷻ يحب الإتقان. قال رسول الله ﷺ:

«إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه». (رواه الطبراني في المعجم الأوسط، ٢٧٥/١).

فإن الإتقان هو عمل النفس الجميلة، أو العمل الجميل من قبل نفس جميلة، والله أعلم.

كما جاء في الحديث الشريف:

«إن الله جميل يحب الجمال»^{٢٩}.

لكن "الإحسان" أكثر من فضيلة واحدة: بل يشمل جميع الفضائل.

وهذا واضح من حديث جبريل عليه السلام:

«الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»^{٣٠}.

العبادة المخلصة - "كأننا نرى الله جل جلاله" - تحتاج إلى جميع الفضائل.

وهذا هو أصل معنى كلمة "الإحسان"، فـ "الإحسان" من "الحسن"، والحسن جمال، وهو "نقيض القبح"^{٣١}. فالإحسان جمال النفس، أو الجمال الداخلي للإنسان. وهذا يتفق مع وصف حب الله الذي استنبطناه من الحديث الشريف أن حب الله هو "حب الجمال". ففي كل الآيات المذكورة آنفاً كان الله جل جلاله يقول إنه يحب الذين يتحلون بالنفوس الجميلة بدرجات معينة، والله أعلم.

هذا هو ما نفهمه أيضاً من الآية الكريمة التالية:

قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ

٣٢ (آل عمران، ٣: ٣١)

فالله جل جلاله "يُحِبُّ" - أي يحبهم "يحب" أي مزيداً من الحب^{٣٣} -

٢٩ صحيح مسلم، رقم ٩٩، كتاب الإيمان.

٣٠ صحيح مسلم، كتاب الإيمان، حديث رقم ١.

٣١ الزبيدي، تاج العروس، مجلد ١٨، ص ١٤٠.

٣٢ والأصناف الثمانية الذين يحبهم الله جل جلاله هم المتبعون لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم مجموعون بالإجمال في هذه الآية الكريمة.

٣٣ قال الإمام الراغب الأصفهاني:

"وحبيت فلاناً يُقال في الأصل بمعنى أصبت حبة قلبه نحو شغفته وكبدته وفأدته". (المفردات في غريب القرآن، ص ١١٢).

الذين اتَّبَعُوا سُنَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، والذين يَتَّبِعُونَ سُنَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ هم
الفاضلون والمحسنون بالضرورة لأن الرسول ﷺ كان على "خلق عظيم":

وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤٨﴾ (الفلم، ٦٨: ٤٨)

وقد أفاد قوله ﷺ (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ) أن الله
لم يعد أحداً يحبه إلا رسول الله ﷺ، أما بقية الناس فإنه وعدهم بحبه إذا اتبعوا
السنة وذلك من غير أن يعدهم بالنجاح الكامل في هذا. وربما يكون هنالك
- والله أعلم - سرٌ عظيمٌ وهو أن الوحيد الذي يحب الله، والله يحبه، بشكل
تام، هو رسول الله ﷺ. والذي يؤكد هذا الأمر أنه لا يوجد ذكر لإنسان
"يحب الله والله يحبه" في القرآن الكريم بصيغة الحاضر، وإنما الحالة الوحيدة
التي جاءت بهذا الوصف إنما تُخبر عن المستقبل، وهو في الآية الكريمة التالية
(وقد ذكرناها سابقاً):

يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ
عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ
ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ (المائدة، ٥٤: ٥٤)

وسياتي الكلام - إن شاء الله - في موضوع حب الله لرسوله ﷺ في
الفصل القادم فيكفي الإشارة لهذا الموضوع هنا.



يبدو أنه يوجد بين أصناف المؤمنين المذكورين أعلاه تفاوت في
الدرجات والتفضيل: فقد ذكر الله ﷻ المحسنين في كتابه العزيز (خمس
مرات)، ثم المتقين والمقسطين (ثلاث مرات)، ثم الأصناف الخمسة الأخرى
(مرة واحدة).

ومن ناحية أخرى فإن المحسنين والمتقين والصابرين هم الذين يخصهم الله ﷻ بمعيته^{٣٤}، و"معية الله" أمر شائك اختلف العلماء في معناه، وقد ذكر العلماء أن المعية في القرآن الكريم نوعان^{٣٥}:

١. "المعية العامة" وهي أن الله ﷻ مع كل شيء:

فَلَنَقُصَّنَّ عَنْهُمْ بَعْلَمٌ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴿٧٠﴾ (الأعراف: ٧٠)

ومع كل مجموعة من الناس:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧١﴾ (المجادلة: ٥٨: ٧١)

وحتى مع المذنبين:

يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ (النساء: ٤: ١٠٨)

٣٤ بطبيعة الحال هذه المعية تعتبر نوعاً خاصاً من أنواع الحب. فرسول الله ﷺ وضع علاقة الحب بالمعية في قوله:

«المرء مع من أحب». (رواه البخاري، ٦١٦٨ في كتاب الأدب، باب علامة حب الله).

وقوله: لمن قال له ما أعددت للساعة من شيء إلا أنني أحب الله ورسوله، فقال له:

«أنت مع من أحببت». (رواه البخاري، ٣٦٨٨ في كتاب المناقب، باب مناقب عمر بن الخطاب).

٣٥ قال الإمام القشيري في كتابه الرسالة القشيرية، ص ٤٦: " وسأل ابن شاهين الإمام الجنيد عن معنى: (مع) - أي المعية - ، فقال: (مع) على معنيين: مع الأنبياء بالنصرة والكلاءة، قال الله تعالى: {إِنِّي مَعَكُمْ أَصْغَى وَأَزَى} . ومع العامة بالعلم والإحاطة، قال الله تعالى: {مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ} ، فقال ابن شاهين: مثلك يصلح أن يكون دالاً للأمة على الله تعالى.

٢. " المعية الخاصة " وهي أن الله ﷻ مع الأنبياء والمرسلين والمؤمنين:

إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِتْنَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦﴾ (الأنفال، ٨: ١٩)

وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٣٠﴾ (المائدة، ٥: ١٢)

هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٠١﴾ (الحديد، ٥٧: ٤٠)

فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَمُ أَهْلُكُمُ ﴿١٥٠﴾ (محمد، ٤٧: ٣٥)

إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى ۗ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٩٠﴾ (التوبة، ٩: ٤٠)

ومع موسى وهارون:

قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِعَايَتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴿٢٦﴾ (الشعراء، ٢٦: ١٥)

قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴿٢٦﴾ (طه، ٢٠: ٤٦)

ومع موسى بشكل خاص:

قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٢٢﴾ (الشعراء، ٢٦: ٦٢)

فكذلك نُمَيِّز درجتين من "المعية"، وإلا ما معنى قول رسول الله ﷺ "لا تحزن إن الله معنا" إذا كان المقصود أن لا فرق بين معية الله ﷻ لرسوله ولأبي بكر رضي الله عنه في غار ثور وبين معية الله ﷻ للكفار الذين كانوا يحاولون أن يقتلوهما عند غار ثور؟ وما معنى كلمة سيدنا موسى عليه السلام "كلا" إذا كان المقصود هنا أنه لا فرق بين معية الله ﷻ لسيدنا موسى عليه السلام ولفرعون وجنوده؟

ولهذا فإننا نُمَيِّز بين الأصناف الخمسة الذين يحبهم الله ﷻ المذكورين آنفاً من غير ذكر معية (وهم الذين وصفوا بـ "المتوكلين"، "المتطهرين" أو "المطهرين"، "التوابين"، "المقسطين"، "والذين يقاتلون في سبيل الله صفاء كأنهم بنيان مرصوص") والأصناف الثلاثة الذين يحبهم الله والله معهم، وهم:

١. "الصابرين" ٣٦:

يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٣٦﴾ (البقرة، ٢: ١٥٣)

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلْقُوا بِاللَّهِ كَمَ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةُ كَثِيرَةٍ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ (البقرة، ٢: ٢٤٩)

٣٦ ربما يكون في ذكر معية الله ﷻ للصابرين أربع مرات في القرآن الكريم إشارة إلى أن الصبر يحتاج إلى جلد قبل أن يصل الصابر إلى درجة المحسن، والله أعلم.

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتَزَعَّوْا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ

الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ (الأفقال، ٨: ٤٦)

أَلَنْ يَخَفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا

مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٧﴾ (الأفقال، ٨: ٤٦)

٢. "المتقين":

أَلَشَّهَرُ الْحَرَامِ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ فِصَاصٌ فَمَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ

بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٨﴾ (البقرة، ٢: ١٩٤)

إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَتِلُوا

الْمُشْرِكِينَ كُلَّ كَفَّ كَمَا يَقْتُلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٩﴾ (التوبة، ٩: ٣٦)

(٣٦:

يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَتِلُوا الَّذِينَ يُلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلَيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً

وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ (التوبة، ٩: ١٢٣)

٣. "المحسنين":

وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣١﴾ (المنكوت، ٢٩: ٦٩)

والله ﷻ ذكر المحسنين والمتقين، وأشار إلى الصابرين معاً في الآيتين

التاليتين:

وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٣٢﴾

إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿٣٣﴾ (الحل، ١٦: ١٢٧-١٢٨)

فهذا يعني - والله أعلم - أن ثلاثة أصناف من المؤمنين الذين يحبهم الله ("الصابرين" و "المتقين" و "المحسنين") يتميّزون على خمسة أصناف من المؤمنين الذين يحبهم الله ("المتوكلين"، "المتطهرين" أو "المطهرين"، "التوابين"، "المقسطين"، و "الذين يقاتلون في سبيل الله صفاً كأنهم بنيان مرصوص"). ولكن توجد درجات حتى بين الصابرين والمتقين والمحسنين: هذا ما نستنبطه من ذكر "اللام المرحلقة" أو "لام التوكيد" في اللفظ الكريم "وإن الله لمع المحسنين". ولا يفوتنا أن نذكر أن "المحسنين" انفردوا في القرآن الكريم بقرب رحمة الله ﷻ (مع لام "اللام المرحلقة"!):

وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ
مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ (الأعراف، ٧: ٥٦)

وهذا يؤكد أصلاً تعريفنا "للإحسان" آنفاً كجامع لفضائل النفس. فالله ﷻ يجب من كانت نفسه جميلة وبحسب درجة جمال نفسه، فيقول الله ﷻ:

يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ (الشعراء، ٢٦: ٨٨-٨٩)



مع أن الله ﷻ يحب الفاضلين والمحسنين، فرحمته وسعت كل شيء، كما ذكرنا. يُضاف إلى ذلك أن عطاء الله ﷻ الكريم يصل إلى كل شيء بغض النظر عن هل تستحق ذلك أم لا، هبة منه ﷻ بلا مقابل:

كُلًّا نُمِدُّ هُنُوْلًا وَهُنُوْلًا مِّنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿١٧﴾ (الإسراء، ١٧)

(٢٠:)

وحتى مع المؤمنين الفاضلين لا يوجد هناك ربط بين نعمة الله واستحقاق الناس لها:

وَأَتَانَكُمْ مِّنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ۗ إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿١٤﴾ (إبراهيم، ١٤: ٣٤)

وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ (النحل، ١٦: ١٨)

أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهَرَ وَبَاطِنًا ۚ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٣١﴾ (لقمان، ٣١: ٢٠)

وحتى الكفار والظالمين والمشركين والمنافقين فالله ﷻ يمهّلهم برحمته:

وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِّن دَآبَّةٍ وَلٰكِن يُؤْخِرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَلِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَفْخِرُونَ ۖ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿١٦﴾ (النحل، ١٦: ٦١)

وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِّن دَآبَّةٍ وَلٰكِن يُؤْخِرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَلِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴿٤٥﴾ (فاطر، ٣٥: ٤٥)

فالحمد لله،

وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ ۚ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ (القصاص، ٢٨: ٧٠)

٨. الباب الأول؛ الفصل الخامس:

حب الله ﷻ لرسله وأنبيائه

فَضَّلَ اللهُ ﷻ أَنْبِيَاءَهُ وَرَسُولَهُ عَلَى كُلِّ الْخَلْقِ (بِمَا فِيهِمْ أَوْلِيَاؤُهُ):

وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۖ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٥﴾ (الأنعام: ٨٥)

وَأَرْسَلَ اللهُ ﷻ إِلَى كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَوْ نَذِيرًا:

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۚ

وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِنَاقَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَبِرَ

هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ (غافر: ٧٨)

إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٣٥﴾ (فاطر: ٣٥)

وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْنَةٍ إِلَّا هَا مُنْذِرُونَ ﴿٢٨﴾ (الشعراء: ٢٨)

تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ

عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ (التحل: ١٦، ١٧)

مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٧﴾

(فصلت: ٤١، ٤٣)

قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مِّن الرُّسُلِ وَمَا أَدْرَى مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ۖ إِن أَتَّبِع إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَىٰ

وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩٠﴾ (الاحقاف: ٩٠)

وذكر الله ﷻ أسماء خمسة وعشرين من الأنبياء والمرسلين في القرآن

الكريم، ثمانية عشر منهم في الآيات التالية:

وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ ۖ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ

عَلِيمٌ ﴿١٢٤﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۚ وَمِن

دُرِّيَّةٍ لَهُ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانُ ۚ وَأَيُّوبَ ۚ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ ۚ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ

﴿٤٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَىٰ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾ وَمِنْ ءَابَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٧﴾ (الأنعام: ٦١-٨٣-٨٧)

والسبعة الباقون الذين لم يذكروا في الآيات أعلاه ولكنهم ذُكروا بالاسم في القرآن الكريم هم: إدريس عليه السلام، ذو الكفل عليه السلام، شعيب عليه السلام، هود عليه السلام، صالح عليه السلام، وسيدنا محمد عليه السلام. واختلف العلماء في الخضر - وهو المذكور مع موسى عليه السلام (في سورة الكهف، ١٨: ٦٠-٨٢) - هل كان نبياً أو ولياً.

إن كل رسول نبي ولكن ليس كل نبي رسولاً. قيل في الأحاديث المختلفة إنه كان عبر التاريخ أربعة وعشرون ومائة ألف نبي وخمسة عشر وثلاثمائة رسولاً^{٣٧}. والرسول هو الذي يأتي بشريعة جديدة والنبي هو الذي ينبي الناس نبأً من الله عن شريعة جاءت مع رسول^{٣٨}. نعلم أن الله جل جلاله أكد

٣٧ جاء في الحديث عن أبي ذر رضي الله عنه قال:

يا رسول الله: كم الأنبياء؟ فقال: «مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً» فقال: كم المرسلون منهم؟ قال: «ثلاثمائة وخمسة عشر، جماً غفيراً». (رواه أحمد في المسند، ٥/ ٢٦٥-٢٦٦، وابن حبان في صحيحه، ٢/ ٧٧).

٣٨ قال ابن أبي شريف: "وقد تحصل في معنى النبي والرسول ثلاثة أقوال: الفرق بينهما بالأمر بالتبليغ وعدمه وهو الأول المشهور، والفرق بأن الرسول مَنْ له شريعة وكتاب أو نسخ لبعض شريعة متقدمة على بعثته، وكونهما بمعنى واحد وهو الذي عزاه للمحققين، وهو يقتضي اتحاد عدد الأنبياء والرسول". (ابن أبي شريف، المسامرة في العقائد، ص ١٩٤). وقال الأستاذ عبد القاهر البغدادي أثناء سرده للأمر التي اتفق عليها أهل السنة والجماعة في كتاب (الفرق بين الفرق) في تعريف الرسول والنبي: "أن كل مَنْ نزل عليه الوحي من الله تعالى على لسان مَلَك من الملائكة وكان مؤيداً بنوع من الكرامات الناقضة للعادات فهو نبي، ومن حصلت له هذه الصفة وخصَّ أيضاً بشرع جديد أو بنسخ بعض

أن اثني عشر من الأنبياء الذين سماهم في القرآن الكريم هم رسل أيضاً، وخمسة منهم مذكورون في الآية الكريمة التالية:

شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ

أحكام شريعة كانت قبله فهو رسول". (الأستاذ عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق، ص ٣٤٢).

فالتعريف الصحيح والدقيق في تعريف كل من النبي والرسول والفرق بينهما، أن الرسول هو: "مَنْ أُوْحِيَ إِلَيْهِ بِشَرْعٍ جَدِيدٍ وَأُمِرَ بِتَبْلِيغِهِ"، والنبي هو: "مَنْ أُوْحِيَ إِلَيْهِ بِشَرْعٍ رَسُولٍ وَأُمِرَ بِتَبْلِيغِهِ"، فكل منهما بُعِثَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﷻ ومأمور بالتبليغ، لقوله ﷻ:

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَعَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُخَوِّصُ اللَّهُ إِلَيْنَا ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ (الحج، ٢٢: ٥٢)

وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قُرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالنَّبَاسِ ۚ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ ﴿٧٠﴾ (الأعراف، ٧٠: ٩٤)

ولا أدل على ذلك أيضاً من قوله ﷻ:

وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَى ۚ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿١٠٧﴾ وَنَذَرْنَاهُ مِنَ الْجَانِّ أَيْمَنًا وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيبًا ﴿١٠٨﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿١٠٩﴾ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿١١٠﴾ (مريم، ١٩: ٥٤-٥١)

بَيَّنَّ اللَّهُ ﷻ هنا الفرق بين وظيفة الرسول ووظيفة النبي: فسيدنا موسى ﷺ هو الرسول الذي أُرْسِلَ بِشَرِيعَةٍ جَدِيدَةٍ وَهِيَ فِي التَّوْرَةِ، وسيدنا هارون ﷺ هو النبي الذي أُمِرَ بِتَبْلِيغِ التَّوْرَةِ وَشَرِيعَةِ سَيِّدِنَا مُوسَى ﷺ. أيضاً، إلا أن الله ﷻ أكرم سيدنا هارون ﷺ بشيء من وظيفة الرسالة، وذلك بطلب أخيه موسى ﷺ، فالله ﷻ يقول:

وَيَصْبِقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ ﴿١٢٠﴾ وَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿١٢١﴾ قَالَ كَلَّا ۚ فَادْهَبَا بِأَقْبَابِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴿١٢٢﴾ (الشعراء، ٢٦: ١٣-١٥)،

والدليل القاطع على أن سيدنا هارون ﷺ كان له شيء من الرسالة لما أُرْسِلَ مع سيدنا موسى ﷺ هو قول الله ﷻ:

فَأَتَيْنَاهُ فَقَوْلَا إِنَّا رُسُلَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ ۚ وَالسَّلَامُ عَلَيْنَا ۖ مَنْ أَتَّبَعَ الْهُدَىٰ ﴿٢٥﴾ (طه، ٢٠: ٤٧).

وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۗ
 اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾ (الشورى، ٤٢: ١٣)

وهؤلاء هم - أولو العزم من الرسل - وهم خمسة (نوح وإبراهيم
 وموسى وعيسى ومحمد عليهم جميعاً الصلاة والسلام)، أخبرنا الله ﷻ أن
 الأنبياء المذكورين تالياً هم رسل أيضاً:

١. هود عليه السلام:

إِذْ قَالَ هُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ (الشعراء، ٢٦: ١٢٤-١٢٥)

٢. صالح عليه السلام:

إِذْ قَالَ هُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٧﴾ (الشعراء، ٢٦: ١٢٦-١٢٧)

٣. لوط عليه السلام:

إِذْ قَالَ هُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٨﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٩﴾ (الشعراء، ٢٦: ١٢٨-١٢٩)

٤. إسماعيل عليه السلام:

وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَبِيًّا ﴿٥٤﴾ (مريم، ١٩: ٥٤)

٥. يوسف عليه السلام:

وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ ۚ حَتَّىٰ
 إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا ۚ كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ

مُرْتَابٌ ﴿٤٠﴾ (غافر، ٤٠: ٣٤)

٦. شعيب عليه السلام:

إِذْ قَالَ هُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ (الشعراء، ٢٦: ١٧٧-١٧٨)

٧. إِيَّاسَ عليه السلام ٣٩:

وَإِنَّ إِيَّاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٩﴾ (الصافات، ٣٧: ١٢٣)

٨. يُونُسَ عليه السلام:

وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٤١﴾ (الصافات، ٣٧: ١٣٩)

٩. هَارُونَ عليه السلام:

فَأَتَيْنَاهُ فَقَوْلَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَا تَعْدِيهِمْ ۖ قَدْ جِئْنَاكَ بِبَيِّنَةٍ مِّنْ رَبِّكَ ۖ وَالسَّلَامُ عَلَيْنَا مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ ﴿٤٧﴾ (طه، ٢٠: ٤٧).

١٠. دَاوُدَ عليه السلام ٤٠:

إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَآلَ إِسْحَاقَ وَعِيسَىٰ وَآيُوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ۚ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زُبُورًا ﴿٥١﴾ (النساء، ٤: ١٦٣)

وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زُبُورًا ﴿٥٢﴾ (الإسراء، ١٧: ٥٥)

٣٩ سيدنا إِيَّاس وسيدنا يونس عليهما السلام كانا من الرسل، لأن كلمة "الْمُرْسَلِينَ" تعني رسولاً.

٤٠ ليس واضحاً لنا هل كان سيدنا داود عليه السلام نبياً أم رسولاً، وهذا يعتمد على أنه هل كان كتابه "الزبور" مستقلاً عن شريعة سيدنا موسى عليه السلام أم مقررراً ومؤكداً لها؟ وربما يُقال إن سيدنا داود عليه السلام إذا كان نبياً فقط أنه هو النبي الوحيد الذي نعلم أن الله جلَّ جلاله آتاه كتاباً وهو "الزبور"، وربما يكون في الآية الكريمة التالية إشارة إلى هذا التفضيل الإلهي بين الأنبياء:

وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زُبُورًا ﴿٥٢﴾

(الإسراء، ١٧: ٥٥)

لا يجوز للمؤمنين أن يفرقوا بين أحد من رسل الله ﷺ:

ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ۚ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللّٰهِ وَمَلَكِهِ وَكُتُبِهِ
وَرُسُلِهِ ۚ لَا تَفْرِقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ
الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ (البقرة: ٢٨٥)

قُولُوا ءَامَنَّا بِاللّٰهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا تُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ
مِّنْهُمْ وَخُنْ لَهُمْ مِّنْهُمْ مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ (البقرة: ١٣٦)

قُلْ ءَامَنَّا بِاللّٰهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا تُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ
وَنَحْنُ لَهُمْ مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٧﴾ (آل عمران: ٨٤)

إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللّٰهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا
نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٣٨﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ
الْكَاذِبُونَ حَقًّا ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٣٩﴾ (النساء: ١٥٠-١٥١)

مع ذلك لا بد أن يلاحظ الإنسان أن الله ﷻ فضل بعض الرسل على
بعض:

تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ مِّنْهُمْ مَّنْ كَلَّمَ اللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ۚ
وَأَتَيْنَا عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ۖ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَتَلَ الَّذِينَ
مِن بَعْدِهِمْ مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَّنْ كَفَرَ
ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُفَعِّلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ (البقرة: ٢٥٣)

فالله ﷻ ذكر "أولي العزم" من الرسل:

فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ ۚ بَلِّغْ ۚ فَهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٥﴾ (الأحقاف، ٤٦: ٣٥)

وقد ورد في حديث صحيح^{٤١} أن "أولي العزم" من الرسل هم الرسل الخمس المذكورون في الآيتين التاليتين:

شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿٣﴾ (الشورى، ٤٢: ١٣)

وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٦﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٧)

فهؤلاء الخمسة هم أولو العزم من الرسل، وهم صفوة صفوة البشر وصفوة صفوة الخلق. وذكر الله ﷻ ما يشير إلى حبه لكل واحد منهم بطريقة مختلفة كما سنبين فيما يلي:

١. سيدنا نوح ﷺ:

ذكر الله ﷻ أن نوحاً ﷺ بأعينه، كما أنه ﷻ ذكر أن نوحاً صنع الفلك بناءً على الوحي:

فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَوَحَيْنَا... (المؤمنون، ٢٣: ٢٧)

وَأَصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَوَحَيْنَا... (هود، ١١: ٣٧)

٢. سيدنا إبراهيم ﷺ:

ذكر الله ﷻ أنه أتى إبراهيم صحفًا:

٤١ رواه الحاكم في المستدرک على الصحيحین (برقم ٤٠٠).

إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴿١٩﴾ (الأعلى، ٨٧: ١٨-١٩)

وذكر الله ﷻ أن إبراهيم عليه السلام خليله:

... وَأَخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ (النساء، ٤: ١٢٥)

وكان إبراهيم عليه السلام بدوره أواه في حبه لله:

... إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ (التوبة، ٩: ١١٤)

إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴿٧٥﴾ (هود، ١١: ٧٥)

٣. سيدنا موسى عليه السلام:

ذكر الله ﷻ أنه أتى موسى صحنًا من السماء وألواحًا وتوراة:

إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴿١٩﴾ (الأعلى، ٨٧: ١٨-١٩)

أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ﴿٣٦﴾ (النجم، ٥٣: ٣٦)

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضَبَ عَلَيْهِمْ أَسْفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى الْأَلْوَحَ وَآخِذٌ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ

﴿١٥﴾ (الأعراف، ٧: ١٥٠)

وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَحَ ۖ وَفِي نُحُوتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ

لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ (الأعراف، ٧: ١٥٤)

نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٣٠﴾ (آل

عمران، ٣: ٣٠)

وذكر الله ﷻ أن موسى عليه السلام نجيته:

... وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًا ﴿٥٢﴾ (مريم، ١٩: ٥٢)

وأنه كان عند الله ﷻ وحيها:

يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ

وَجِيهًا ﴿٢٦﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٦٩)

وَأَنَّ اللَّهَ ۖ أَلْقَىٰ عَلَيْهِ مَحَبَّتَهُ وَأَنَّهُ اصْطَنَعَهُ عَلَىٰ عَيْنِهِ:

... وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٢٦﴾ (طه، ٢٠: ٣٩)

وَأَنَّ اللَّهَ ۖ اصْطَفَىٰ مُوسَىٰ لِنَفْسِهِ:

وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٢٦﴾ (طه، ٢٠: ٤١)

ولهذا كان موسى ﷺ بدوره " أول المؤمنين ":

... وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٦﴾ (الأعراف، ٧: ١٤٣)

وكما رأينا سابقاً ذكر الله ﷻ أنه كان مع موسى وهارون عليهما

السلام، ومع موسى ﷺ بشكل خاص:

قَالَ كَلَّا ۖ فَاذْهَبَا بِأَيَّتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴿٢٦﴾ (الشعراء، ٢٦: ١٥)

قَالَ كَلَّا ۖ إِن مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٢٦﴾ (الشعراء، ٢٦: ٦٢)

٤. سيدنا عيسى ﷺ:

ذكر الله ﷻ أنه أتى سيدنا عيسى ﷺ الإنجيل، قال الله ﷻ:

وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿١٨﴾ (آل عمران، ٣: ٤٨)

وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ ۖ وَءَاتَيْنَاهُ

الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ

﴿٤٦﴾ (المائدة، ٥: ٤٦)

إِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ

الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ

وَالْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ خَلَقَ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنَفَّخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي ۖ وَتُبْرِئُ
الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ
عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾

(المائدة، ٥: ١١٠)

ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي
قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَافَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ
رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَآتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ
فَسِقُونَ ﴿٢٧﴾ (الحديد، ٥٧: ٢٧)

وذكر الله ﷻ أنه جعل عيسى عليه السلام مثلاً لبني إسرائيل:

إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٢٨﴾ (الزخرف، ٤٣: ٥٩)

وكذلك ذكر الله ﷻ أنه أعطى عيسى عليه السلام آيات منه، كما أعطى بعض
الأنبياء والرسل من قبله ٤٢:

وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْ مِنْ التَّوْرَةِ وَلَا حِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي جُرِّمَ عَلَيْكُمْ
وَجِئْتُمْ بِقَايَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۖ (آل عمران، ٣: ٥٠)

قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا
وَأَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ ۖ وَآرْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٤﴾ (المائدة، ١١٤)

٤٢ ذكر الله ﷻ أن بعض الرسل (والأنبياء) جاءوا بآيات بإذن الله ﷻ (انظر إلى: الرعد، ١٣:
٣٨؛ غافر، ٤٠: ٧٨)، فمهمهم صالح عليه السلام (انظر إلى: الأعراف، ٧: ٤٣؛ هود، ١١: ٦٤)،
وزكريا عليه السلام (انظر إلى: آل عمران، ٣: ٤١؛ مريم، ١٩: ١٠)، ونوح عليه السلام (انظر إلى:
العنكبوت، ٢٩: ١٥)، وإبراهيم عليه السلام (انظر إلى: آل عمران، ٣: ٩٧)، وموسى وهارون
عليهما السلام معاً (انظر إلى: طه، ٢٠: ٤٧). ولكن موسى عليه السلام أعطي أكثر من آية (انظر
إلى: الإسراء، ١٧: ١٠١؛ طه، ٢٠: ٢٢؛ الأعراف، ٧: ١٣٣). وربما تكون أعظم آية هي التي
أعطيت لسيدنا محمد ﷺ وهي آية شق القمر (انظر إلى: القمر، ٥٤: ١-٢).

ولكن بينما أعطي بعض الرسل والأنبياء آية أو آيات، جعل الله ﷺ عيسى نفسه آية، هو وأمه:

وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾
(الأنبياء، ٩١)

وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٢٣﴾ (المؤمنون، ٢٣: ٥٠)

وإضافة إلى ذلك، فإن الله ﷻ جعل عيسى وآله آية للناس ورحمة منه:

قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ ۖ وَلَنَجْعَلَنَّ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ﴿١٩﴾ (مريم، ١٩: ٢١)

وذكر الله ﷻ أيضاً أن عيسى هو المسيح وكلمة الله وروح منه:

... إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ
ط
... (النساء، ٤: ١٧١)

وذكر الله ﷻ أن عيسى وآله وحيه في الدنيا والآخرة ومن المقربين (وهو الوحيد من البشر الذي سمي بالاسم كأحد من "المقرّين" في القرآن الكريم):

إِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ يَمْرُؤُكُمْ إِنَّ اللَّهَ يَبْشِرُكُمْ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١٥﴾ (آل عمران، ٣: ٤٥)

وذكر الله ﷻ أنه وآله محمي وأمه، من الشيطان الرجيم:

فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَئِنْ أَلَدْتُ كَأُنْثَىٰ ۖ
وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٢١﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرُؤُكُمْ أَنَّىٰ لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ

يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٦﴾ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۚ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٧﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيٰى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّٰلِحِينَ ﴿٣٨﴾ (آل عمران، ٣٦-٣٩)

وَذَكَرَ اللَّهُ ﷻ أَنَّهُ رَفَعَ عِيسَى النَّاصِرَةَ إِلَيْهِ:

بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ۖ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٤٠﴾ (النساء، ٤٠: ١٥٨)

وربما نجد في الآية التالية إشارة إلى تفضيل عيسى عليه السلام على الرسل من قبله:

تِلْكَ الْأَرْسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ مِّنْهُمْ مَّنْ كَلَّمَ اللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ۚ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ... (البقرة، ٢: ٢٥٣)

٥. سيدنا محمد ﷺ:

أما بالنسبة لسيدنا محمد ﷺ، فإن الله ﷻ آتاه القرآن الكريم:

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ ﴿٥١﴾ (الحجر، ١٥: ٨٧)

فسيدنا محمد ﷺ، هو خاتم الأنبياء والمرسلين:

... وَلٰكِنْ رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ... (الأحزاب، ٣٣: ٤٠) (انظر إلى: الأنعام، ٦: ١٩؛

يوسف، ١٢: ٣؛ طه، ٢٠: ٢؛ ١١٤؛ القصص، ٢٨: ٨٥؛ الإنسان، ٧٦: ٢٥)

"الخاتم" يعني "الأخير" ولكن المقصود أيضاً "القمة"، لذلك فسيدنا محمد ﷺ هو الأول أيضاً - "أول من أسلم"، و"أول المسلمين"، و"أول العابدين":

... أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ... (الأنعام، ٦: ١٤)

... أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ (الزمر، ٣٩: ١٢)

... أَوَّلُ الْعَبِيدِينَ ﴿١٣﴾ (الزخرف، ٤٣: ٨١)

وهذا الفضل كله دليل على محبة الله ﷻ لسيدنا محمد ﷺ، فإذا كان الله ﷻ قد قال عن سيدنا موسى عليه السلام ﴿... وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ (طه: ٢٠) ولسيدنا نوح عليه السلام ﴿وَأَصْنَعُ الْفُلَكَ بِأَعْيُنِنَا...﴾ (هود، ١١: ٣٧) فإنه قال لسيدنا محمد ﷺ ﴿... فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا...﴾ (الطور، ٥٢: ٤٨) من غير تحديد^{٤٣}.

وأضاف إلى ذلك صلاة خاصة من الله وملائكته على سيدنا محمد ﷺ: **إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴿٥٦﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٥٦)

وكان الله معه ومع صاحبه، كما رأينا سابقاً، بـ"المعية الخاصة" في غار ثور:

إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى^{٤٤} وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا^{٤٥} وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ (التوبة، ٩: ٤٠)

ورفع الله ﷻ ذكره:

وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٩٤﴾ (الشرح، ٩٤: ٤)

وفضله الله ﷻ وأنزل عليه الكتاب والحكمة وعلمه علماً جديداً:

٤٣ وما يُبين التفاضل بينهما عليهما الصلاة والسلام قول سيدنا موسى لله ﷻ كما جاء في القرآن الكريم: **وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى** ﴿٩٤﴾ (طه، ٢٠: ٨٤) لكن سيدنا محمداً ﷺ قال له رب العزة سبحانه: **وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى** ﴿٩٣﴾ (الضحى، ٩٣: ٥). فهذا يعني أنه كان على سيدنا موسى عليه السلام طلب الرضا، بينما كان الرضا وهب إلهي لسيدنا محمد ﷺ.

وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ هَمَّتْ طَافِقَةٌ مِّنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ ۚ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ (النساء، ٤: ١١٣)

ووصفه ﷺ بأنه "كريم":

إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٩﴾ (الحاقة، ٤٩: ٤٩)

ومدحه ﷺ لخلقه:

وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٦٨﴾ (القلم، ٦٨: ٤)

لدرجة أن نوره ﷺ كان يسطع:

يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنْ أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٦﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٧﴾ (الأحزاب، ٤٦-٤٧)

وأنه ﷺ كان نوراً مبيناً:

يَأْتَاهُلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥٠﴾ (المائدة، ١٥٠)

ووصفه الله أنه "أسوة حسنة" لمن كان "يرجو الله" (والرجاء يتضمن معنى الحب):

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ (الأحزاب، ٢١: ٢١)

ويلاحظ أن الحالة الأخرى التي وصف الله ﷺ في القرآن الكريم غير سيدنا محمداً ﷺ بأنه "أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ" هو سيدنا إبراهيم عليه السلام وأصحابه (ولكن سيدنا محمداً ﷺ انفرد بوصف "أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ" لوحده):

قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْغَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْتَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿١١٠﴾ (المتنحة، ٦٠: ٤)

وخصَّ سيدنا محمد ﷺ بتسميته " ذُكِرَ اللَّهُ " :

أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا ۚ قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١١١﴾ رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴿١١٢﴾ (الطلاق، ٦٥: ١١-١٠)

وفسر الراغب الأصفهاني هاتين الآيتين كالتالي:

"قوله: ﴿ قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا رَسُولًا ﴾ فقد قيل الذكر هاهنا وصف للنبي ﷺ كما أن الكلمة وصف لعيسى عليه السلام من حيث إنه بُشِّرَ به في الكتب المتقدمة، فيكون قوله ﴿ رَسُولًا ﴾ بدلاً منه. وقيل ﴿ رَسُولًا ﴾ مُتَّصِبٌ بقوله ﴿ ذِكْرًا ﴾ كأنه قال قد أنزلنا إليكم كتابا ﴿ ذِكْرًا ﴾ رسولاً يتلوا...." ٤٤.

ومن ذلك فإن بيعته ﷺ هي بيعة الله ﷻ، ومن وضع يده بيده، فإن يد الله ﷻ فوق أيديهم:

إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۖ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ (الفتح، ٤٨)

(١٠٠:

ولذلك فإن رسول الله ﷺ رحمة للعالمين:

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾ (الأنبياء، ٢١: ١٠٧)

وأخيراً يبين الله حبه لرسوله محمد ﷺ في الآية التالية كما ذكرنا سابقاً:

قُلْ إِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

(آل عمران، ٣: ٣١)

فمن هذه الآية نفهم أن سيدنا محمداً ﷺ هو "حبيب الله" وهو الوحيد الذي يوصف بوصف "الإحباب" - وهو "الحب" أو شدة الحب كما رأينا سابقاً - بشكل قطعي دون أن يكون مشروطاً بشيء. وهذا التفسير يثبتته الحديث الشريف المعروف:

«أنا حبيب الله ولا فخر»^{٤٥}.

فالله ﷻ فضّل الرسل والأنبياء على العالمين، وفضّل الرسل على الأنبياء وفضّل أولي العزم من الرسل في محبته الخاصة على سائر الرسل، وجعل سيدنا محمداً ﷺ حبيبه.

٤٥ رواه الدارمي في سننه رقم ٤٧ في المقدمة، والترمذي في سننه رقم ٣٦١٦ في كتاب المناقب.

٩. الباب الأول؛ الفصل السادس:

الذين لا يحبهم الله ﷻ

على الرغم من فضل الله ﷻ على الإنسان بشكل عام، فإنه يوجد في القرآن الكريم ذكر اثني عشر صنفاً من الناس لا يحبهم الله ﷻ، وهم:

١. "الكافرين":

قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ^ط فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾ (آل عمران، ٣: ٣٢)

لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ ^ع إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٤٥﴾ (الروم، ٣٠: ٤٥)

٢. "كل كفار أثيم":

يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ ^ط وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿١٦٦﴾ (البقرة، ٢: ٢٧٦)

٣. "المعتدين":

وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتَلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ^ع إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ (البقرة، ٢: ١٩٠)

يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْزَمُوا ^ع طَبِيبَتٍ مَا أَحَلَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ^ع إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ (المائدة، ٥: ٨٧)

أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ^ع إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ (الأعراف، ٧: ٥٥)

٤. "المختال الفخور" أو "كل مختال فخور":

وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ
وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا
مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ (النساء، ٤: ٣٦)

وَلَا تُصَغِّرْ حَدْكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ
فَخُورٍ ﴿٣٧﴾ (لقمان، ٣١: ١٨)

لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ
﴿٣٨﴾ (الحديد، ٥٧: ٢٣)

٥. "الخَوَّانُ الْأَثِيمُ":

وَلَا تُجَدِّلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿٣٩﴾
(النساء، ٤: ١٠٧)

٦. "كل خَوَّان كُفُورٌ":

إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كُفُورٍ ﴿٤٠﴾ (الحج، ٢٢: ٣٨)

٧. "الْخَائِنِينَ":

وَمَا تَخَافُ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٍ فَانْذِرْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴿٤١﴾
(الأنفال، ٨: ٥٨)

٨. "المُفْسِدِينَ":

وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ۚ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ
كَيْفَ يَشَاءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۚ وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ
الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۚ كُلَّمَا أَوقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِي

الْأَرْضِ فَسَادًا ۖ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ (المائدة: ٦٤)

وَاتَّبِعْ فِيمَا ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِنَ
كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَتَّبِعِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾

(القصص: ٢٨٠، ٧٧)

٩. "المسرفين" :

وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكُلُهُ
وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ۚ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ
يَوْمَ حَصَادِهِ ۖ وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٣١﴾ (الأعراف: ٦٠، ١٤١)

يَبْنِي ءَادَمَ خُدُوًا زَيْنَتُكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ
الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ (الأعراف: ٧، ٣١)

١٠. "الفرحين" :

إِنَّ قُرُونًا كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ
لَتَتَوَّأَلُ بِالْعِصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٦٦﴾

(القصص: ٢٨٠، ٧٦)

١١. "الظالمين" :

وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمُ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾

(آل عمران: ٣، ٥٧)

إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ
اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٠﴾ (آل عمران: ٣٠، ١٤٠)

وَحَزَنُوا سَيِّئَةً سَيِّئَةً مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ

(الشورى، ٤٢: ٤٠)

١٢. "المستكبرين":

لَا جَرَمَ أَنْ اللَّهُ يَعْلَمَ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ

(النحل، ١٦: ٢٣)

وإضافة إلى ذلك لا يحب الله الأعمال السيئة:

لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا

(النساء، ٤٤: ٤٦)

... وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ

(البقرة، ٢: ٢٠٥)

فالله ﷻ لا يحب اثني عشر صنفاً من الناس وهو يحب ثمانية أصناف من المؤمنين. والقاسم المشترك بين الأصناف الاثني عشر هو قبح النفس المتمثل في الإقدام على المعاصي وعدم الانقياد لله ﷻ ومخالفة أمره، كما سبق أن رأينا أن القاسم المشترك بين الأصناف الثمانية من المؤمنين هو جمال النفس. فهل هذا يعني أن الله ﷻ يكره أكثر مما يحب؟ أو هل هذا يعني أنه يوجد تماثل بين حب الله للمؤمنين وكرهه للظالمين؟ كلا! لأن عدم الحب شيء محايد، ونقيض الحب هو الكره، فعدم الحب للكافرين والظالمين على اختلاف أنواعهم لا يعني أن الله يكرههم ولا يعني أنه يوجد أي تماثل بين

٤٦ ولا يفوتنا أن نذكر هنا أن الله لا يرضى بعض الأمور مثل الكفر:

إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ ... (النساء، ٤: ١٠٨)

... وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ... (الزمر، ٣٩: ٧)

... فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ

(التوبة، ٩: ٩٦)

محبة الله للمؤمنين الفاضلين وعدم حبه للكافرين والظالمين. فـالله ﷻ لم يذكر مرة واحدة في القرآن الكريم أنه يكره أحداً أو أي صنف من الكافرين. الله ﷻ يكره فقط العمل السيء، أو شره. وأقرب ما يصل إلى كره الله ﷻ هو

فعل معين ويخص المنافقين الذين هم ... **فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ** ... (النساء: ٤٥: ١٤٥)

وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا

مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٤٦﴾ (التوبة: ٩: ٤٦)

وكذلك ذكر الله ﷻ أن "سيئة" بعض الأعمال هي "مكروهة" عنده.

يقول الله ﷻ:

لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْدُولًا ﴿١١﴾ * وَفَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿١٢﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿١٣﴾ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غُفُورًا ﴿١٤﴾ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿١٥﴾ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ ط وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿١٦﴾ وَإِمَّا تَعْرِضْ عَنْهُمْ أَتَبَغَاءَ رَحْمَةِ مِن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿١٧﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿١٨﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٩﴾ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ حَشِيَّةً ۖ اِمْلَقِي حُنَّ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِن قَتَلْتُمْ كَانَ خَطَاكُمْ كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ وَلَا تَقْرُبُوا الزَّوْجَ ۖ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٢١﴾ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۖ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ ۖ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۚ

وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَاتِبٌ مَسْئُولٌ ﴿٢٦﴾ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ
 الْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٢٧﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ
 وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن
 تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٢٩﴾ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا
 ﴿٣٠﴾ ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ ۚ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي
 جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا ﴿٣١﴾ (الإسراء، ١٧: ٢٢-٣٩)

ويلاحظ أن في نص الآية الكريمة: "كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ
 مَكْرُوهًا" ﴿٣٠﴾ درجتين من البعد عن فكرة كره الله ﷻ للظالمين والكافرين
 بأعينهم: الدرجة الأولى هي أن سيئة المعاصي هي المكروهة عند الله ﷻ
 وليست المعاصي بعينها، والدرجة الثانية هي أن الله ﷻ قال إن سيئة المعاصي
 "مكروهة" عنده ولم يقل إنه يكره المعاصي، والله أعلم.
 فالله ﷻ بيّن في القرآن الكريم أنه لا يكره أحداً بل ويجب كل شيء
 باستثناء الكافرين والظالمين والمشركين والمنافقين وبعض أعمالهم، وهذا
 صحيح حتى في شدة إنكار الله ﷻ لأسوء أعمال الكافرين، وعند لعنه لهم:
 وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ
 لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٣٢﴾ (النساء، ٤: ٩٣)

قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ
 الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ ۚ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٣٣﴾
 (المائدة، ٥: ٦٠)
 وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ ۚ بِاللَّهِ ظَرْبُ
 السَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ
 مَصِيرًا ﴿٣٤﴾ (الفتح، ٤٨: ٦)

فإنه يوجد في كل هذا لعن إلهي، وغضب إلهي، وعذاب شديد، وعدم حُب لهم من قِبَل الله ﷻ، ولكن لا يوجد كُره من الله ﷻ للكافرين بذواتهم. فبما أن الله ﷻ لم يذكر أنه يكره الكافرين، فلا يجوز لنا أن نقول ذلك^{٤٧}.

٤٧ بعض العلماء خالفوا هذا الرأي، وقالوا إن الله يكره الكافرين. ومنهم مفتي الديار المصرية الأسبق الشيخ حسنين محمد مخلوف رحمه الله، حيث يقول في كتابه: " كراهة الله تعالى لعبده: ومعنى كراهة الله تعالى لعبده غضبه عليه ومقته له وسخطه عليه وعدم رضاه عنه والختم على قلبه وسمعه وبصره، والطبع عليه، ولعنته ونقمته، وإذلاله وإهانته، وتعذيبه في الآخرة وعقوبته، وحرمانه في الدنيا من هدايته وتوفيقه، ومن الإنعام عليه والإحسان إليه والعون له - إلا إملاءً واستدراجاً - وذلك جزاء كفره أو نفاقه، أو فسوقه وعصيانته، أو إفساده أو طغيانه، أو ظلمه وعدوانه، أو تعاطفه وتجبره، أو اختياله وتكبره، ونحو ذلك من المعاصي والموبقات والآثام والمنكرات آيات فيمن يكرههم الله تعالى: وكذلك جاء في القرآن العظيم فيمن يكرههم الله تعالى من عباده ويمقتهم ويلعنهم ويغضب عليهم ويعاقبهم جزاء كفرهم وعصيانهم وجحودهم حقوق ربهم ومحاربتهم إياه آيات كثيرة ... " (الشيخ حسنين محمد مخلوف، من وحي القرآن الكريم، فيمن يحبهم الله تعالى، وفيمن يكرههم الله تعالى من عباده، ص ٥).

ولكن بالنسبة لنا نقول: بما أنه لم يرد أن الله ﷻ ذكر في القرآن الكريم أنه يكره أحداً، لا يليق للعبد أن يصف الله ﷻ بما لم يرد. فالله ﷻ ذكر وجهاً في قوله ﷻ: **وَيَتَقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ** (الرحمن: ٥٥: ٢٧) **فَأَتَيْنَا نُوْلُوا فَنَمَّ وَجْهَ اللَّهِ** (البقرة: ١١٥) وذكر يداً في قوله ﷻ: **يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ** (الفتح: ٤٨: ١٠)، وذكر أعيناً في قوله ﷻ: **وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا** (الطور: ٥٢: ٤٨) - بغض النظر عن كيفية فهمنا لهذه الألفاظ الكريمة - وقد ذكر الله ﷻ لفظ كلماته في قوله ﷻ: **وَنُحِىَ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ** (يونس: ١٠: ٨٢) وفي آيات أخرى، فهل يجوز أو يليق بالعبد أن يقول بأن الله ﷻ له قم؟ حاشى لله سبحانه وتعالى! فالله ﷻ ذكر أنه لا يحب الكافرين ويكره بعض أعمالهم ويغضب عليهم ويلعنهم وأعد لهم جهنم وأعد لهم عذاباً عظيماً، ولكن مع هذا كله لم يذكر أنه يكره الكافرين بعينهم، فلم نطلقه على الله ﷻ ولم يرد في كتابه؟ ولا يفوتنا أن نذكر هنا أن هذه قد تكون تهمة ضد الإسلام: فالبعض يتهمون الإسلام أنه دين كره وأن رب المسلمين يكره الناس، فلم نجر هذه التهمة على الإسلام،

يقول الله ﷻ:

فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ (النحل، ١٦: ٧٤)



كذلك لم يذكر الله ﷻ في القرآن الكريم أنه يبغض أحداً أو حتى فعلاً معيناً، مع أنه ذكر البغضاء في القرآن الكريم:

علماً بأن الله كان قادراً أن يذكر أنه يكره الكافرين في القرآن الكريم لو أراد ذلك. وكما ذكرنا أعلاه، فإن الله ﷻ يقول:

فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ (النحل، ١٦: ٧٤)

وهناك مسألة ثانية في هذا الموضوع: كما رأينا سابقاً، فإن رحمة الله ﷻ وسعت كل شيء، وإن رحمته سبقت غضبه، فكيف يكره الله ﷻ الناس بأعينهم؟ وكما سنرى لاحقاً إن شاء الله ﷻ، في فصل "نقيضا الجمال والحب"، فإن الكره هو "نفور"، فإن كان النفور محال على الله ﷻ، فكيف تنفر رحمة الله من شيء (كما نتوقع في حالة كره الله لشيء بعينه) ويبقى هذا الشيء في الوجود؟ أي بمعنى آخر لو أن الله ﷻ كره شيئاً فكيف يبقى هذا الشيء ووجوده أصلاً رحمة من الله ﷻ؟ وبتعبير آخر، نقول إذا قطع الله ﷻ رحمته عن شيء فكيف يبقى وكيف يحدث؟ وربما نرى هذه القاعدة في قوله ﷻ:

وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنَّ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿١٣٠﴾

(التوبة: ١٣٠)

فهنا كره الله ﷻ انبعاث المنافقين ولذلك ثبَّطهم، ولم يحدث الأمر الذي يكرهه الله ﷻ. وإن قيل كرد على هذا إن المعاصي تحدث وأن الله ﷻ يقول:

وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿١٢٥﴾ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿١٢٦﴾ (الإسراء: ١٢٥-١٢٦)

﴿١٢٥﴾ (الإسراء: ١٢٥-١٢٦)

فنرد أن الله ﷻ قال إن سيئات المعاصي عنده مكروهة وليس المعاصي بأعينها، ولذلك قد تحدث، والله أعلم.

إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَبَرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ۖ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٩١﴾ (المائدة: ٩١)



أما بالنسبة للمقت – والمقت كالبعض من نقائص الحب – فقد ذكرَ مقتُ الله أربع مرات في القرآن الكريم:

كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٦١﴾ (الصف: ٦١)
الَّذِينَ تَجْعَلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بَغْيَ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا ۚ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٤٠﴾ (غافر: ٤٠)
هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ ۖ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ ۖ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٥﴾ (فاطر: ٣٥)
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ينادُونَ لِمَقْتِ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿٤٠﴾ (غافر: ٤٠)

فيلاحظ – كما هو الحال مع الحب – أنه لم يذكر في القرآن الكريم أن الله ﷻ يمقتُ أحداً. فالله ﷻ يمقت أفعالاً معينة فقط، وإذا كان كُفر الكافرين يزيدهم عند الله مقتاً، لكنه لم يذكر أنهم يصلون بكفرهم إلى حالة مقت الله بشكل قطعي^{٤٨}. فهذا أيضاً من رحمة الله ﷻ وربما في كل ذلك

٤٨ وهذا كله بالرغم من أن الكافرين يؤذون الله ﷻ:

إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٣٣﴾ (الأحراب: ٣٣)

ويشاقون الله ﷻ (ورسوله ﷺ):

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۖ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٩﴾ (الحشر: ٥٩)

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ. وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥١﴾ مَا قَطَعْتُمْ مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا

قَاطِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥٢﴾ (الحشر: ٥١-٥٢)

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ. وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٣﴾ (الأنفال: ١٣)

ويشاقون رسول الله ﷺ:

وَمَنْ يُشَاقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ

وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٥٤﴾ (النساء: ٥٤)

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ الْهُدَىٰ لَنْ يَضُرُوا اللَّهَ شَيْئًا

وَسَيُخِطِّطُ أَعْمَلُهُمْ ﴿٥٥﴾ (هود: ٣٢)

ويجادون الله ﷻ ورسوله ﷺ:

أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مِنْ مُّخَادِدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَلِيلًا فِيهَا ذَٰلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴿٥٦﴾ (التوبة: ١٣)

إِنَّ الَّذِينَ يُخَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۖ وَقَدْ أُنزِلْنَا بِآيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ

مُهِينٌ ﴿٥٧﴾ (الحجرات: ٥٧)

إِنَّ الَّذِينَ يُخَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ﴿٥٨﴾ (الحجرات: ٥٨)

لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ

إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيَدْخُلُهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا

الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْفَالِحُونَ ﴿٥٩﴾

(الحجرات: ٥٨)

ويجاربون الله ﷻ:

إِنَّمَا جَرَأُوا الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ

وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٠﴾

(البقرة: ٢٣٠)

وَالَّذِينَ أَخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِزْوَاجًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ

قَبْلِ وَلِيُخْلِفُوا فِي أَرْضِنَا ۖ أَلَا لَحْسَتُنَّ ۖ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٦١﴾ (التوبة: ١٠٧)

وأن الله ﷻ يجارب الكافرين:

فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَإِنْ تُبْتِغُوا فَلَكُمْ زُرُوسٌ أَمْوَالُكُمْ لَا تَغْلِبُوكُمْ وَلَا

تُظْلَمُوكُمْ ﴿٦٢﴾ (البقرة: ٢٣٩)

درس عظيم للبشر أن لا يحبوا خِصالاً معينة، وأن يكرهوا أفعالاً معينة، وأن لا يكرهوا أحداً بشكل قطعي.

وأن الله ﷻ قال عن المشركين والمنافقين "فَتَلَهُمُ اللَّهُ " :

وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ (البقرة: ٣٠)

وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهم خُشُبٌ مُسْنَدَةٌ تَحْسَبُونَ كُلَّ صِحْقٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ فَتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٤١﴾ (الأنفال: ٤١)

وأن الله ﷻ قتل الكافرين والمشركين:

فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتُ إِذْ رَمَيْتُ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ (الأنفال: ٥٠)

فكل هذه المشاقة والأذى والمحاربة من قبل الكافرين والمشركين لله (ومحاربة ومقاتلة وقتل الله ﷻ لهم) لا تعني أن الله ﷻ يكره الكافرين بأعينهم وبشكل قطعي، كما رأينا أعلاه.

وربما يكون سر هذا الوضع هو أن الله ﷻ يحاربهم ويقاثلهم من قبل حربهم لله ﷻ، لأن أسوأ جزاء يجازي الله الكافرين به أن يسمح لهم أن يشاقوه ويؤذوه ويحاربوه:

تُخَذِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا تُخَذِعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٠﴾ (البقرة: ٩٠)

إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَذِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ (النساء: ١٤٢)

وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ (الأعراف: ١٨٢)

فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبْ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ (القلوب: ١٨٢)

فمحاربة الكافرين والمشركين لله ﷻ هي مجد ذاتها في الحقيقة حرب من الله ﷻ عليهم ولكنهم لا يشعرون، فليس الله ﷻ الذي يكرههم ولكن هم الذين يكرهون أنفسهم بدون علم، ونسال الله ﷻ السلامة والعافية.

الباب الثاني: حب الرسول ﷺ

١٠. الباب الثاني؛ الفصل الأول:

حب الرسول ﷺ لله ﷻ

قد ذكرنا سابقاً أن رسول الله ﷺ ... **أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ** ... (الأنعام، ٦: ١٤)، ... **أَوَّلَ**

الْمُسْلِمِينَ (٢) (الزمر، ٣٩: ١٢)، ... **أَوَّلَ الْعَبِيدِينَ** (٣) (الزخرف، ٤٣: ٨١)، وهذه الصفات التي ذكرها الله ﷻ تشكل دليلاً قاطعاً على حب رسول الله ﷺ المطلق لله ﷻ. إضافة إلى هذه الصفات فقد ذكرنا سابقاً أيضاً رجاء الرسول ﷺ لله ﷻ (وإن الرجاء من الحب):

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (٤) (الأحزاب، ٣٣: ٢١)

لكن أوضح برهانٍ لحالة حب رسول الله ﷺ لربه ﷻ تأتي في الآيات الجميلة التالية:

قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٥) **قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** (٦) **لَا شَرِيكَ لَهُ ۚ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ** (٧) **قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ آبَنِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ** (٨) (الأنعام، ٦: ١٦١-١٦٤)

فإن كانت صلاة الرسول ﷺ ونسكه وحياته ومماته لله فهذه أعظم درجة في الحب، وبها فاق حُبه العواطف، وفاق حتى حالة "الحب الأشد" التي ذكرها الله ﷻ في الآية الكريمة: ... **وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ** ... (البقرة، ٢: ١٦٥)

لأنه غارق تماماً في بحر حب الله ﷻ. ولهذا كأن الله ﷻ يقول بعد تأكيده أن الرسول ﷺ **أَوَّلُ الْمُتَمِّينَ**، وأن الرسول ﷺ أصبح غير قادر على أن يبغى أو يريد غير الله: **قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ**.

فكما رأينا أن الرسول ﷺ حبيب الله، فنرى هنا أن الله ﷻ حبيب رسوله، وينطبق على الرسول ﷺ وعد الحب المتبادل كما جاء في الآية الكريمة: **يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** (المائدة: ٥٤).

من هنا يمكن لنا أن نفهم الحديث المعروف:

«حُبَّ إِلَيَّ مِنْ دِنْيَاكُمْ ثَلَاثَ الطَّيِّبِ وَالنِّسَاءِ وَجَعَلْتُ قُرَةَ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»^{٤٩}.

فالطيب والنساء يذكران الرسول ﷺ بالجنة وبالتالي بقرب الله ﷻ بينما الصلاة ذكر الله ﷻ مباشرة. فكان رسول الله ﷺ كله حباً لله.

إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا

تَسْلِيمًا (الأحزاب، ٥٦).

٤٩ رواه بهذا اللفظ البيهقي في السنن الكبرى رقم ٧/٧٨. ورواه النسائي في السنن الصغرى رقم ٣٩٤٠ في كتاب عشرة النساء، بلفظ:

«حُبَّ إِلَيَّ النِّسَاءِ وَطَيِّبِ وَجَعَلْتُ قُرَةَ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»، رواه أحمد رقم ٣/١٢٨ و١٩٩.

١١. الباب الثاني؛ الفصل الثاني:

حب الرسول ﷺ للمؤمنين

جعل الله ﷻ رسوله شاهداً ومبشراً ونذيراً للناس:

يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ﴿٤٥﴾ (الأحزاب: ٤٥)

إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ﴿٤٦﴾ (الفتح: ٤٨: ٨)

وأمر رسوله أن يستغفر للمؤمنين وللمسلمين:

فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ
مُتَقَلِّبُكُمْ وَمَتَوَلِّكُمْ ﴿٤٧﴾ (محمد: ٤٧: ١٩)

يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايِعُكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرَكَنَّ بِاللهِ شَيْئاً وَلَا يُسْرِقْنَ
وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا
يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعُهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ۖ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤٨﴾ (الممتحنة: ٦٠: ١٢)

فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ
عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿٤٩﴾ (آل عمران: ٣: ١٥٩)

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ
يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
وَرَسُولِهِ ۚ فَإِذَا أَسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهُ ۚ
إِنِّ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٠﴾ (البقرة: ٢٤: ٦٢)

وخير الله ﷻ رسوله بالاستغفار للمنافقين:

اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ

كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٨٠﴾ (التوبة: ٨٠)

واختار رسول الله ﷺ أن يستغفر للمنافقين أكثر من سبعين مرة، قائلاً:
 "«أسمع ربي قد رخص لي فيهم، فوالله لاستغفرن أكثر من سبعين مرة، لعل
 الله أن يغفر لهم!» فقال الله من شدة غضبه عليهم: سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ
 أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٨٠﴾" ٥٠
 (المناقض، ٦٣: ٦)

بل أكثر من ذلك، كان الرسول ﷺ يكاد أن يهلك نفسه الشريفة بالهم
 على الناس:

لَعَلَّكَ بَنِيعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٦﴾ (الشعراء، ٢٦: ٣)

فَلَعَلَّكَ بَنِيعٌ نَفْسَكَ عَلَىٰ آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٢٦﴾ (الكهف، ١٨: ٦)
 فهذا كله يدل على رحمة رسول الله ﷺ بالناس جميعاً وليس بالمؤمنين
 فقط. وتأكيذاً لهذا أشار الله ﷻ إلى أنه أرسل الرسول ﷺ رحمة للعالمين:

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢١٧﴾ (الأنبياء، ٢١٧: ١٠٧)

وبطبيعة الحال كان الرسول ﷺ رحمة خاصة للذين آمنوا:
 وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ
 وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ ۚ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ
 أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ (التوبة: ٦١: ٦١)

وكانت صلاته أيضاً سكناً للمؤمنين:
 خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ۗ وَاللَّهُ
 سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ (التوبة: ٩: ١٠٣)

وأمره الله ﷻ بالرفقة نحو المؤمنين:

لَا تَمُدَّنْ عَيْنَكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ

لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ (الحجر، ١٥: ٨٨)

وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٩﴾ (الشعراء، ٢٦: ٢١٥)

وأشار الله ﷻ أنه رؤوف ورحيم بالمؤمنين:

لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ

بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٩٠﴾ (التوبة، ٩: ١٢٨)

فأشاد الله ﷻ بحنان قلب رسوله نحو المؤمنين:

فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ

الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿٩١﴾ (آل عمران، ٣: ١٥٩)

وكان الرسول ﷺ يحنُّ على المؤمنين لدرجة أنه كان يستحيي منهم:

يَتَأَيُّبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرِ نَبْظِرِينَ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَسِينِينَ لِجَدِيدٍ إِنَّ ذَلِكَ كَانُ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ

ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٩٢﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٥٣)

فهذا الاستحياء من المؤمنين وتفضيلهم على نفسه الشريفة دليل قاطع على حب رسول الله ﷺ للمؤمنين، لأن الله ﷻ ربط الحب بالتفضيل على النفس ولو كان بها خصاصة:

وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي

صُدُّوهُمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾

(الحشر، ٥٩: ٩)

وهذا كله يدل على حب رسول الله ﷺ العظيم للمؤمنين بخاصة وللناس جميعاً بعامة.

الباب الثالث: حب الإنسان

١٢. الباب الثالث؛ الفصل الأول:

حب الإنسان لله ﷻ

من السهل ومن الطبيعي للإنسان أن يحب الله ﷻ لأنه أسغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة، وذلك أكثر مما يستطيع الإنسان أن يستوعبه (كما رأينا سابقاً):
أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهَرَ وَبَاطِنًا ۖ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾
(لقمان، ٣١: ٢٠)

وَأَتَانَكُمْ مِّنْ كُلِّ مَّا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ۗ إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ (إبراهيم، ١٤: ٣٤)

وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ (التحل، ١٦: ١٨)
وَمَا بِكُمْ مِّنْ نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ ﴿١٦﴾ (التحل، ١٦: ٥٣)

ولكن الله ﷻ لا يقبل من الإنسان عاطفة الحب فقط:

قُلْ إِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ (آل عمران، ٣: ٣١)

فالله ﷻ يطلب من الإنسان - إذا كان يحب الله حقيقة - أن يتبع الرسول ﷺ. واتباعه يعني أنه ينبغي للإنسان أن يحب الله ﷻ بكل وجدانه أو كيانه وبكل أعماله كما رأينا:

قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ نَبِيَّ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٢٢﴾ قُلْ إِن صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ لَا شَرِيكَ

لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿٢٣﴾ (الأنعام، ٦: ١٦١-١٦٣)

ولكي يصل الإنسان لهذه الدرجة من الحب المخلص والتفاني ينبغي له أن يتبع الرسول ﷺ في (أ) أخلاقه وفي (ب) أعماله.

(أ) أما بالنسبة للأخلاق، فكما رأينا، كان الرسول ﷺ على خلق عظيم:

وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ (القلم، ٤: ٦٨)

و"الخلق العظيم" يتضمن إتمام الفضائل التي يحبها الله ﷻ (وهي: التوكل، الطهارة، التوبة المستمرة، القسط، والقتال في سبيله، والتقوى، والصبر، وخاصة الإحسان - كما رأينا سابقاً).

(ب) أما بالنسبة للعمل فخير العمل ذكر الله ﷻ - لأنه ... وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ... (العنكبوت، ٢٩: ٤٥) - وأسوة رسول الله ﷺ في العمل هي "رجاء الله" و"الذكر الكثير":

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٢١)

فإذا اتبع المؤمن الرسول ﷺ في أخلاقه وأعماله يُصبح من الذين يحبون الله حقيقةً. ولهذا أكد الله ﷻ أن أداء الصلاة من غير أن يُضحّي المؤمن من أجل الآخرين لا يكفي:

وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مَشَكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٧٦﴾ (الإنسان، ٧٦: ٧٦)

لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى

الزَّكَاةَ وَالْمَوْفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ
الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ (البقرة، ٢: ١٧٧)

وعن هذه الآية الأخيرة جاء في تفسير الجلالين أن المقصود بـ "أَنْ تُولُوا
وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ" هو "في الصلاة"، والمقصود بـ "عَلَى حَيْثُ"
هو "مع حبه للمال"^{٥١}. وهذا المعنى واضح أيضاً في الآية الكريمة:

لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿١٦٤﴾
(آل عمران، ٣: ١٦٤)

فمن خلال اتباع السنة بكيانه وعمله يبدأ المؤمن بحب الله ﷻ حقيقةً.
وفي هذه الحالة يكون حب الله ﷻ وحب طاعة الله ﷻ أعلى عند المؤمن من
كل ما على الأرض:

قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا
وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ
فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٠﴾
(التوبة، ٩: ٢٤)

ويكون المؤمن راضياً تماماً بما آتاه الله ﷻ. يقول الله ﷻ:

وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ
وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾ (التوبة، ٩: ٥٩)

وهذه هي الحالة - والله أعلم - التي وصفها الله ﷻ بأنه اشترى فيها
نفس المؤمن كاملة مقابل الجنة ومقابل "الفوز العظيم":

إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ ۚ

٥١ جلال الدين المحلي وجمال الدين السيوطي، تفسير الجلالين، ص ٣٥.

وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنْ اللَّهِ ۖ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ
 الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ (التوبة: ٩، ١١١)

وفي هذه الحالة يكون المؤمن من الذين اتبعوا الرسول ﷺ لدرجة أنه أصبح "مع الرسول" ﷺ:

حُمِدَ رَسُولُ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا
 يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ
 فِي التَّوْرَةِ ۖ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَرٍ ۖ أَخْرَجَ شَطَنَهُ ۖ فَفَازَهُ ۖ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ
 سُوقِهِ ۖ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
 مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ (الفتح: ٤٨، ٢٩)

وأخيراً، في هذه الحالة يستطيع المؤمن أن يحب الله "الحب الأشد" كما ينبغي للعبد أن يحب ربه. وهذا الحب لا يستطيع غير المؤمن أن يصل إليه أو إلى درجته "الأشد". فالله ﷻ قال:

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ
 حُبًّا لِلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ
 الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ (البقرة: ٢، ١٦٥)

والله ﷻ جَمَعَ هذا الحب كله في الآية الكريمة:

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ (مريم: ١٩، ٩٦)

والإيمان والعمل الصالح هما بالدرجة الأولى أتباع الرسول ﷺ، وبعد اتباعه ﷺ يُكرِّم الرحمن عبده بـ "الود". ولا يستطيع أي عبد أن يصل إلى هذه الدرجة من الود من غير الإيمان والعمل الصالح لأن هذا "الود" جعل رحماني "وليس عملاً بشرياً". فحب الإنسان لله ﷻ يبدأ كعاطفة، ومن خلال اتباع الرسول ﷺ بالعمل الصالح وبالخلق الفاضل يُصبح حاله كياناً لنفس

المؤمن. وفي هذه الحالة يفوز المؤمن بالجنة و "الفوز العظيم"، ويزدوق حقيقة حب الله ﷻ الموصوف بـ "جعل رحماني" أشد وأقوى من أي حب دنيوي آخر، وأشد وأقوى من أي حب يمكن لغير المؤمن أن يتذوقه أو حتى يتخيله. ولهذا سيري " **الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا** " (البقرة، ٢: ١٦٥).

فلذلك علّمنا الرسول ﷺ الدعاء التالي:

«اللهم اجعل حبك أحب إلي من نفسي وأهلي ومن الماء البارد»^{٥٢}.

وعلّمنا أيضاً الدعاء التالي:

«اللهم ارزقني حبك وحب من ينفعني عندك، اللهم ما رزقتني مما أحب فاجعله قوة لي فيما تحب، اللهم وما زويت عني مما أحب فاجعله فراغاً لي فيما تحب»^{٥٣}.



مطلب: حب ما يُذكر بالله ﷻ

حب العبد لله ﷻ يتطلب - ويؤدي بالضرورة - إلى حب ما يُذكر بالله ﷻ، وهذا يعني حب الرسول ﷺ (كما سنرى في فصل لاحق إن شاء الله)، و(أ) حب الدين والعبادة بشكل عام، و(ب) حب الصلاة والذكر بشكل خاص، و(ج) حب القرآن، و(د) حب الطبيعة، التي يرى العبد فيها أعمال

٥٢ رواه الترمذي، رقم ٣٤٩٠، في كتاب الدعوات.

٥٣ رواه الترمذي برقم (٣٤٩١) في كتاب الدعوات، باب ما جاء في عقد التسبيح باليد. وحسنه.

وخلوقات الله ﷻ، و(هـ) حتى حب القدر الذي يرى فيه العبد مشيئة الله ﷻ.

(أ) فأما بالنسبة لحب الدين والعبادة بشكل عام، فيقول الله ﷻ:

قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكِنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾
(التوبة، ٩: ٢٤)

قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾
(آل عمران، ٣: ٣١)

ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعْظِمْ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ (الحج، ٢٢: ٣٢)
ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعْظِمْ حُرْمَتَ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْآثَعُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٢٣﴾ (الحج، ٢٢: ٣٠)

(ب) وأما بالنسبة لحب الصلاة والذكر بشكل خاص، فيقول الله ﷻ:

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٢١)

أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ۖ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ (العنكبوت، ٢٩: ٤٥)
إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٨﴾ (الأفقال، ٨: ٢)

قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٢﴾ (الأنعام، ٦: ١٦٢)

(ج) وأما بالنسبة لحب القرآن، فيقول الله ﷻ:

أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ۖ قَوْلٌ لِّلنَّفْسِئَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ
 اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعُرُ
 مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ تَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَىٰ
 اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴿٢٣﴾ (الزمر، ٢٢: ٢٣)

إِن وَلَّيْنَا اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿٨١﴾ (الأعراف، ٧: ١٩٦)
 إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ
 إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ (الأنفال، ٨: ٢)

وَإِذَا مَا أَنزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هِذِهِ ءِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ
 ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٩٤﴾ (التوبة، ٩: ١٢٤)
 رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِّعَلَّآ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا
 حَكِيمًا ﴿١٥٠﴾ لَّيِّنَ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ
 وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٥﴾ (النساء، ٤: ١٦٥-١٦٦)

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ:

«حُبِّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَالنِّسَاءِ وَالطَّيِّبِ وَجَعَلَ قُرَّةَ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»^{٥٤}.

(د) وأما بالنسبة لحب الطبيعة التي يرى العبد فيها أعمال ومخلوقات الله ﷻ،
 فيقول الله ﷻ:

^{٥٤} رواه النسائي، رقم ٣٩٢٩، كتاب عشرة النساء، باب حب النساء.

فَانْظُرْ إِلَىٰ ءَاثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ نَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِ الْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ (الروم، ٣٠: ٥٠)

وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥١﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَطِلًا مُّسَبِّحِينَكَ فَإِنَّمَا أَكْبَارُ الْقَدْرِ ﴿٥٣﴾ (آل عمران، ٣٠: ١٨٩-١٩١)

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالتُّفُلِ الَّذِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥٤﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۗ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿٥٥﴾ (البقرة، ٢: ١٦٤-١٦٥)

(انظر أيضاً إلى: الروم، ٣٠: ٢٠-٢٧؛ الرحمن، ٥٥: ١٣٠.)

فالطبيعة تُذكر بخالقها ولذلك فمن الطبيعي أن يحب العبد الطبيعة ويرى فيها آيات الله ﷻ كما يرى آيات الله ﷻ في نفسه. يقول الله ﷻ:

وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّمُؤْمِقِينَ ﴿٥٦﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥٧﴾ (الذاريات، ٥١: ٢٠-٢١)

سُرِّيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٨﴾ (فصلت، ٤١: ٥٣)

(هـ) وأما بالنسبة لحب القدر الذي يرى فيه العبد مشيئة الله ﷻ، فيقول الله ﷻ:

الَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ (البقرة، ٢: ١٥٦)

وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ

وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾ (التوبة، ٩: ٥٩)

وهذا كله لنقول إن حب الله ﷻ يوجب حب ما يؤدي الى الله ﷻ أيضاً، وذلك من باب التقدير والشكر والامتنان على الأقل.

١٣. الباب الثالث؛ الفصل الثاني:

حب المؤمن للرسول ﷺ

كما ينبغي للإنسان أن يحب الله ﷻ بسبب نعمه ﷻ عليه، فينبغي للمؤمن أيضاً أن يحب الرسول ﷺ لربه ﷻ واهتمامه بالمؤمنين حسب ما رأينا في الفصل الحادي عشر ("حب الرسول ﷺ للمؤمنين"). ونستذكر هنا رافة ورحمة الرسول ﷺ بالمؤمنين:

لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ
بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ (التوبة: ٩: ١٢٨)

وهذه الرافة والرحمة هي التي تجعل الرسول ﷺ يشفع للمؤمنين يوم القيامة أكثر من أي رسول آخر. هكذا جاء في تفسير "المقام المحمود" الذي أشار إليه الله ﷻ في الآية الكريمة:

وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿١٢٩﴾ (الإسراء: ١٧: ١٢٩)

فقد نقل ابن كثير في تفسيره عن الإمام أحمد بن حنبل الحديث المعروف التالي في "المقام المحمود":

"حديث أنس بن مالك ﷺ: قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن سعيد، حدثنا سعيد بن أبي عروبة، حدثنا قتادة، عن أنس ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «يجتمع المؤمنون يوم القيامة، فيُلْهَمون ذلك فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا، فأراحنا من مكاننا هذا. فيأتون آدم فيقولون: يا آدم، أنت أبو البشر، خلقتك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء، فاشفع لنا إلى ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا. فيقول لهم آدم: لست هناك، ويذكر ذنبه الذي أصاب، فيستحي ربه ﷻ من ذلك، ويقول: ولكن اتوا نوحاً، فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض. فيأتون نوحاً فيقول: لست هناك، ويذكر

خطيئة سؤاله ربه ما ليس له به علم، فيستحيي ربه من ذلك، ولكن اتوا إبراهيم خليل الرحمن. فيأتونه فيقول: لست هناك، ولكن اتوا موسى، عبداً كلمه الله، وأعطاه التوراة. فيأتون موسى فيقول: لست هناك، ويذكر لهم النفس التي قتل بغير نفس، فيستحيي ربه من ذلك، ولكن اتوا عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته وروحه، فيأتون عيسى فيقول: لست هناك، ولكن اتوا محمداً عبداً غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيأتوني. فأقوم فأمشي بين سماطين من المؤمنين حتى استأذن على ربي، فإذا رأيت ربي وقعت له ساجداً لربي، فيدعني ما شاء الله أن يدعني. ثم يُقال: ارفع محمد، قل يسمع، واشفع تشفع، وسل تعطه. فأرفع رأسي، فأحمده بتحميد يُعلمنيه، ثم أشفع فيحد لي حداً، فأدخلهم الجنة، ثم أعود إليه الثانية فإذا رأيت ربي وقعت ساجداً لربي، فيدعني ما شاء الله أن يدعني. ثم يُقال: ارفع محمد، قل يسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع. فأرفع رأسي فأحمده بتحميد يُعلمنيه، ثم أشفع فيحد لي حداً، فأدخلهم الجنة، ثم أعود في الثالثة، فإذا رأيت ربي وقعت ساجداً لربي، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يُقال: ارفع محمد، قل يسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأرفع رأسي فأحمده بتحميد يُعلمنيه، ثم أشفع فيحد لي حداً فأدخلهم الجنة. ثم أعود الرابعة فأقول: يارب ما بقي إلا من حبسه القرآن». فحدثنا أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «فيخرج من النار من قال: "لا إله إلا الله" وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، ثم يخرج من النار من قال: "لا إله إلا الله" وكان في قلبه من الخير ما يزن بُره، ثم يخرج من النار من قال "لا إله إلا الله" وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة». أخرجاه في الصحيح من حديث سعيد، به. وهكذا رواه الإمام أحمد، عن عفان، عن حماد بن سلمه، عن ثابت، عن أنس بطوله ^{٥٥}.

٥٥ أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ص ١١٣١-١١٣٢.



وإضافة إلى هذا الفضل للرسول ﷺ على المؤمنين، ينبغي للمؤمن أن يحب الرسول ﷺ أيضاً لجماله ﷺ الخلقى المشهود له من قبل الله ﷻ:

وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤٨﴾ (القلم، ٦٨: ٤)

فعدم حب - أو نقص حب - المؤمن للرسول يعني أن المؤمن لم يدرك جمال الرسول ﷺ الخُلُقِي وفضائله التامة. وهذا بدوره يعني أن المؤمن لم يدرك معنى وقيمة الخُلُق الحسن والفضائل بشكل عام. وعلى هذا الحال يكون في نفس المؤمن عيباً وفي إيمانه نقصاً. قال رسول الله ﷺ:

«لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين»^{٥٦}.

وقال رسول الله ﷺ:

«ثلاث من كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان إن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يُقذف في النار»^{٥٧}.

والله عَلَّامُ الْغُيُوبِ وَضَحَ هَذَا الْأَمْرَ فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ التَّالِيَةِ:

النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ۗ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٦٦﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٦٦)

وهكذا ينبغي للمؤمن أن يحب الرسول ﷺ الذي اكتملت الفضائل في

٥٦ رواه البخاري، كتاب الإيمان، رقم ١٥؛ ورواه مسلم، في كتاب الإيمان، رقم ٤٤.

٥٧ رواه البخاري، رقم ١٦، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، ومسلم، رقم ٤٣، كتاب

الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان.

نفسه الشريفة أكثر من حب المؤمن لنفسه المليئة بالعيوب والذنوب. فكل توقيف للرسول ﷺ من قبل المؤمن يعكس مدى فهم المؤمن لحالة نفسه أمام الحق، وكل تبجيل للرسول ﷺ من قبل المؤمن يعكس مدى حب المؤمن للخير وبالتالي لله ﷻ.



وحب المؤمن لرسول الله ﷺ بذاته قد لا يكون كافياً. فالله ﷻ أمر المؤمنين بأمر عظيم بدأ به بنفسه وثنى بملائكته وهو الصلاة على النبي ﷺ، وخصّ المؤمنين بالصلاة والسلام عليه أيضاً:

إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٥٦)

ومعلوم أن الحسنة بعشر أمثالها:

مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ (الأنعام، ٦: ١٦٠)

ولكن حسنة الصلاة على النبي ﷺ تُكَافَأُ بعشر صلوات من الله ﷻ. قال الرسول ﷺ:

«من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشراً»^{٥٨}.

والصلاة المستمرة على النبي ﷺ تُكَافَأُ بغفران جميع الذنوب:

"عن أبي بن كعب ؓ قال: كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال: «يا أيها الناس أذكروا الله أذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت

٥٨ رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي بعد التشهد، ١/٣٠٦، رقم ٤٠٨.

بما فيه جاء الموت بما فيه» قال أبي: قلت يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتي؟ فقال: «ما شئت»، قال: قلت الربع؟ قال: «ما شئت فإن زدت فهو خير لك»، قال: قلت: النصف؟ قال: «ما شئت فإن زدت فهو خير لك»، قال: قلت: فالثلثين؟ قال: «ما شئت فإن زدت فهو خير لك»، قلت: أجعل لك صلاتي كلها؟ قال: «إِذَا تُكْفِيَ هَمَّكَ وَيُغْفِرَ لَكَ ذَنْبَكَ».^{٥٩}

والصلاة المستمرة على النبي ﷺ تجعل المؤمن "مع" النبي ﷺ بفكره. وعلى هذا الحال يكون كما جاء في الآية الكريمة:

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَرَجٍ أَخْرَجَ شَطْطَهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ (الفتح، ٢٩: ٤٨)

ففي حالة المعية مع النبي ﷺ لا يبتغي المؤمن مغفرة الله ﷻ فحسب، ولكن رضوان الله ﷻ أيضاً كما جاء في الآية أعلاه. وهذا من معاني قول رسول الله ﷺ:

«أنت مع من أحببت».^{٦٠}

لذلك ينبغي للمؤمن أن لا يتعدى أي حدٍّ من حدود الأدب مع رسول الله ﷺ:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾

٥٩ رواه الترمذي، كتاب صفة يوم القيامة، ٤/ ٦٣٦-٦٣٧، حديث رقم ٢٤٥٧.

٦٠ رواه البخاري، كتاب الأدب، رقم ٦١٦٧.

يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٣﴾ (الحجرات، ٤٩: ١-٥)

فمحنة رسول الله ﷺ واحترامه والصلاة والسلام عليه امتحان عظيم لتقوى القلوب، كما توضح الجملة الكريمة: "أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ". فحب رسول الله ﷺ واجب ضروري على كل مؤمن وليس كعاطفة فقط ولكن كحالة فهم لحقيقة رسول الله ﷺ وفضله على المؤمنين. ولهذا فالصلاة والسلام عليه واجبة أيضاً. وأكد الله ﷻ هذا الأمر، ولخص مسألة حب رسول الله ﷺ أو على الأقل المودة له في الآية الكريمة:

ذَٰلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ۖ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ۖ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ (الشورى، ٤٢: ٢٣)

اللهم صل على سيدنا محمد وسلم تسليماً كثيراً.

١٤. الباب الثالث: الفصل الثالث

حب قربي الرسول ﷺ وأهل بيته الأطهار

يقول الله ﷻ:

ذَٰلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهَ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ۖ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ۖ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ

(الشورى، ٤٢: ٢٣)

وهذا يعني أمرين: (١) أنه يجب على قريش أن يحبوا رسول الله ﷺ بحكم قرابته ﷺ منهم، و (٢) أنه يجب على المؤمن أن يحب من هو من قرابة رسول الله ﷺ:

قال ابن كثير: "وقوله عز وجل "قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ" أي: قل يا محمد لهؤلاء المشركين من كفار قريش لا أسئلكم على هذا البلاغ والنصح لكم ما لا تُعطونيهِ وإنما أطلب منكم أن تكفوا شرَّكم عني وتذروني أبلغ رسالات ربي إن لم تتصروني فلا تؤذني بما بيني وبينكم من القرابة ... ولا تنكر الوصاة بأهل البيت، والأمر بالإحسان إليهم، واحترامهم وإكرامهم، فإنهم من ذرية طاهرة، من أشرف بيت وجد على وجه الأرض، فخرًا وحسبًا ونسبًا، ولا سيما إذا كانوا متبعين للسنة النبوية الصحيحة الواضحة الجليلة، كما كان عليه سلفهم، كالعباس وبنيه، وعلي وأهل بيته وذريته، رضي الله عنهم أجمعين. وقد ثبت في الصحيح: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في خطبته بعدير خُـم: "إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي، وإنهما لم يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض" ٦١.

٦١ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٤/ ١٤٢.

وقال القرطبي بعد أن ذكر مثل قول ابن كثير: "وقيل: القربى قرابة الرسول ﷺ، أي لا أسألكم أجراً إلا أن تودّوا قرباني وأهل بيتي، كما أمر بإعظامهم ذوي القربى. وهذا قول علي بن حسين وعمرو بن شعيب والسدي" ٦٢.

وقال الفخر الرازي: "والحاصل أن هذه الآية تدل على وجوب حب آل رسول الله ﷺ وحب أصحابه" ٦٣.

فمن هم قربي ٦٤ رسول الله ﷺ؟ هم درجات في القرآن الكريم:

٦٢ القرطبي، الجامع لاحكام القرآن الكريم، ٢٠/١٦.

٦٣ الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ٤٣٣/١٣.

٦٤ ومن الجدير بالذكر أن "القرباة" (ونقصد هنا علاقة الدم والرحم) لرسول الله ﷺ لا تعني "القربى" (ونقصد هنا ما جاء في آية الشورى، ٤٢: ٢٣ كما هو مذكور أعلاه) منه بالضرورة، لأن الله ﷻ يقول:

وَنَادَى نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿١١٠﴾ قَالَ يُنوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ

(هود: ٤٥-٤٦)

وَإِذْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي

الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾ (البقرة: ٢٤٤)

وَلَا تَرَوْا وَازِرَةً وَرَزَّ أَحْرَفٌ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى جِلْهَيْهَا لَا تَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ خَشِيتُ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَرَكْنَا فَاِنَّمَا يَتَرَكُنَا لِنَفْسِهِ ۚ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨٠﴾ (فاطر: ٣٥)

ولا يفوتنا أن نذكر أن أبا لهب وهو عم الرسول ﷺ (أخو أبيه) دخل النار بسبب كفره. يقول الله ﷻ:

تَبَّتْ يُدَىٰ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾ (السد: ١١١-١٠٥)

فقربى رسول الله ﷺ هم قرابته في الرحم وفي الود والأخلاق والمقام أيضاً.

(أ) أهل كساء رسول الله ﷺ (وهم علي كرم الله وجهه وفاطمة الزهراء والحسن والحسين ﷺ جميعاً).

(ب) أهل بيت رسول الله ﷺ بمن فيهم زوجاته.

(ج) أقرب الصحابة إلى رسول الله ﷺ (و منهم زيد وأبو بكر ﷺ).

(د) الصحابة الذين هم " مع " رسول الله ﷺ.

(هـ) المهاجرون والأنصار.

(و) قریش بشكل عام.

(ز) العرب بشكل عام.

(ح) المؤمنون جميعاً (كما سنرى في فصل لاحق إن شاء الله).

(أ) فأما بالنسبة لأهل كساء رسول الله ﷺ (وهم علي كرم الله وجهه وفاطمة الزهراء والحسن والحسين ﷺ جميعاً، فيقول الله ﷻ:

فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ
وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ

(آل عمران، ٣: ٦١)

وأهل الكساء هم في طبيعة الحال أهل بيت رسول الله ﷺ بالدرجة الأولى.

وعن السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ غَدَاةً وَعَلَيْهِ مِرْطٌ مَرْحَلٌ مِنْ شَعَرٍ أَسْوَدَ فَجَاءَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ جَاءَ الْحُسَيْنُ فَدَخَلَ مَعَهُ، ثُمَّ جَاءَتْ فَاطِمَةُ فَأَدْخَلَهَا ثُمَّ جَاءَ عَلِيٌّ فَأَدْخَلَهُ ثُمَّ

قَالَ: " إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ " ٦٥ .
(الأحزاب، ٣٣: ٣٣) .

وعن عمر بن أبي سلمة ربيب النبي ﷺ قال: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ " إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ " (الأحزاب، ٣٣: ٣٣) فِي بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ فَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ فَاطِمَةَ وَحَسَنًا وَحُسَيْنًا فَجَلَّلَهُمْ بِكِسَاءٍ وَعَلِيٌّ خَلَفَ ظَهْرَهُ فَجَلَّلَهُ بِكِسَاءٍ ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي فَأَذْهِبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا» قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: وَأَنَا مَعَهُمْ يَا نَبِيَّ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَنْتِ عَلَى مَكَانِكَ وَأَنْتِ إِلَيَّ خَيْرٌ» ٦٦ .

ويقول ﷺ في حق السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها:

إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾ (الكوثر، ١٠٨: ٣-١)

قال الفخر الرازي:

"القول الثالث: الكوثر أولاده قالوا: لأن هذه السورة إنما نزلت رداً على من عابه عليه السلام بعدم الأولاد، فالمعنى أنه يعطيه نسلاً يبقون على مر الزمان، فانظر كم قُتل من أهل البيت، ثم العالم ممتلئ منهم، ولم يبق من بني أمية في الدنيا أحد يعبأ به، ثم انظر كم كان فيهم من الأكابر من العلماء كالباقر والصادق والكاظم والرضا عليهم السلام والنفس الزكية وأمثالهم" ٦٧ .

وفي حق سيدنا علي كرم الله وجهه، يقول الله ﷻ:

٦٥ رواه مسلم، ٢٤٢٤، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أهل بيت النبي ﷺ.

٦٦ رواه الترمذي، ٣٧٨٧، كتاب المناقب، باب أهل بيت النبي ﷺ.

٦٧ الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ٤٣٣/١٣.

إِنَّا وَلِيُّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾

(المائدة، ٥: ٥٥-٥٦)

قال الفخر الرازي: "المسألة الأولى: في قوله ﷺ "وَالَّذِينَ ءَامَنُوا"

قولان: الأول: أن المراد عامة المؤمنين، ... القول الثاني: أن المراد من هذه الآية شخص معين، وعلى هذا ففيه أقوال: روى عكرمة أن هذه الآية نزلت في أبي بكر ﷺ. والثاني: روى عطاء عن ابن عباس أنها نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام. روي أن عبدالله بن سلام قال: لما نزلت هذه الآية قلت يا رسول أنا رأيت علياً تصدق بخاتمه على محتاج وهو راکع، فنحن نتولاه. وروي عن أبي ذر ﷺ أنه قال: صليت مع رسول الله ﷺ يوماً صلاة الظهر، فسأل سائل في المسجد فلم يعطه أحد، فرفع السائل يده إلى السماء وقال: اللهم أشهد أنني سألت في مسجد الرسول ﷺ فما أعطاني أحد شيئاً، وعلي عليه السلام كان راکعاً، فأولماً إليه بخنصره اليمنى وكان فيها خاتم، فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم بمراءى النبي ﷺ^{٦٨}.

وعن أبي الطفيل ﷺ قال رسول الله ﷺ:

«من كنت مولاه فإن هذا مولاه - يعني علياً - ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»^{٦٩}.

وعن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال رسول الله ﷺ لعلي كرم الله وجهه: «ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس نبيّ بعدي»^{٧٠}.

٦٨ الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ٣٨٣/٤.

٦٩ متواتر. رواه ابن حبان، ٣٧٦/١٥، وأحمد في المسند، ٣٧٠/٤، والنسائي في الخصائص، ٩٣، وعن اثني عشر رجلاً من الصحابة عند أحمد في المسند، ١١٩/١، وهو من الأحاديث المتواترة، كما نص على ذلك عدة من الحفاظ منهم الذهبي في سير أعلام النبلاء، ٨/٣٣٥.

٧٠ رواه البخاري، ٤٤١٦، كتاب المغازي. ومسلم، ٤٤١٦، كتاب فضائل الصحابة.

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٧﴾ (البقرة، ٢: ٢٠٧)

قال الفخر الرازي: "في سبب النزول روايات ... والرواية الثالثة: نزلت في علي بن ابي طالب، بات على فراش رسول الله ﷺ ليلة خروجه إلى الغار" ٧١.

وقال سيدنا رسول الله ﷺ في الحسن والحسين رضي الله عنهما: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة» ٧٢.

وبالنسبة للحسن والحسين رضي الله عنهما فقد اعتبرنا "إبنا" رسول الله ﷺ في آية المباهلة "المذكورة فيما سبق (آل عمران، ٣: ٦١) وهذا لا يتناقض مع كلام الله ﷻ (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤١﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٤٠)) لأنهما لم يكونا الحسن والحسين رجال في تلك اللحظة.

(ب) وأما بالنسبة لأهل بيت رسول الله ﷺ بمن فيهم زوجاته، فقد كرم الله ﷻ أهل بيت رسول الله ﷺ بذكرهم في كتابه العزيز، فقال الله ﷻ: وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا لَّحْنُ نَزْقُكَ وَالْعِصِيَّةُ لِلتَّقْوَى ﴿١٣٢﴾ (طه، ٢٠: ١٣٢)

وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣١﴾ (آل عمران، ٣: ١٢١)

وذكر الله ﷻ أنه يريد أن يذهب الرجس عن أهل بيت رسول الله ﷺ. فقال ﷻ:

٧١ الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ٢/ ٣٥٠.

٧٢ رواه أحمد في مسنده، ٣٩١/ ٥، والترمذي، ٣٧٦٨، كتاب المناقب، وقال: "حسن صحيح" باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما. والحديث متواتر عند المحدثين.

وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ۚ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ
الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ
وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٣٣)

وعن زيد بن أرقم رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ:

«إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي ولن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما»^{٧٣}.

وعن أبي جحيفة قال: قلت لعلي بن أبي طالب هل عندكم كتاب؟ قال: لا، إلا كتاب الله أو فهم أعطه رجل مسلم أو ما في هذه الصحيفة، قال: العقل وفكاك الأسير ولا يقتل مسلم بكافر^{٧٤}.

العقل: تعويض مالي مقدر شرعاً مقابل قتل أو جرح.

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: «ارْقُبُوا مُحَمَّدًا ﷺ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ»^{٧٥}.

ويقول بعض العلماء إن أزواجه ﷺ لسنن من أهل البيت، وقد

أثبت القرآن الكريم أنهن من أهل البيت، قال الله ﷻ في زوجة إبراهيم عليه السلام:

قَالُوا اتَّعَجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهَ وَبَرَكْنَاهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴿٣١﴾

(هود، ١١: ٧٣)

وعلى أية حال فقد خصَّ الله ﷻ زوجات رسول الله ﷺ بأن جعلهن

أمهات للمؤمنين، قال الله ﷻ:

٧٣ رواه الترمذي، ٣٧٨٨، كتاب المناقب، باب أهل بيت النبي ﷺ. وهو في صحيح مسلم بلفظ قريب منه، ٢٤٠٨، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

٧٤ رواه البخاري، ١١١، كتاب العلم، باب كتابة العلم.

٧٥ رواه البخاري، ٣٧١٣، كتاب المناقب، باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ.

النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ۖ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أُولِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٦١﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٦١)

يَنِسَاءَ النَّبِيِّ لَسَنَّا كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ ۚ إِنَّ اتَّقِيَّتْنَ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٦٢﴾ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ۚ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٦٣﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٣٢-٣٣)

(ج) وأما بالنسبة لأقرب الصحابة إلى رسول الله ﷺ (ومنهم زيد وأبو بكر ﷺ)، فيقول الله ﷻ في زيد بن حارثة ﷺ (وهو الصحابي الوحيد المذكور في القرآن الكريم باسمه):

وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا لِيَكُنِيَ لَكَ يَتِيمٌ ۚ لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٦٤﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٣٦)

وعن عائشة رضي الله عنها أن قريشاً أهدتهم المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا من يكلم رسول الله ﷺ ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ^{٧٦}.

وخصَّ الله ﷻ أبا بكر الصديق ﷺ في معية الله وصحبة رسوله ﷺ في الآية الكريمة التالية:

٧٦ رواه البخاري، ٦٧٨٨، كتاب الحدود، ومسلم، ١٦٨٨، كتاب الحدود.

إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى ۗ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ (التوبة: ٤٠)

(د) وأما بالنسبة للصحابة الذين هم "مع" رسول الله ﷺ، فيقول الله ﷻ:

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِمَّنْ أَثَرُ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَرَعٍ ۖ أَخْرَجَ شَطْئَهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ (الفتح: ٤٨، ٤٩)

كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۚ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ۚ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٠٤﴾ (آل عمران: ١٠٤)

(هـ) وأما بالنسبة للمهاجرين والأنصار، فيقول الله ﷻ:

وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۚ أُولَٰئِكَ مِنْهُمُ الْمُحْجَرُونَ ۖ وَالْأَنْصَارُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩٠﴾ (التوبة: ٩٠، ٩١)

لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٦﴾ (التوبة: ١١٦)

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ
 الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا
 وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ۚ إِنَّ
 اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾ (الأفعال: ٧٤-٧٥)

لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ
 وَرِضْوَانًا وَيَنْصَرُونَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ أُولَئِكَ هُمُ الصَّدِيقُونَ ﴿٧٦﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ
 وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُخَيِّبُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا
 وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ
 الْمُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا
 الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ
 رَحِيمٌ ﴿٧٨﴾ (الحشر: ٥٩-١٠٠)

(و) وأما بالنسبة لقريش بشكل عام، فيقول الله ﷻ:

لَا يَلْفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِلَٰهٌ لَهُمْ رِحْلَةَ الْشِتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾
 الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾ (قريش: ١-٤)

(ز) وأما بالنسبة للعرب بشكل عام ، فيقول الله ﷻ:

وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَتٍ عِنْدَ اللَّهِ
 وَصَلَوَاتُ الرُّسُولِ ۚ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾
 (التوبة: ٩٠-٩٩)

ولا يفوتنا أن نذكر هنا بأن القرآن الكريم أنزل بلغة العرب^{٧٧}.

(ح) وأما بالنسبة للمؤمنين جميعاً فسيأتي ما ورد فيهم في القرآن الكريم في فصل لاحق خاص إن شاء الله ﷻ.

والخلاصة هي أن القرآن الكريم أوجب حب أهل بيت رسول الله ﷺ وقرابته حسب الدرجات المتفاوتة التي ذكرناها آنفاً، فهذا الحب لذوي قربي رسول الله ﷺ واجب على كل من يحب رسول الله ﷺ، وبالتالي هو واجب على كل من يحب الله ﷻ.

ولهذا فإن الصلاة على أهل بيت رسول الله ﷺ جزء لا يتجزأ من صلاة المسلم:

فعن كعب بن عجرة سأل الصحابة رضي الله عنهم رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله كيف الصلاة عليكم أهل البيت فإن الله قد علمنا كيف نسلم عليكم؟ قال: «قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد»^{٧٨}.

٧٧ انظر إلى: النحل، ١٦؛ طه، ٢٠؛ الزمر، ٣٩؛ فصلت، ٤١؛ ٣؛

الشورى، ٤٢؛ ٧؛ الزخرف، ٤٣؛ الأحقاف، ٤٦؛ ١٢.

٧٨ رواه البخاري، ٣٣٧٠، كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم، ٤٠٦، كتاب الصلاة.

١٥. الباب الثالث؛ الفصل الرابع:

أثر حب الله ﷻ على الإنسان

هل يظهر أثر الإيمان بالله على عباده؟ نعم، لأن الإيمان بالله رحمة من الله ^{٧٩}. يقول الله ﷻ:

فَأَنْظُرْ إِلَىٰ آثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ تُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِ الْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ (الروم: ٥٠)

هذه هي الآية الوحيدة التي ذكر الله ﷻ فيها "آثار رحمته"، ويلاحظ أن الله ﷻ ذكر كلمة "فَأَنْظُرْ": وهذا يعني أن أثر رحمة الله سيُرى بإذن الله. وإضافة إلى ذلك فإن الله ﷻ وصفَ الإيمان المخلص به بكلمة "صِبْغَةً". يقول الله ﷻ:

قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُمْ مُّسْلِمُونَ ﴿٣﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنَتمُ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا ۖ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴿٥﴾ (البقرة: ٢، ١٣٦-١٣٨)

٧٩ الإيمان رحمة من الله، لأنه لا يؤمن أحد إلا بإذن الله ﷻ. يقول الله ﷻ:

وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَجَعَلَ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠﴾ (يونس: ١٠)

وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْتَوَاتُ وَخَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَٰكِنْ أَكْثَرُهُمْ فَجَّهَلُونَ ﴿٦﴾ (الأنعام: ٦)

إِنْ هَدَيْنَاهُ نَذْرَهُ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٣٠﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣١﴾ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٢﴾ (الإنسان: ٢٩-٣١)

وجاء في تفسر الجلالين: " (صِبْغَةَ اللَّهِ) مصدر مؤكد لـ (ءَامَنَّا) ونصبه بفعل مقدر، أي صبغنا الله، والمراد بها دينه الذي فطر الناس عليه لظهور أثره على صاحبه، كالصبغ في الثوب"^{٨٠}.

ووصف الله ﷻ في القرآن الكريم علامات وسمات وحالة المؤمنين وصفاً دقيقاً وجميلاً في عدة آيات. يقول الله ﷻ:

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَائِهِمْ مَعْزُوتُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَسَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ (المؤمنون، ٢٣: ١-١١)

إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِعَاقِبَتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٢٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٣٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْحَيَاتِ وَهُمْ هَا سَاقُونَ ﴿٣١﴾ وَلَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا مَكْتُبٌ بِالسَّاعَةِ ۖ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمَرَةٍ مِنْ هَٰذَا ۖ وَهُمْ أَعمَلٌ مِنْ دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَمِلُونَ ﴿٣٣﴾ (المؤمنون، ٢٣: ٥٧-٦٣)

ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعْظَمَ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٤﴾ لَنُكَفِّرَنَّ فِيهَا مَنْفَعَةً إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نَحْمِلُهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٣٥﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۖ فَإِنَّهُمْ كَرِهُوا ۖ فَلَهُمْ أَسْلَمُوا ۖ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٦﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ

وَمِمَّا زَرَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣٥﴾ (الحج، ٣٢: ٣٥)

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا زَرَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣٧﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ هُمْ دَرَجَتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٣٨﴾

(الأنفال، ٨: ٤-٢)

وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكِنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ

﴿٧٢﴾ (التوبة، ٩: ٧٢)

هل كل مؤمن يُحب الله؟ وبالتالي هل علامات وسمات الإيمان هي نفس علامات وسمات حب الله للعبد وعلامات وسمات حب العبد لله؟ يقول الله ﷻ:

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٣٦﴾ (مريم، ١٩: ٩٦)

هذه الآية الكريمة تدل على أن كل مؤمن يعمل صالحاً له شيء من الحب، وهو "الود". وهذا يعني أن علامات وسمات الإيمان المخلص تدل أيضاً على أثر شيء من حب الله للعبد وحب العبد لله. لكن يبدو أن الحب الخالص لله ﷻ يقتضي شيئاً أكثر من الإيمان والعمل الصالح وحدهما. يقول الله ﷻ:

قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

﴿٣١﴾ (آل عمران، ٣: ٣١)

في هذه الآية الكريمة يخاطب الله ﷻ المؤمنين^{٨١} بكلمة "إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ

٨١ الآيات التي قبل هذه الآية الكريمة تدل على أن الخطاب في هذه الآية (آل عمران، ٣:

٣١) هو خطاب للمؤمنين بشكل خاص. يقول الله ﷻ:

الله "، فهذا يعني أنه ربما لا يصل المؤمنون إلى حب الله بشكل تام بمجرد إيمانهم: فكلمة "إن" تعني هنا احتمالين، إما أن تكون حالة ما، وإما أن لا تكون تلك الحالة. ولكن كما رأينا سابقاً هذا لا يعني أن المؤمنين ليس لديهم حبٌ لله أصلاً، فهم لديهم حبٌ لله ﷻ ولكن لم يصلوا في البداية بعد إلى الدرجات العليا الكاملة من الحب. وإنما من خلال اتباعهم لرسول الله ﷺ فإن حبهم لله يزداد ويزداد إلى أن يحبهم الله. فوصف الله ﷻ رجاء^{٨٢} رسول الله ﷺ بأنه "أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ" للمؤمنين في الآية الكريمة التالية:

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ

كَثِيرًا ﴿٢١﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٢١)

ويؤكد كل ما ذكرناه سابقاً الحديث القدسي المشهور ("حديث

لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاتُوا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ^{٨٣} وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٢٢﴾ قُلْ إِنْ تَخْشَوْنَ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْزِمُ اللَّهُ وَيَعْلَمَ مَا فِي السَّمْعِ وَمَا فِي الْأَرْضِ^{٨٤} وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ^{٨٥} وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٤﴾ (آل عمران، ٣٠: ٢٨-٣٠)

ويؤكد الفخر الرازي أن هذا الخطاب في هذه الآيات للمؤمنين، حيث يقول: "إنه تعالى لما ذكر ما يجب أن يكون المؤمن عليه في تعظيم الله تعالى، ذكر بعده ما يجب أن يكون المؤمن عليه في المعاملة مع الناس ولفظ العباد في القرآن، قال تعالى (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْسُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا) (الفرقان، ٢٥: ٦٣)، وقال تعالى: (عَبِيدًا يَقْرَبُوا عِبَادَ اللَّهِ) (الإنسان، ٧٦: ٦). فكان المعنى: أنه لما ذكر وعيد الكفار والفساق ذكر وعد أهل الطاعة فقال: والله رؤوف بالعباد، أي كما هو منتقم من الفساق فهو رؤوف بالمطيعين والمحسنين". (فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، المجلد: ٣، ص ١٩١-١٩٧).

٨٢ والرجاء نوع من أنواع الحب كما سنرى لاحقاً إن شاء الله في حديثنا عن "أنواع الحب".

النوافل ") حيث بيّن هذا الحديث القدسي أن حب العبد لله وحب الله للعبد يزداد تدريجياً:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ:

«إن الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأن أكره مساءته»^{٨٣}.



ذكر الله في القرآن الكريم صفات الذين يُحبهم ويحبونه حباً كاملاً وصفاً دقيقاً في قوله ﷻ:

يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ۖ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ۚ ذَٰلِكُمْ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (المائدة: ٥٤)

يلاحظ في هذه الآية الكريمة أنه يوجد أربع صفات للذين "يُحِبُّهُمْ

وَيُحِبُّونَهُ" وهي:

(أ) "أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ"،

(ب) "أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ"،

^{٨٣} رواه البخاري، رقم ٥٦٠٢، كتاب الرقاق، باب التواضع.

(ج) "مُجْتَهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ"،

(د) "وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ".

(١) أما بالنسبة للوصف الأول "أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ"، فإن الله بيّن معنى وأهمية هذه الخصلة النبيلة في آيات أخرى (وبالتالي من خلال "التفسير بالتفسير"). فإن من التذلل للمؤمنين الرحمة لهم، ومعية رسول الله في السجود لله، وابتغاء رضوان الله، بحيث يصبح كالزرع الذي يؤتي ثماره:

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ^ط وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ^ط تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا^ط سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ^ط ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ^ط وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَرَجٍ^ط أَخْرَجَ شَطْطَهُ فَفَازَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ^ط وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٨﴾ (الفتح، ٤٨: ٢٩)

ومن التذلل للمؤمنين أيضاً إثارة المؤمنين على النفس وعلى الحاجات.

يقول الله ﷻ:

وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ^ط يُحِبُّونَ مَن هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ^ط وَمَن يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩١﴾ (الحشر، ٩٠: ٩١)

وهذا الإيثارة يجعل المؤمن راضياً بنصيبه بغض النظر عن نصيب

الآخرين. يقول الله ﷻ:

وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا^ط مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٨١﴾ (التوبة، ٩: ٥٩)

وهذا الإيثار يجعل المؤمن قادراً أيضاً على إيتاء " **الْمَالِ عَلَىٰ حُبِّهِ** " ^{٨٤}.

يقول الله ﷻ:

لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ
وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى
الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۗ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ
الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۗ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٧٧﴾ (البقرة: ١٧٧)

فهذا يؤدي إلى البرّ كله ^{٨٥}، لأن البرّ يتطلب التقوى والإنفاق مما نحب.

٨٤ قال فخر الدين الرازي في تفسيره الكبير: "التقدير: وآتي المال على حب المال، قال ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما: وهو أن تؤتيه وأنت صحيح صحيح، تأمل الغنى، وتخشى الفقر، ولا تُمهّل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلان كذا ولفلان كذا..." (فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، المجلد: ٢، ص ٢١٥).

٨٥ ذكر الله ﷻ في سورة الواقعة أصحاب اليمين والمقربين ووصف المقربين بأنهم يشربون من كأس من معين، ولم يصف أصحاب اليمين بذلك فقال: **يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ ﴿٥٦﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ﴿٥٧﴾** (الواقعة: ٥٦-٥٧-٥٨).

أما في سورة المطففين فقد ذكر الله الأبرار والمقربين ووصف الأبرار بأنهم يشربون من عين من تسنيم، والتسنيم هو شراب المقربين في الجنة. وأما الأبرار فوصفهم الله في هذه السورة بأنهم يُسَقَوْنَ من رحيق مختوم ممزوج - أي مخلوط - من تسنيم، وليس تسنيماً صِرَافاً. قال الله ﷻ:

كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيَّينَ ﴿١﴾ وَمَا أَذْرَكَ مَا عَلِمُونَ ﴿٢﴾ كَتَبَ مَرْفُومٌ ﴿٣﴾ يَشْهَدُهُ الْمَلَكُونَ ﴿٤﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٥﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٦﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٧﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ﴿٨﴾ خَتَمُهُ مِسْكَ ۖ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٩﴾ وَمَرْاجُهُ مِنَ النَّعِيمِ ﴿١٠﴾ عَيْنًا يُنْزَرُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ (المطففين: ١-١٨-٢٨).

يقول الله ﷻ:

...وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آتَقَىٰ ... (البقرة: ١٨٩)

لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿١٨٩﴾
(آل عمران: ٩٢)

فَمِنْ حُبِّ اللَّهِ - وبالتالي من التذلل للمؤمنين - إثارة لهم على النفس وإعطائهم وتفضيلهم وتكريمهم بالمال وبالنية، لأن الله ﷻ كما ذكرنا آنفاً يقول:

وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُخَيِّبُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ (الحشر: ٥٩، ٩٠).

فهذا يُفسر أيضاً لماذا يأتي مع حب الله ﷻ الرفق بالناس.

عن جرير بن عبد الله قال رسول الله ﷺ:

«إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا أَعْطَاهُ الرِّفْقَ»^{٨٦}.

وفي هذه الحالة فإن الله ﷻ يُحب العبد ويجعل لعبده الذي يُحبه قبولاً عند سائر الناس.

فإنه يتبين لنا من هذه الآيات أن هناك ثلاثة أصناف من أهل الجنة وهم: "أصحاب اليمين"، و"الأبرار"، و"المقربون"، وأعلامهم درجة هم "المقربون"، وأدناهم "أصحاب اليمين"، والأبرار أدنى من المقربين وأعلى من أصحاب اليمين، أي أنهم بين الدرجتين. فأما بالنسبة للذين قال الله ﷻ فيهم "يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ"، فقد نالوا البر كله كما ذكرنا أعلاه، فهذا يعني أنهم على الأقل من الأبرار وأعلى من أصحاب اليمين. وسنبحث في نهاية هذا الفصل إن شاء الله ﷻ قضية هل الذين قال الله ﷻ فيهم "يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ" من المقربين، وبالتالي هل هم من أولياء الله الصالحين؟

٨٦ رواه الطبراني ورجاله ثقات، كما قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد رقم ١٨/٨.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ:

«إذا أحب الله عبداً نادى جبريل إن الله يحب فلاناً فأحبه فيحبه، فينادي جبريل في أهل السماء إن الله يحب فلاناً فأحبه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في أهل الأرض»^{٨٧}.

(ب) وأما وصف "أَعَزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ"، فإن الله ﷻ بيّن معناه أيضاً في الآية الكريمة:

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَّعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَفَازَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٤﴾ (الفتح، ٤٨: ٢٩)

كما بيّن الله ﷻ الغلظة التي تقتضيها العزة على الكافرين. يقول الله ﷻ:

يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَتِلُوا الَّذِينَ يُلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلَيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ﴿٢٥﴾ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٦﴾ (التوبة، ٩: ١٢٣)

يَتَأْتِيَ النَّبِيُّ جَهْدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴿٢٧﴾ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ﴿٢٨﴾ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٢٩﴾ (التحریم، ٦٦: ٩)

(ج) وأما بالنسبة لوصف "مُجْتَهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ"، فإن الله ذكر الجهاد في

آيات كثيرة.

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْثَقْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ؕ
أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ ؕ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلًا

(التوبة، ٩: ٣٨)

وقد بين الله علاقة الجهاد بالحب بصورة واضحة في الآية الكريمة:

قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا
وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ
فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ؕ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ

(التوبة، ٩: ٢٤)

ولكن لا يفوتنا أن نذكر أن الجهاد نوعان: الجهاد بالقرآن الكريم^{٨٨}
جهاد النفس وهو الجهاد الأكبر^{٨٩}، والجهاد ضد المعتدين من الكافرين وهو
الجهاد الأصغر:

فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا

(الفرقان، ٢٥: ٥٢)

٨٨ قال الطبري: "ولكن جاهدهم بهذا القرآن جهاداً كبيراً". (الطبري، جامع البيان في
تأويل القرآن، ٩/ ٣٩٨).

وقال ابن كثير في تفسيره: "وجاهدهم به، يعني بالقرآن، قاله ابن عباس رضي الله
عنهما" (ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص ١٣٦٠).

٨٩ عن جابر رضي الله عنه قال: قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ غَزَاةٍ لَهُ فَقَالَ لَهُمْ:
«قَدِمْتُمْ خَيْرَ مُقَدِّمٍ، قَدِمْتُمْ مِنَ الْجِهَادِ الْأَصْغَرِ إِلَى الْجِهَادِ الْأَكْبَرِ»، قالوا: وما الجهاد الأكبر يا
رسول الله، قال: «مجاهدة العبد هواه». (رواه البيهقي وقال: وهذا فيه ضعف وذلك في
كتاب الزهد الكبير، ص ١٦٥، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد، ١٣/ ٥٢٣).

وعن فضالة بن عبيد قال رسول الله ﷺ: «المجاهد من جاهد نفسه». رواه الترمذي
(١٦٢١) في كتاب فضائل الجهاد باب ما جاء في فضل من مات مرابطاً، وقال: وحديث
فضالة حديث حسن صحيح. وابن حبان في صحيحه (٤٨٤/ ١٠) وغيرهما.

فهذا يعني أن وصف "مُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ" يتضمن معنى الجهاد المستمر لإصلاح النفس، وبينما يكون الجهاد ضد الكافرين في أوقات معينة تحت ظروف معينة، الجهاد لإصلاح النفس لا حد له ولا نهاية حتى الموت، فلا يتوقف ولا ينقطع لحظة واحدة في الحياة. فالله ﷻ حذر من ترك هذا الجهاد. يقول الله ﷻ:

وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقْضِ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٩٠﴾ (الزخرف، ٤٣: ٣٦)

(د) وأما بالنسبة لوصف "وَلَا تَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ"، فهي تدل على الإخلاص لله ﷻ وعدم الالتفات إلى ما دون الله ﷻ. فيقول الله ﷻ:

وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ

﴿٥٢﴾ (الأنعام، ٦٠: ٥٢)

وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا

﴿٢٨﴾ (الكهف، ١٨: ٢٨)

فهذا هو حال المخلصين الذين لا يلتفتون لغير الله ﷻ: يدعون الله بالغدو والآصال، ويذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم. يقول الله ﷻ:

الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ

٩٠ من الجدير بالذكر أن الله ﷻ يحمي المؤمن الذي يحبه ويجاهد في سبيله من الدنيا بالرغم من خطورة جهاده. فعن قتادة بن النعمان قال رسول الله ﷺ:

«إذا أحب الله عبداً حماه الدنيا كما يظل أحدكم يحمي سقيمته الماء». (رواه الترمذي وحسنه،

رقم ٢٠٣٦، كتاب الطب).

وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطِلاً سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٩١﴾ (آل عمران، ٣: ١٩١)

ولهذا فإن رسول الله ﷺ وصف حال المخلصين الذين ... "لَا تَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ" بقوله ﷺ:

«أكثرُوا ذِكْرَ اللَّهِ حَتَّى يَقُولُوا مَجْنُونٌ»^{٩٢}.

فهذا هو حال الذين يُحبهم الله ويحبونه، فإنهم المؤمنون الأبرار الذين يتواضعون ويتذللون للمؤمنين ويعتزون بإيمانهم أمام الكافرين، ويجاهدون جهاداً مستمراً ضد النفس بإخلاص ولا يلتفتون إلى ما دون الله^{٩٣}. وبالإمكان أن نعرفهم من خلال هذه الصفات. لأن الله ﷻ قال: "... سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ ...".



قال الله ﷻ:

يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ (المائدة، ٥: ٥٤)

٩١ يقول الله ﷻ أيضاً: «إِذَا فَضِيَّتُمْ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْفُورًا ﴿٥٤﴾» (النساء، ٤: ١٠٣)

٩٢ رواه ابن حبان في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري، مجلد: ٣، ص ٩٩.

٩٣ ولهذا وصف رسول الله ﷺ حلاوة الإيمان بقوله فيما رواه أنس بن مالك ﷺ قال رسول الله ﷺ:

«ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ، مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَمَنْ أَحَبَّ عَبْدًا لَا يَجِبُ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ». (رواه البخاري، رقم ٢١، كتاب الإيمان).

وفي الخلاصة فإنه يوجد في الأوصاف الأربعة المذكورة في الآية الكريمة خلاصة دقيقة عن كل ما يمكن أن يقال في الذين يحبهم الله ويحبونه كما ذكرنا سابقاً. ويوجد في هذه الآية أيضاً مُجمل ما قاله الله ﷻ في القرآن الكريم في الذين يحبهم الله ويحبونه كما رأينا في حديثنا هذا كله. وهذه الأوصاف لا بد لها أن تظهر على من يحبهم الله ويحبونه من خلال صفات معينة، فيعرفون بها.



مسألة: هل الذين قال الله ﷻ فيهم " ... يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ... " يعتبرون من " أولياء الله "؟ فإن كان الجواب نعم، فما الدليل على ذلك؟
وصف الله ﷻ أوليائه في قوله ﷻ:

أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٥﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٦﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٧﴾ وَلَا يَحْزَنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٨﴾ (يونس، ٦٥-٦٨)

فأولياء الله ﷻ هم الذين " لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ " وبالتالي فإن الله ﷻ يقول لرسوله ﷺ: " وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ". فنفهم من ذلك أن الرسول ﷺ هو سيد أولياء الله الذين لا يحزنون^{٩٤}، وأنه سيد الذين هم أعزة على الكفار، لأن العزة لله وبالتالي

٩٤ عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ:

لرسوله:

يَقُولُونَ لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلُّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ
وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ (المنافقون، ٦٣: ٨)

فهذا يعني أنه يوجد تطابق ما بين "أولياء الله" وبين الذين قال الله فيهم ﷺ " ... تُحِبُّهُمْ وَتُحِبُّونَهُمْ ... ": فكلاهما لا يخافون وكلاهما أعزة على الكافرين بعزة الله ﷻ. وإضافة إلى ذلك فإن الله ﷻ ذكر تعريفاً آخر لأوليائه بقوله ﷻ:

قُلْ يَتَّيِبُا لِلَّذِينَ هَادُوا إِنْ رَعَمْتُمْ أَنْكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنُّوا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٢﴾ وَلَا يَتَمَنُّونَهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ (الجمعة، ٦٢: ٦٣)

فهاتان الآيتان تدلان على أن ولي الله هو من يتمنى الموت^{٩٥}، لأنه

«أنا سيد الناس يوم القيامة...». (رواه البخاري، رقم ٤٧١٢، كتاب تفسير القرآن، باب ذرية من حملنا مع نوح، ورواه مسلم، رقم ١٩٤، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزله فيها). وفي رواية أخرى:

«أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ... آدم فمن دونه تحت لوائي ولا فخر». (مسند أحمد، ٢٨١/١، وصحيح ابن حبان، ٣٩٨/١٤).

٩٥ هنالك شيء في الإنسان يستطيع أن يتمنى الموت صدقاً. يقول الله ﷻ:

وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٣٦﴾ (آل عمران، ٣: ١٤٣)

وهناك مثل واقعي لهذا في سيرة رسول الله ﷺ في قصة عمير ابن الحمام الأنصاري:

عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال ... [في بداية معركة أحد]:

«قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض»، قال عمير ابن الحمام الأنصاري يا رسول الله، جنة عرضها السماوات والأرض؟ قال: «نعم»، قال: بنح بنح، فقال رسول الله ﷺ: «ما يحملك على قولك بنح بنح؟» قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها، قال: «فإنك من أهلها»، فاخرج تمرات من قرنيه فجعل يأكل منهن ثم قال: لئن أنا حييت حتى

مطمئن لأعماله. وبين الله ﷻ في هذا التعريف حالة أوليائه (وحالة من هم ليسوا بأوليائه) في قوله ﷻ:

قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٦﴾ وَلَنْ يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٧﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحِّزٍ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾

٩٦

(البقرة، ٢: ٩٤-٩٦)

وكذلك بين الله ﷻ حالة الإخلاص عند بعض عباده، إذ ينتظر الموت

أكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة، قال: فرمى بما كان من التمر ثم قاتلهم حتى قتل». (رواه مسلم، رقم ١٩٠١، كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد).

لكن جاء في حديث آخر أنه يوجد في الإنسان شيء آخر يكره الموت:

قال رسول الله ﷺ:

«من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه»، قيل يا رسول الله: كراهية لقاء الله في كراهية لقاء الموت، فكلنا يكره الموت، قال: «لا، إنما ذاك عند موته إذا بُشر برحمة الله ومغفرته أحب لقاء الله فأحب الله لقاءه، وإذا بُشر بعذاب الله كره لقاء الله وكره الله لقاءه». (رواه مسلم، رقم ٢٦٨٥، كتاب الذكر والدعاء، باب من أحب لقاء الله، وهذا لفظ ابن ماجه، رقم ٤٢٦٤، كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له).

فنقول ربما يكون في الإنسان عنصران: أحدهما من طبيعته يكره الموت دوماً، والآخر يحب الموت ويتمناه (إذا كان الإنسان من الأولياء الصالحين)، وربما يكون العنصر الأول هو النفس والثاني هو الروح، والله أعلم.

٩٦ وربما يكون في الآيات الكريمة التالية إشارة أيضاً إلى الأولياء:

فَلْيَقْتُلِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ (النساء، ٧٤)

إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ (التوبة، ٩: ١١١)

من غير تأثير إذ قال الله ﷻ:

مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رَجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا ﴿٣٣﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٢٣)

فهذا هو حال أولياء الله يفضلون لقاء الله ﷻ والآخرة على الدنيا بسبب إيمانهم وأعمالهم ولا يبدلون عن ذلك تبديلاً. وهذا الوصف ربما ينطبق على بعض الذين قال الله ﷻ فيهم " ... تَحِبُّهُمْ وَتُحِبُّونَهُمْ ... " ، لأنه جاء في الحديث الشريف عن عبادة بن الصامت قال رسول الله ﷺ:

«من أحب لقاء الله أحب لقاء الله، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه»^{٩٧}.

فخلاصة القول هنا هو أنه إن لم يكن التطابق كاملاً بين أولياء الله ومن قال فيهم " ... تَحِبُّهُمْ وَتُحِبُّونَهُمْ ... " ، فإن درجة الحب التي وصفها الله بكلمته " ... تَحِبُّهُمْ وَتُحِبُّونَهُمْ ... " هي درجة قريبة من درجة أولياء الله الصالحين، والله أعلم.



٩٧ رواه البخاري، رقم ٦٥٠٧، كتاب الرقاق، باب من أحب لقاء الله عز وجل، ورواه مسلم، رقم ٢٦٨٣، كتاب الذكر والدعاء، باب من أحب لقاء الله.

١٦. الباب الثالث؛ الفصل الخامس:

الحب العائلي

وصَفَ الله ﷻ وحدّد ونظّم العلاقات والحقوق العائلية^{٩٨} والحب العائلي بين الأقارب في آيات كثيرة من القرآن الكريم. وكل هذه العلاقات والحقوق والحب يمكن أن توصف بمبدء عام واحد وهو "الْمَوَدَّةُ فِي الْقُرْبَى":

ذَٰلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهَ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ۖ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدَ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾

(الشورى، ٤٢: ٢٣)

وسبب هذا المبدء - والله أعلم - هو أن "أُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ

بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ":

النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ۖ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَىٰ

٩٨ ومن الجدير بالذكر أن الله ﷻ جعل تشريعاً للـ "الأهل":

وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ۚ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُم بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَاذْكُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ مُحْصَنَاتٌ غَيْرُ مُسْفَحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَا أُحْصِنَ فَإِنَّ أَتَيْنَ بِفِجْشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَن خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ وَأَن تَصْيرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾

(النساء، ٤: ٢٥)

وإن خِفْتُمْ شِقَاقَ بَنِيهَا فَاذْكُوهَا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا ۚ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّي اللَّهُ بَيْنَهُمَا ۚ إِنَّ اللَّهَ

كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٥﴾ (النساء، ٤: ٣٥)

كما أن الله ﷻ أشار إلى حقوق القربى بشكل عام:

وَأَتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ ۚ وَالْيَتَامَىٰ وَالسَّبِيلَ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ۚ وَكَانَ

الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٦﴾ (الإسراء، ١٧: ٢٦-٢٧)

أُولَئِكَ يَكُونُ لَكُمْ مَعَهُمْ فِي الْأَرْحَامِ مِثْلُ آبَائِكُم مِّنَ الْأَرْحَامِ ﴿٣٣﴾ (الأحزاب: ٣٣)

وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَنَّهُدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ

بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ (الأنفال: ٨٠: ٧٥)

لكن جعل الله ﷻ القرابة في الأرحام درجات مختلفة، وحدد وكرّم هذه

الدرجات بتسميتهم في الآيات الكريمة التالية:

وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٥﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبنَاتُ الْأَخِ وَبنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضْعَةِ وَأُمَّهُنَّ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ يَكُنُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِّنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٣٦﴾ * وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَن تَتَّبِعُوا بِأَمْوَالِكُمُ مُحْصِينَ غَيْرِ مُسْفِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَضَيْتُم بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٧﴾ (النساء: ٢٢-٢٤)

وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ خُمُرَهُنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانَهُنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرَ أُولِي الْإِرَةِ مِنَ الرِّجَالِ أُولَ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضُرُّنَّ بَأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ

تَفْلِحُوا ﴿٣١﴾ (النور، ٢٤: ٣١)

لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبْرَكَةٌ طَيِّبَةٌ ۚ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ (النور، ٢٤: ٦١)

و أعطى الله ﷻ حقوا لمن كانوا في درجة مطلق القرابة:

لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَآثَرَ السَّبِيلِ ۚ وَالسَّابِقِينَ فِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۚ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٧٧﴾ (البقرة، ١٧٧)

يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۗ قُلْ مَا أُنْفِقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّهِ وَلِلَّذِينَ وَاللَّذِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَآثَنِ السَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾ (البقرة، ٢: ٢١٥)

وَأَتَىٰ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَآثَنِ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا ۚ إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ ۗ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ۚ ﴿٢١٦﴾ وَإِذَا تَعَرَّضْتُمْ لَهُمْ أَيْتَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢١٧﴾ (الإسراء، ١٧: ٢٦-٢٨)

أما بالنسبة للأقارب الأقرين، فالله ﷻ ثبت ووطد حتى قرابة النسب

والمصاهرة:

وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ۚ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ (الفرقان، ٢٥: ٥٤)

فالعلاج - الذي هو أصل وسبب قرينة النسب والمصاهرة - يجعل بنين وحفدة، وبالتالي درجة مباشرة من القرابة:

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ۚ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ (النحل، ١٦: ٧٢)

وخص الله ﷻ الأولاد - الذكور منهم والإناث - بالذكر في القرآن الكريم، وأكد أنهم هبة منه:

لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ تَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ ۚ أَوْ يَزْوَاجَهُمْ ذُكْرًا وَإِنثًا ۚ وَيجعل من يشاء عقيماً ۚ إِنَّهُ عَالِمُ غَيْبٍ قَدِيرٌ ﴿٥١﴾ (الشورى، ٤٢: ٤٩-٥٠)

وبطبيعة الحال جعل للأولاد حقوقاً على آبائهم:

وَالْوَالِدَتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْمِ الرِّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ ۚ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ ۚ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۚ وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا ءَاتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٣﴾ (البقرة، ٢: ٢٣٣)^{٩٩}

ومن أجل أوصاف المحبة المشروعة بين الأولاد والآباء هي كلمة "طَوْفُوب" في الآية التالية التي تشير إلى الخدمة والمحبة المتبادلة بينهم، ولذة القرب، والتي نذكرنا بمحبة الحاج وطوافه حول الكعبة المشرفة وهي بيت الله العتيق:

٩٩ انظر أيضاً إلى: الأنعام، ٦: ١٤٠؛ الأنعام، ٦: ١٥١؛ الأنفال، ٨: ٣١؛ الممتحنة، ٦٠: ١٢؛ التكوين، ٨١: ٨-٩.

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَفْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ۚ ثَلَاثُ عَوَرَاتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَفُوتٌ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ

حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ (النور: ٢٤: ٥٨)

يقول ابن كثير في تفسيره، لهذه الآية:

"(طَوَفُوتٌ) عليكم، أي: في الخدمة وغير ذلك، ويغفر في الطوافين ما لا يغفر في غيرهم؛ ولهذا روى الإمام مالك وأحمد بن حنبل وأهل السنن أنَّ رسول الله ﷺ قال في الهرة:

«إنها ليست بنجس؛ إنها من الطوافين عليكم والطوافات»." ١٠٠

وكما خَصَّ الله ﷺ الأولاد بالذكر في القرآن الكريم، خَصَّ الآباء أيضاً وأمر بتكريمهم:

وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۚ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ (النساء: ٤: ٣٦)

وَيُنَبِّئُنَا اللَّهُ ﷻ أَنَّ هَذَا التَّخْصِيسَ والتَّكْرِيمَ كان موجوداً أيضاً في

التوراة:

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ

١٠٠ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ص

تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ (البقرة، ٢: ٨٣)

وعلم الله ﷻ المؤمنين أجمل دعاء للوالدين:

وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسِنًا ۖ إِنَّمَا يُبَلِّغُنَّ عِنْدَكَ أَلَكِبَرِ أَحَدُهُمَا
أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍّ وَلَا تَهَرَّهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿١٢٦﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا
جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿١٢٧﴾ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي
نُفُوسِكُمْ ۚ إِنَّ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿١٢٨﴾ (الإسراء، ١٧: ٢٣-٢٥)

وفي هذا الدعاء " وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا " يُذَكِّرُ الله ﷻ
المؤمنين برحمة آبائهم عليهم - مهما كان التقصير في الجزئيات - لأن كل
إنسان حي إنما يحيى بفضل الله ﷻ ورحمته ثم برحمة من آبائه، لأن كل مولود
ما كان ليحيى لولا أن رباه أبواه ورحماه وهو صغير، بدءاً من أمه التي غذته
من جسمها وولده بصعوبة. ولذلك مَيَّزَ الله ﷻ الأم على الأب في الآيات
التالية:

وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفَصَّلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي
وَلِوَالِدَيْكَ إِلَىٰ الْوَصِيرِ ﴿٨١﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ
فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبُهَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ ۚ إِلَىٰ نُفٍّ إِلَىٰ
مَرَجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٢﴾ (لقمان، ٣١: ١٤-١٥)

وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمَلُهُ وَفَصَّلُهُ
ثَلَاثُونَ شَهْرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ
الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلَحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ۚ إِنِّي تُبْتُ
إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٨٣﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ
سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ ۖ وَعَدَ الصَّادِقُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٨٤﴾ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ

أَفِ لَكُمْ أَتَعِدَانِي أَنْ أُحَرِّجَ وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَعْجِلَانِ اللَّهَ وَبَلَّكَ
ءَامِينَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٠١﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ
عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَمْرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ ﴿١٠٢﴾

١٠١ (الأحقاف، ٤٦: ١٥-١٨)

و"دعاء بلوغ الأربعين" - وهو سين "أشدُّهُ" وهذا يعني أن "كمال
قوته وعقله ورأيه" ١٠٢ - الذي يجمع فيه بين المحبة والعرفان للآباء والمحبة
والأمل للأولاد، كما ينبغي. والله ﷻ ينبها في آية أخرى على أننا لا ندري
أياً منهم أقرب لنا نفعاً:

يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِ مِثْلَ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ
ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۚ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِمَّنْهَا الشُّدْسُ مِمَّا
تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ ۚ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ ۚ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ
فَلِأُمِّهِ الشُّدْسُ ۚ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۚ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ
أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ ۚ إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٣﴾ (النساء، ٤: ١١)

فالله ﷻ جعل لكل منهم حقوقاً ومكانة، وجعل أهمية هذه الحقوق
والمكانة مباشرة بعد حقه (بعدم الشرك به)، وفوق أي حق آخر، الأمر الذي

١٠١ ولذلك فقد جاء في الحديث ما يلي:

عن أبي هريرة قال: قال رجل يا رسول الله من أحق الناس بحسن الصحبة، قال:
«أملك، ثم أمك، ثم أمك، ثم أبوك، ثم أدناك أدناك». (رواه مسلم، ٢٥٤٨، كتاب البر
والصلة، باب بر الوالدين وأنها أحق به). وفي رواية أخرى: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ
فقال يا رسول الله: من أحق الناس بحسن صحابي قال:

«أملك» قال ثم من؟ قال: «ثم أمك» قال ثم من؟ قال: «ثم أمك» قال ثم من؟ قال: «ثم
أبوك». (رواه البخاري، ٥٩٧١، كتاب الأدب، باب من أحق الناس بحسن الصحبة).

١٠٢ جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، تفسير الجلالين، ص ٦٦٨.

يدل على أهمية حب الوالدين والأولاد عند الله ﷻ:

قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ ۖ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ ۖ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّدَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ (الأنعام: ١٥١)



كما أمر الله ﷻ بمحبة الوالدين واحترام حقوقهما، وحذر الله ﷻ مبيئاً أن هذه الحقوق تنتهي عند حقوقه هو ﷻ. وحقه الأول على العبد هو أن لا يُشرك به. فحذر ﷻ المؤمن من خطورة احترام الوالدين إلى درجة أن يُطيعهما في أن يُشرك بالله ﷻ:

وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ إِلَىٰ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ (العنكبوت، ٢٩: ٨)

وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ ۖ وَهَنَا عَلَىٰ وَهْنٍ ۖ وَفَصَّلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ ﴿٩﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ ۖ إِلَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠﴾ (لقمان، ٣١: ١٤-١٥)

وبالتالي وضَّح الله ﷻ أنه يجب على الإنسان أن يحب الله ﷻ أكثر مما يُحب أي شيء آخر في الدنيا حتى الوالدين:

قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ

فِي سَبِيلِهِ فَنَرْضُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهَ بِأَمْرِهِ ۖ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١١﴾
(التوبة: ٩، ٢٤)

يَتَأْتِي الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوْمِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ
وَالْأَقْرَبِينَ ۚ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا هَوًى ۖ أَنْ تَعْدِلُوا ۚ وَإِنْ
تَلَوْنَا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ (النساء: ٤، ١٣٥)

وبطبيعة الحال إذا كان الوالدان مشركين فمن الصعب للمؤمن أن
يحبهما محبة صادقة بالرغم من أفضالهما عليه:

لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ
كَانُوا ءَابَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ
الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٦٢﴾
(الجادلة: ٥٨، ٢٢)

ولهذا وضَّحَ اللهُ ﷻ أن استغفار إبراهيم عليه السلام الأواه والحليم لأبيه كان
من الوفاء وليس من الحب للمشركين:

وَمَا كَانَ آسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ
لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿٦١﴾ (التوبة: ٩، ١١٤)



ربما يكون في الاحترام الزائد للوالدين ومحبتهم الزائدة خطر على حق
الله ﷻ (بالشرك به)، فرما الخطر الذي يأتي من محبة الأولاد غير ذلك. فرما
يأتي الخطر من المحبة الزائدة لهم والتباهي بهم بروح دنيوية:

الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَالْبَاقِيَتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ
أَمَلًا ﴿١٦﴾ (الكهف: ١٨، ٤٦)

أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ
كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ بَبَائِهِ ثُمَّ يَهِيْجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا ۖ وَفِي
الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ ۚ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٥٧﴾

(الحديد، ٥٧: ٢٠٠)

ولهذا حذر الله ﷻ من فتنة الأولاد:

وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ (الأنفال، ٢٨: ٢٨)

وهذه الفتنة هي نفسها عدو للإنسان تجذبه إلى الدنيا وهي ضد
مصلحته في الآخرة:

يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِتٍ مِّنْ أَزْوَاجِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن
تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٤﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ

وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٦٥﴾ (التغابن، ٦٤: ١٤-١٥)

ولهذا وصّى الله ﷻ الإنسان أن لا ينسى ذكر الله ﷻ بسبب أولاده:

يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ
فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٠﴾ (المناقرن، ٩: ٦٣)

فالله ﷻ بيّن وجوب حب الأولاد ولكن ضمن إطار معين وحدود
معينة كما رأينا.



فخلاصة الأمر هنا هو أن الله ﷻ جعل حباً طبعياً مشروعاً ومحموداً
بين الإنسان وعائلته - وجعل هذا الحب حسب درجة القرب - ولكنه ﷻ
أكّد على أنه يجب أن يبقى حب الإنسان لربه أكثر وأقوى من كل الحب
العائلي.



١٧. الباب الثالث؛ الفصل السادس:

حب الآخرين (الناس جميعاً، وأهل الكتاب، والمؤمنين، والأصدقاء)

المطلب الأول: الناس جميعاً

لم يقصر الله ﷻ الحب والمحبة بين الناس على الأقارب فقط. بل جعل، من رحمته التي "وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ" (الأعراف، ٧: ١٥٦) ، رحمة بل محبة بين الناس جميعاً بدرجات مختلفة وضمن شروط معينة. وربما من أسباب هذا هو أنّ كل إنسان قريب في نهاية المطاف إلى كل إنسان. فكل إنسان من سلالة آدم ﷺ وحواء، وبالتالي كل إنسان "ابن آدم" ^{١٣}، وهذه درجة قرابة حتى ولو أنها بعيدة. ويُذكرنا الله ﷻ بهذا في القرآن الكريم، ويُندرنّا إن لم نتق الله ﷻ في إخواننا وأخواتنا من رحم أمّنا جميعاً حواء:

يَتَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا

(النساء، ٤: ١)

وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ

يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ (الأنعام، ٦: ٩٨)

ويُذكرنا الله ﷻ أيضاً أننا خُلِقْنَا وتُبِعَتْ كنفس واحدة نشترك في الختام وليس في الأصل فقط:

مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ (لقمان، ٣١: ٢٨)

١٣ وهذا يعني أيضاً في طبيعة الحال أن كل إنسان هو في الأصل خليفة الله ﷻ على الأرض الذي نفخ الله ﷻ فيه من روحه (كما رأينا سابقاً في فصل "حب الله ﷻ للناس").

ومع أن الله ﷻ خلق مِنَّا شعوباً وقبائل مختلفة، لكننا جميعاً سواسية عند الله ﷻ، والأمر الوحيد الذي يميز بين شخص وآخر هو تقواه:

يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٢﴾ (الحجرات، ٤٩: ١٣)

فالاختلاف بين الشعوب والقبائل في أشكالهم وألوانهم حِكْمَةٌ إلهية يجب علينا أن نُقدرها ونُحترمها، ويجب علينا أن نَتَفَكَّر فيها:

وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاجْتَلَفَ الْأَلْسِنَ بَعْدَ مَا بَرَأَهُنَّ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ ﴿٣٣﴾ (الروم، ٣٠: ٢٢)

ويجب علينا أيضاً أن نُكْمِن وَنُحْتَفِل في الفروق بين الناس بشكل عام، وهذا معنى من معاني "لِتَعَارَفُوا"، والله أعلم. وعلى أي حال حَرَّمَ الله ﷻ قتل أي نفس من بني آدم بشكل عام:

وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ... (الإسراء، ١٧: ٣٣)

... وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصْنُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ

﴿٣٤﴾ (الأنعام، ٦: ١٥١)

بل أكثر من ذلك، جعل الله ﷻ قيمة كل البشرية في كل نفس، في حياتها وفي إِمَاتَتِها:

مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ

﴿٣٥﴾ (البقرة، ٥: ٣٢)

وبالتالي فإن الله ﷻ يأمرنا في القرآن بعدم الاعتداء على أي فرد من الناس. قال الله ﷻ:

وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ

(البقرة، ٢: ١٩٠)

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا خُلُوعَ لِشَعِيرِ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا أَهْدَى وَلَا أَلْفَلَيْدَ وَلَا ءَامِينَ أَلْبَيْتِ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا تَجْرِمَنكُمْ شَفَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ

(المائدة، ٥: ٢)

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوْمِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَفَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ

(المائدة، ٥: ٨)

بل أكثر من ذلك، فإن الله ﷻ يأمرنا بالقسط لكل بني آدم إلا من يُحَارِبُنَا وَيُخْرِجُنَا مِنْ دِيَارِنَا:

عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
لَا يَنْهَنكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ

(المتحنة، ٦٠: ٧-٨)

وإضافة إلى ذلك، أوصى الله ﷻ بالرحمة بشكل عام ومن غير تحديد بفتنة ما كما في الآية التالية (والتي كان علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء والحسن والحسين عليهم السلام جميعاً سبب نزولها بشكل خاص):

وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا

(الإنسان، ٧٦: ٨)

فيقول الفخر الرازي في تفسيره الكبير:

"المراد من قوله: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ هو ما رويناه أن علياً عليه السلام أطعم المسكين واليتيم والأسير، وأما الذين

يقولون الآية عامة في حق جميع الأبرار [فإنهم] قالوا: إطعام الطعام كناية عن الإحسان إلى المحتاجين والمواساة معهم بأي وجه كان، وإن لم يكن ذلك الطعام بعينه "١٠٤".

وكأنه تأكيد على ذلك، ذَكَرَ اللهُ ﷻ دعاءً للمؤمنين يتضمن الرحمة حتى للكفار:

رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَآغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨٥﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ

الْحَمِيدُ ﴿٨٦﴾ (الممتحنة، ٦٠: ٦٠-٦٠)

فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾ (يونس، ١٠: ٨٥)

يقول الله ﷻ:

وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۚ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا

مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ (النساء، ٣٦: ٣٦)

وقد جاء في تفسير الجلالين أن الجار ذي القربى هو: "القريب منك في الجوار أو النسب"، وأن الجار الجنب هو: "البعيد عنك في الجوار أو النسب" ١٠٥. فبمعنى آخر، حسب تفسير الجلالين، "الجار" هو كل إنسان على وجه الأرض سواء أكان مسلماً أو كافراً.

وكذلك جاء في تفسير القرطبي أن الجار ذي القربى هو الجار: "القريب"، والجار الجنب هو الجار: "الغريب" ١٠٦، والله أعلم.

١٠٤ الإمام الفخر الرازي، التفسير الكبير، مجلد ١٠، ص ٧٤٧.

١٠٥ جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، تفسير الجلالين، ص ١٠٦.

١٠٦ القرطبي، تفسير القرطبي، المجلد ٥، ص ١٧١.

وقد أكد رسول الله ﷺ هذا بقوله:

«والذي نفسي بيده لا يؤمن عبداً حتى يحب لجاره أو قال لأخيه ما يحب لنفسه»^{١٠٧}.

والرحمة لجميع الناس، بغض النظر إن كانوا مسلمين أو مؤمنين أو لا. فالرحمة تقتضي أن يغفر المسلمون للناس جميعاً بما فيهم الكفار. يقول الله ﷻ:

قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا

يَكْسِبُونَ ﴿٤٥﴾ (الجاثية، ٤٥: ١٤)

فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ (آل عمران، ٣: ١٥٩)

وكذلك قال رسول الله ﷺ:

«الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»^{١٠٨}.

وقال رسول الله ﷺ:

«لا يرحم الله من لا يرحم الناس»^{١٠٩}.

والمغفرة بدورها تعني الصفح عن الناس. يقول الله ﷻ:

١٠٧ رواه مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه، رقم ٤٥، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يجب لأخيه المسلم ما يجب لنفسه من الخير. وفي رواية أخرى عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه». رواه البخاري، رقم ١٣، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يجب لأخيه ما يجب لنفسه.

١٠٨ رواه الترمذي، رقم ١٩٢٤، عن عبد الله بن عمرو، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة الناس.

١٠٩ رواه البخاري، رقم ٧٣٧٦، عن جرير بن عبد الله، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن.

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأَتِيَةٌ فَاصْفَحِ

الْصَّفَحَ الْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ (الحجر، ٨٥: ٨٦-٨٧)

فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَمٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٧﴾ (الزخرف، ٤٣: ٨٩)

والصفح من سنن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فسيدنا يوسف عليه السلام يقول:

قَالُوا أَأَنْتَ يَاسُوفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ أَثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَطِئِينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ أَيُّومَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾ (يوسف، ٩٠-٩٢)

وكذلك يقول سيدنا إبراهيم عليه السلام:

رَبِّ إِنِّي أَضَلَلْتُ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٦﴾ (إبراهيم، ١٤: ٣٦)

وكذلك قد صَفَحَ رسول الله ﷺ عن أهل مكة يوم الفتح، فقال: «ما تقولون وما تظنون؟»، قالوا: نقول ابن أخ وابن عمّ حليم رحيم، فقال رسول الله ﷺ: «أقول كما قال يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين»، قال: فخرجوا كأنما تُشبروا من القبور^{١١٠}.

والصفح يعني عدم الغضب أيضاً. يقول الله تعالى:

وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٢٢٥﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبَظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ

فَاسْتَغْفِرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٢٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّتٌ تَجْرَىٰ مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ

خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَمَلِينَ ﴿١٢٦﴾ (آل عمران، ٣: ١٣٣-١٣٦)

فَمَا أُوتِيتُمْ مِّن شَيْءٍ فَمَتَّعْ أَلْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿١٢٧﴾ وَالَّذِينَ سَخِرْتَنِي بُونَ كَبِيرٍ أَلَا تَمُ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿١٢٨﴾ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلٰوةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٢٩﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ﴿١٣٠﴾ وَجَزَاؤُا سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۚ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۗ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٣١﴾ وَلَمَنِ آتٰنَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿١٣٢﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٣٣﴾ (الشورى، ٤٢: ٣٦-٤٢)

لكن الصفح فقط لا يكفي، فالمطلوب من المسلمين أن يردوا على الشيء السيئ بالشيء الحسن. قال الله ﷻ:

أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿١٣٤﴾ (المؤمنون، ٢٣: ٩٦)

وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿١٣٥﴾ وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿١٣٦﴾

(فصلت، ٤١: ٣٤-٣٥)

وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿١٣٧﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلٰوةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿١٣٨﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ۚ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿١٣٩﴾ سَلَّمَ عَلَيْهِمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿١٤٠﴾ (الرعد، ١٣: ٢١-٢٤)

وَأِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ^ط وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿١٦﴾

(النحل، ١٦: ١٢٦)

وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا

سَلَامًا ﴿٣١﴾ (الفرقان، ٢٥: ٦٣)

وخلاصة القول هنا هو أن الله ﷻ جعل حقوقاً لكل بني آدم، وفرض الاحترام وعدم الاعتداء والقسط والرحمة والمغفرة والصفح وعدم البُغض وحتى الإحسان عند الإساءة على المسلمين لكل إنسان مهما كان إن لم يكن يجارب المسلمين.

المطلب الثاني: أهل الكتاب

أمر الله ﷻ بالقسط والرحمة بشكل عام كما أمر بالإحسان لكل جار، قريب أو بعيد، حتى ولو كان هذا الجار من غير ديننا بشكل خاص:

وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا^ط وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ^ط إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ (النساء، ٤: ٣٦)

وإن ذكرنا سابقاً أن "الجار" يعني كل إنسان، سواء كان قريباً أم بعيداً، حسب تفسير القرطبي وتفسير الجلالين، فإنه من الجدير بالذكر أن ابن كثير يقول في تفسيره التالي:

"روي عن عكرمة، ومجاهد، وميمون بن مهران، والضحاك، وزيد بن أسلم، ومقاتل بن حيان، وقتادة. وقال أبو إسحاق عن نوف البكالي في قوله:

﴿ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ ﴾: يعني المسلم ﴿ وَالْجَارِ الْجُنُبِ ﴾ يعني اليهودي

والنصراني^{١١١}.

ومن الجدير بالذكر أن الله ﷻ قد سمى نصارى نجران "مؤمنين"، ولعن من عذبهم. يقول الله ﷻ:

قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخُدُودِ ﴿١﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ ﴿٢﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٣﴾ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٤﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٥﴾

(البروج، ٨٥: ٤-٨)

وقال القرطبي في تفسيره عن هذه الآية:

"الذين خَدَّوْا الأخاديد وَقَعَدُوا عليها يُلقون فيها المؤمنين وكانوا بنجران في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام وقد اختلفت الرواة في حديثهم والمعنى متقارب"^{١١٢}.

وكذلك أشار الله ﷻ إلى فرح المسلمين عند انتصار النصارى على الفرس المشركين:

الَّذِينَ غَلِبَتْ الرُّومُ ﴿١﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَافِلُونَ ﴿٢﴾ فِي يَوْمٍ نَبِّئُ لِلَّهِ الْأَمْرَ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾

(الروم، ٣٠: ٤-١)

ومن الجدير بالذكر أن الله ﷻ يعلم أن المسلمين سيقاتلون (فيما بعد في معارك كثيرة ومنها معركة مؤتة أثناء حياة رسول الله ﷺ) النصارى أنفسهم الذين فرح المسلمون بنصرهم على المشركين. فإذا كان نصرهم يُفرح المسلمين، - وإذا كان الله ﷻ يذكر نصرهم كوعد حسن للمسلمين - فهذا يعني أن هناك مودة خاصة بين المسلمين والنصارى. وهذا ما يقوله الله ﷻ في الآية التالية:

لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا^{١١٣} وَلَتَجِدَنَّ

١١١ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ص

أَقْرَبُهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي ذَٰلِكَ بَأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسَاتٍ
وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ (المائدة، ٨٢)

وإذا كان الله ﷻ قد حذر الرسول ﷺ من اليهود في هذه الآية ١١٣ -
ومدح النصرى - ففي آيات أخرى مدح الله ﷻ بني إسرائيل (أو على الأقل
بعضهم في فترة معينة^{١١٤}):

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ ۖ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي
إِسْرَءِيلَ ﴿٢٤﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِبَايَعَتِنَا يُوقِنُونَ
﴿٢٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ بِفَصْلِ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٦﴾ (السجدة، ٢٤-٢٦)
(٢٥-٢٣:

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُومِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ
مُلُوكًا وَءَاتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ (المائدة، ٢٧)

^{١١٢} أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تفسير القرطبي، ٢٥٧/١٩.

وقصة نصارى نجران المذكورة في صحيح مسلم، حديث رقم ٣٠٠٥ في كتاب الزهد
والرفائق، باب قصة أصحاب الأخدود، قصة الراهب والغلام.

^{١١٣} يلاحظ أن الله ﷻ خاطب رسوله ﷺ بشكل فردي في هذه الآية ("لَتَجِدَنَّ") وليس
المؤمنين بشكل عام.

^{١١٤} فيقول الله ﷻ:

فِيمَا نَقُضُهُمْ فَيَشْفَعُهُمْ وَكَفَرُهُمْ وَإِنِّي أَنذَرْتُ اللَّهُمَّ الْآلِئِيَاءَ بَغْيَرِ حَقِّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا
بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ (النساء، ١٥٥)

وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ آَعَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٥﴾ (البقرة، ٦٥)

(وانظر أيضاً إلى: البقرة، ٢: ٧٨ و ٩١؛ المائدة، ٥: ٦٠؛ الأعراف، ٧: ١٦٦ وغيرها من الآيات
في هذا الموضوع.)

وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى
 الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ ۖ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ
 بَعِيًا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾
 (الجاثية، ٤٥: ١٦-١٧)

وَلَقَدْ آخَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٨﴾ وَآتَيْنَاهُمْ مِّنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَتُوا مُبِينَ ۚ
 ﴿١٩﴾ (الدخان، ٤٤: ٣٣-٣٢)

نَبَأُ اللَّهِ ﷻ المسلمين أنه يوجد بين أهل الكتاب بشكل عام بعض
 الصالحين:

لَيْسُوا سَوَاءً ۚ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ
 ﴿٢٠﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
 وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢١﴾ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن
 يُكْفِرُوهُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿٢٢﴾ (آل عمران، ١١٣: ١١٥)

وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿٢٣﴾ (الأعراف، ٧: ١٧٠)

فخلاصة القول هنا هو أن الله ﷻ فرض - إضافة إلى الاحترام
 والقسط والرحمة بشكل عام - الإحسان نحو أهل الكتاب بشكل خاص، ونبه
 على مودة خاصة بين المسلمين والنصارى، والله أعلم.

المطلب الثالث: المؤمنون

إضافة إلى الاحترام والقسط والرحمة والإحسان والمودة، فقد فرض الله ﷺ رابطة الأخوة بين المؤمنين بعضهم بعضاً:

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٩٠﴾ (الحجرات، ٤٩)

(١٠٠)

كذلك جعل الله ﷺ المؤمنين إخوة، وذكرهم بحقوق الإخوة في اللفظ الكريم "وَاتَّقُوا اللَّهَ"، وربط رحمته ﷺ بتقوى الله ﷻ في الأخوة بين المؤمنين. وبمعنى آخر فإن الله ﷻ يقول إنه سيرحم من يحب أخاه المؤمن.

والأخوة بدورها تعني الحب - وليس أقل من الحب - بين المؤمنين:

وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُخَيِّبُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩١﴾ (الحشر، ٥٩-٩٠)

وفي هذه الآية الجميلة بين الله ﷻ أن الحب المطلوب بين المؤمنين ليس فقط شعوراً لا يلزم المؤمن بشيء، ولكن من الحب حالة نفس صادقة تُفضّل مصلحة الآخرين على ذاتها، وبالتالي تتغلب فيها على "شُح النفس".
وخلاصة القول هنا هو أنه بالإضافة إلى الاحترام والقسط والرحمة والمودة والإحسان، يطلب الله ﷻ الحب بين المؤمنين، وهذا هو الحب الذي نسميه أحياناً "الحب في الله".

المطلب الرابع: الأصدقاء

ذكر الله ﷻ في كتابه درجات من الصداقة، بالإضافة إلى أخوة الإيمان التي ذكرناها. فالصحة أقل درجة من الصداقة. وذكر الله ﷻ "الصحة" في آيات كثيرة من القرآن الكريم، وعلى سبيل المثال في الآيتين التاليتين:

قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّحْنِي ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ (الكهف: ١٨)

(٧٦:

يَنْصَحِي السَّجْنَاءَ رَبَّابٌ مُتَفَرِّقُونَ ۚ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٧٧﴾ (يوسف: ١٢، ٣٩)

عموماً لا تعني كلمة "صحبة" في القرآن الكريم مودة خاصة لكن تعني الرفاق في أمر معين. فأصحاب النار لا يحب بعضهم بعضاً ولكنهم يتصاحبون في النار:

قَالَ أَذْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَيْنَاهُمْ لِأَوْلَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَعَذِّبْهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ وَقَالَتْ أُولَهُمْ لِأُخْرَيْنَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فذوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ

﴿٧٨﴾ (الأعراف: ٧، ٣٨-٣٩)

ومع هذا يمكن لكلمة "صحبة" أن تعني "صدقة" أو مودة معينة كما هو الحال في الآيتين التاليتين:

إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنِّي أَنَا اللَّهُ مَعَنَا ۖ فَاَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى ۗ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤١﴾ (التوبة: ٩، ٤٠)

أَمْرٌ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ ءَايَاتِنَا عَجَبًا ﴿١٨٠﴾ (الكهف: ١٨، ٩)

بعد "الصحبة" تأتي "الصدقة"، وهي تعني درجة ثابتة من المحبة الخاصة والأخوة. والله ﷻ يبين وكرّم ووطّد هذه العلاقة الخاصة حتى في تشريعه:

لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى

أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ حَلَائِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبْرَكَةٌ طَيِّبَةٌ ۚ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾ (النور، ٢٤: ٦١)

وفوق " الصداقة " يمكننا أن نميز " الصداقة الحميمة " ، فالله ﷻ يقول:

وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿٦٢﴾ (الشعراء، ٢٦: ١٠١) ١١٥ .

وأخيراً ربما نميز " الخلّة " حتى على " الصداقة الحميمة " ، لأنّ الله ﷻ يقول:

الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٦٣﴾ (الزخرف، ٤٣: ٦٧)

فخلاصة القول هنا هو أن الله ﷻ ذكرَ وشرّع وبارك " الصداقة " – والحب بين الأصدقاء – بدرجات مختلفة في القرآن الكريم. والصداقة الحميمة بين المؤمنين هي أعلى درجة من الحب بين أولئك الذين ليست بينهم قرابة، والله أعلم.

١١٥ انظر أيضاً إلى وصف " الحميم " في الآيات التالية: غافر، ٤٠: ١٨؛ فصلت، ٤١: ٣٤؛ الحاقة، ٦٩: ٣٥؛ المعارج، ٧٠: ١٠.

١٨. الباب الثالث؛ الفصل السابع: الحب الزوجي والحب الجنسي

خلقنا الله ﷻ جميعاً من نفس واحدة، وخلق من هذه النفس - وهي نفس آدم ﷺ - زوجةً (وهي حواء أمنا جميعاً)، وخلق كل الناس من آدم ﷺ وحواء معاً:

يَتَأْتِي النَّاسُ أَنْتَقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَأَنْتَقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا

(النساء، ٤: ١)

خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ... (الزمر، ٣٩: ٦)

وَخَلَقْنَا (عموماً) زوجين، الذكر والأنثى:

وَأَنَّهُ خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى (النجم، ٥٣: ٤٥)

١١٦ قلنا "عموماً" لأنه ربما يكون في قوله ﷻ: "أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنْسَانًا وَتَجْعَلُ مِنْ يَشَاءٍ عَاقِبَةً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ" (الشورى، ٤٢: ٥٠) إشارة إلى وجود "الخنثى" الذي يجمع بين الذكر والأنثى في شخص واحد، أو إلى وجود الشخص الذي لا يعتبر ذكراً أو أنثى.

١١٧ قال الراغب الأصفهاني في كلمة "زوج": "يقال لكل واحد من القرينين من الذكر والأنثى في الحيوانات المتزاوجة "زوج"، ولكل قرينين فيها وفي غيرها "زوج"، كالخف والنعل، ولكل ما يقترب بآخر مائل له أو مضاد زوج، قال تعالى: فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى (القيامة، ٧٥: ٣٩) وقال: ... أَتَسْكُنُ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ... (البقرة، ٢: ٣٥) . (الراغب الأصفهاني، المفردات، ص ٢٢٠).

فهكذا يقال لكل من الذكر والأنثى "زوج"، وهذا يدل على احتياج كل من الذكر والأنثى بعينه إلى زوجه حسب التعريف في اللغة العربية. ويقول الله ﷻ:

سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ (يس، ٣٦: ٣٦)

﴿جَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ (القيامة، ٧٥: ٣٩)

سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ

﴿يس: ٣٦: ٣٦﴾

لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ

الذَّكَورَ ﴿٣٦﴾ أَوْ يَزْوَجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنِثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٣٧﴾

(الشورى، ٤٢: ٤٩-٥٠)

وفي خلق الزوجين، الذكر والأنثى، ذكرى للناس:

﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (الذاريات، ٥١: ٤٩)

ومن ناحية، مَيَّزَ الله ﷻ الذكر:

الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ۚ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ

أَمْوَالِهِمْ ۚ فَالْصَّالِحَاتُ قَنِبَتْنَ حَفِظَتْنَ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ۚ وَالَّتِي تَخَافُونَ

نُشُوزَهُنَّ فِعْظُهُنَّ وَآهَجُرُهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضَرُّهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْتَكُمْ فَلَا

تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ (النساء، ٤: ٣٤)

ومن ناحية أخرى، مَيَّزَ الله ﷻ الأنثى:

فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ ۖ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَئِيسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ ۖ

وَإِنِّي سَمِيتُهَا مَرْيَمَ ۖ وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِلَكَ وَذُرِّيَّتُهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣١﴾ (آل عمران، ٣: ٣٦)

ولكن جعلنا - الذكر والأنثى - بعضنا من بعض:

فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ ۖ بَعْضُكُمْ مِّنْ

بَعْضٍ ۚ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقُتِلُوا وَقُتِلُوا لَا تُكْفِرَنَّ

عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ خَازِنَةٍ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ

عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿٥٥﴾ (آل عمران، ٣: ١٩٥)

ولذلك فلدى - الذكر والأنثى - طبيعة إنسانية مشتركة بالرغم من

الفروقات التي بيننا: فكل واحد منا له أب وله أم (باستثناء سيدنا عيسى عليه السلام) إذ ليس له أب وله أم، وسيدنا آدم عليه السلام الذي ليس له أب ولا أم، وكل واحد منا (إذا كانت صحته أو صحتها طبيعية) يمكن له أن يُنجِبَ ذكراً أو أنثى.



فالتبيعة المشتركة بيننا تعني أيضاً أننا لسنا مكتملين من دون بعضنا البعض. الذكر يحتاج الأنثى والأنثى تحتاج الذكر، وعموماً تبقى بحالة نقص دون بعضنا البعض. وهذه الحاجة إلى بعضنا البعض والنقص من دون ذلك، واضحة في ثلاثة أمور رئيسة: (أ) في حاجة الذكور والإناث بعضهم لبعض في النسل؛ (ب) في الحب الزوجي غير الجسماني والحاجة النفسية بين الزوجين، (ج) وفي الحب الزوجي والجنسي بين الزوجين. (ومن الجدير بالذكر أنه يمكن لهذه الحاجات الثلاث أن تتزامن في علاقة ما، ويمكن لها أن تنفرد عن بعضها).

المطلب الأول: حاجة الزوجين لبعض في النسل

وبطبيعة الحال، لا يستطيع أحد منا أن يُنجِبَ من غير زوج أو زوجة:

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِعِمَّتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٣٧﴾ (النحل، ١٦: ٧٢)

وهذا أمر واضح حتى في أيامنا هذه مع "أطفال الأنابيب" لأنه حتى في أطفال الأنابيب فإنهم يحتاجون إلى "ماء دافق" يجتمع فيه ما يخرج من صلب الرجل وترائب المرأة:

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ ﴿١٩٠﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٩١﴾ ثُمَّ

خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا أَلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ

لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ (المؤمنون، ٢٣: ١٢-١٤)

أَلَمْ تَخْلُقْهُمْ مِنْ مَاءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا

فَنِعَمَ الْقَدِيرُونَ ﴿٢٣﴾ (المرسلات، ٧٧: ٢٠-٢٣)

فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٢٤﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٢٥﴾ تَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ

﴿٢٦﴾ (الطارق، ٨٦: ٥-٧)

ففي هذه الآيات الأخيرة جاء في تفسير الجلالين:

" **﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ﴾** نظر اعتبار **﴿مِمَّ خُلِقَ﴾** من أي شيء. جوابه **﴿خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ﴾** ذي اندفاق من الرجل والمرأة في رحمها. **﴿تَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ﴾** للرجل **﴿وَالْتَّرَائِبِ﴾** للمرأة وهي عظام الصدر "١١٨.

المطلب الثاني: الحب الزوجي غير الجسماني

نحتاج بعضنا بعضاً ليس للنسل فقط، ولكن من ناحية نفسية طبيعية أيضاً:

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمَلاً خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِ ۖ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا

لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ (الأعراف، ٧: ١٨٩)

ويلاحظ في هذه الآية الكريمة أن الله ﷻ قال: "لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا" وليس "ليسكن معها" أو "ليسكن عندها"، الأمر الذي يدل على أنه يوجد في السكن مع الزوجة سُكُونٌ وسَكِينَةٌ أيضاً، وتلك حاجات نفسية. والله ﷻ يبين

هذا السكون في الدعاء المشترك بين الزوج والزوجة:

"لَيْنَا آتَيْنَا صَاحِبًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٣٨﴾".

والله ﷻ قال في آية أخرى:

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً

وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣٩﴾ (الروم، ٣٠: ٢١)

هذه الآية تحتوي على أسرار كثيرة كما تُشير لنا الكلمات الكريمة

التالية: "إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣٩﴾":

(١) يُخْبِرُنَا اللهُ ﷻ أَنْ أَزْوَاجَنَا مِنْ "أَنْفُسِنَا". وفي القرآن الكريم معنيان لكلمة "أنفسكم": المعنى الأول هو "أنتم"، ففي هذه الحالة "من أنفسكم" تعني فقط "منكم". المعنى الثاني لكلمة "أنفسكم" تعني "من نفوسكم": فالله ﷻ يذكر "النفوس" كحقيقة الإنسان غير الجسدية، وبالتالي الخالدة. وعلى سبيل المثال، ذكر الله ﷻ: "النفوس الأماراة بالسوء" (يوسف، ١٢: ٥٣)؛ و"النفوس اللوامة" (القيامة، ٧٥: ٢)، و"النفوس المطمئنة" (الفجر، ٨٩: ٢٧).

فما معنى اللفظ الكريم "خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا" بالتعريفين لكلمة "نفس"؟ ويأتي هذا اللفظ الكريم بكلمة "جَعَلَ" أيضاً في الآية الكريمة التالية:

فَاطْرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٤٢﴾ (الشورى، ٤٢: ١١)

فالمعنى الأول لـ "مِنْ أَنْفُسِكُمْ" واضح، وهو أَنَّ اللهُ ﷻ خَلَقَ لَنَا زوجات أو أزواجاً مثلنا من سلالة آدم ﷺ وحواء.

المعنى الثاني - وهو معنى لطيف - هو أن لكل نفس زوجة أو زوجاً معيناً مخلوقاً له أو لها خاصة (كـ "خلق" إلهي)، أو كـ "جَعَلَ" إلهي خاص فيما بعد الخلق، وفي هذه الحالة يمكن لنا أن نتعرف عليها أو عليه في هذه الحياة الدنيا - أو قد لا نتعرف عليها أو عليه أبداً - ولكن في الاحتمالين هذه الزوجة أو هذا الزوج مخلوق أو موجود (وفي هذا الحال يكون، "الخلق" الإلهي أتم من "الجعل" الإلهي، والله أعلم). وحسب هذا المعنى لـ "مِنْ أَنْفُسِكُمْ" يكون في اللفظ الكريم "وَمِنْ الْأَنْعَمِ أَزْوَاجًا" إشارة إلى الأبدان: الأنعام تُشبه أجسام الناس في اقتصارها على وظائف الحياة الطبيعية كالماكل والمشرب (وبالتالي تشبه أيضاً الكفار الذين ليس لهم همٌ إلا إشباع رغبات أجسامهم). يقول الله ﷻ:

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْدَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ (الأعراف، ٧: ١٧٩)

... وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَمُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ (محمد، ٤٧: ١٢)

فإذاً في زواج الأنعام إشارة إلى الزواج بين الناس الذين يغلب عليهم إشباع رغبات الأجسام، ولم يكن فيهم حُب حقيقي أو قلوب تفقه وتذكر الله ﷻ. وفي هذه الحالة يكون في اللفظ الكريم "يَذَرُوكُمْ فِيهِ" (الشورى، ٤٢: ١١) إشارة إلى وضع النفوس والأرواح في أجسام الناس: بمعنى آخر يُنْفِخُ من هذا أن الله ﷻ ذرأ الأرواح والنفوس التي كانت قبل خلق الأجسام ووضعها في هذه الدنيا في أبدان من مادة تشبه الأنعام، في هذه الحياة الدنيا، والله أعلم.

الفائدة من هذه الإشارة هنا أنه بين بعض الناس وبعض الأزواج والزوجات علاقة تامة بحيث إن الشخصين يُكَمِّلُ بعضهما بعضاً، فكأنهما شخص واحد أو نفس واحدة - وهنا يمكن لنا أن نسميهما "أزواج النفس"

- بينما نجد بين بعض الناس سكوناً ومودةً ورحمةً من دون أن تكون العلاقة علاقة تامة ومكتملة حتى بين زوج وزوجة متزوجين منذ فترة طويلة، والله أعلم.

(ب) يُخَبِّرُنَا اللهُ ﷻ أَنَّا نَسْكُنُ "إِلَى" أَزْوَاجِنَا، وَتَطَرَّقْنَا لِمَعْنَى كَلِمَةِ "إِلَى" آنفًا، وَنَزِيدُ هُنَا أَنَّ الْفَخْرَ الرَّازِيَّ يَقُولُ فِيهِ فِي تَفْسِيرِهِ الْكَبِيرِ: "يُقَالُ "سَكُنَ إِلَيْهِ" لِلْسَّكُونِ الْقَلْبِيِّ وَيُقَالُ "سَكُنَ عِنْدَهُ" لِلْسَّكُونِ الْجِسْمَانِيِّ، لِأَنَّ كَلِمَةَ عِنْدَ جَاءَتْ لظَرْفِ الْمَكَانِ وَذَلِكَ لِلْأَجْسَامِ وَإِلَى لِلْغَايَةِ وَهِيَ لِلْقُلُوبِ" ١١٩.

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ ۖ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَاحِبًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ (الأعراف: ١٨٩)

(ج) يُخَبِّرُنَا اللهُ ﷻ أَنَّهُ جَعَلَ بَيْنَنَا "مَوَدَّةً"، وَسَتَتَحَدَّثُ فِيمَا بَعْدَ إِنْ شَاءَ اللهُ عَنْ مَعْنَى "المودة" كنوع من أنواع الحب، ولكن يكفي هنا أن نلاحظ بأن "المودة" ليست حباً وحاجة جسمانية، بل هي نوع من أنواع "الحب الودِّي". فالله ﷻ يقول:

وَلَئِنْ أَصْبَحْتُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَلَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ (النساء: ٧٣)

(د) يُخَبِّرُنَا اللهُ ﷻ أَنَّهُ جَعَلَ بَيْنَنَا "رَحْمَةً". وَقَدْ سَبَقَ أَنْ تَحَدَّثْنَا عَنْ مَعْنَى

"الرحمة" وعلاقة "الرحمة" بـ"الرحم"، ويكفي هنا القول إن "الرحمة" أيضاً ليست حباً وليست حاجة جسمانية.

فهذا كله لكي نقول إن الله ﷻ في الآية الكريمة آتفة الذكر (من سورة الروم) بيّن أنّ في الزواج حباً يمكن له أن يكون مجرداً من كل علاقة جسمانية، وأنّ الزوجين كليهما بحاجة لهذا الحب من ناحية نفسية طبيعية. ونرى آثار هذا الحب في دعاء الآية التالية:

وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ

إِمَامًا ﴿٦٤﴾ (الفرقان، ٢٥: ٧٤)

كما نرى أيضاً آثار هذا الحب بـ "المعروف" كما في الآية التالية:

أَسْكِنُوهُمْ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تَضَارُّوهُمْ لِنَصِيقُوا عَلَيْهِمْ وَإِنْ كُنْ أُولِيتْ حَمْلٌ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِمْ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَأَتَمِّرُوا بَيْنَكُمُ مَعْرُوفٌ وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمُ فَسَرِّضْ لَهُ أُخْرَى ﴿٦٥﴾ (الطلاق، ٦٥: ٦٦)

وأخيراً نرى هنا، في الآية التالية أن الله ﷻ وصف لنا الزوجة الصالحة، ويلاحظ في هذا الوصف أنّ معظم الصفات هي صفات نفس الزوجة وطبيعتها غير الجسمانية، الأمر الذي يؤكد على الحب غير الجسماني في الزواج:

عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنْ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَنَاطَاتٍ تَتَّبِعْتِ عِبَادَاتٍ سَنِيحَاتٍ تَتَّبِعْتِ تَتَّبِعْتِ وَأَبْكَارًا ﴿٦٦﴾ (التحريم، ٦٦: ٥٠)

المطلب الثالث: الحب الزوجي الجنسي

ما هو الذي يجعل الحب الزوجي والعلاقة الزوجية مختلفة تماماً عن سائر أنواع الحب الأخرى؟ الجواب هو أنه يوجد في الحب الزوجي مشاركة من جسم بني آدم، سواء كان ذكراً أو أنثى. ففي الحب العائلي وحب المؤمنين

والأصدقاء لا توجد مشاركة بين أجسام بني آدم، بينما في الحب الزوجي يتلامس الزوجان ويختلط جسما الزوج والزوجة. وبمعنى آخر، سائر أنواع الحب الأخرى هي حب بين النفوس، بينما الحب الزوجي هو حب بين النفوس والأبدان معاً. والله ﷻ وصف أو أشار إلى مكونات وأسرار هذا الاحتكاك بين الأجسام في العلاقة الزوجية في آيات عدة. ويكفي هنا - بما أن هذا الموضوع له خصوصية معينة - أن نذكر رموز هذه الأسرار. يقول الله ﷻ:

وَلَا تَمْدَنَّ عَيْنَكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٣١﴾ (طه: ١٣١)

نفهم من هذه الآية أولاً أن في الزوجة جمالاً - لأن الزهرة جميلة - وثانياً نفهم من هذه الآية أن في الزواج حباً وبهجة - لأن الزهرة تجذب الحب والبهجة. ونفهم أيضاً من كلمة "مَتَّعْنَا" أن في الزواج متعة معينة. يقول الله ﷻ:

وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ۖ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ ۚ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَايَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ (النساء: ٢٤)

ونفهم من هذه الآية أنه يوجد في العلاقة الجنسية، بالإضافة إلى "المتعة" التي ذكرناها، "استمتاع". ويقول الله ﷻ:

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ ۚ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٣٣﴾ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ ۖ فَاتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ۚ وَقَدِمُوا لأنفُسِكُمْ

وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلْقَوَةٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ (البقرة، ٢: ٢٢٢-٢٢٣)

ومن لفظ "حَرَّثَ لَكُمْ" نفهم أمرين: الأمر الأول هو الخصوبة للزراعة، والأمر الثاني هو الرموز الجنسية في الحرث والأرض التي يحرثها المحراث. ونفهم من لفظ "أَنِّي شِغْمٌ" أنه يوجد في العلاقة الجنسية رغبة معينة وحرية معينة في إشباعها. ومن هنا تأتي المتعة والاستمتاع اللذان ذكرناهما أعلاه. وتكون هذه الرغبة بطبيعة الحال قوية، وفي هذه الحالة تكون الرغبة "هَمًّا". يقول الله ﷻ:

وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ ۚ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ الشُّؤَرَ ۚ وَالْفَحْشَاءَ ۚ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُحْلَصِينَ ﴿٢٢٤﴾ (يوسف، ١٢: ٢٤)

ولشدة هذا "الهَم" أحل الله الرفث في ليالي رمضان، بعدما كان الصحابة رضوا عنه. يقول الله ﷻ:

أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۚ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ ۚ فَالْغَنَ بِشُرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَكُمْ الْحَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْحَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ۚ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَىٰ اللَّيْلِ ۚ وَلَا تُبْشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَجِدِ ۚ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا ۚ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لِّلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ (البقرة، ٢: ١٨٧)

ونفهم من كلمة "لِبَاس" أمرين أيضاً: الأمر الأول هو "السترة" التي تأتي مع اللباس، والأمر الثاني هو مس واحتكاك أعضاء الجسم الذي يأتي أيضاً مع اللباس. فإمكانية إشباع الرغبة، وإمكانية المتعة والاستمتاع في العلاقة الجنسية في الزواج، يأتي كـ"لباس" للزوجين يستر حاجتهما

الطبيعية. يقول الله ﷻ:

وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْتُ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا

١٢٠ (النساء، ٤: ٢١)

فنفهم من اللفظ الكريم "وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ" أنه في العلاقة الجنسية أولاً أمر يُفضي الزوج والزوجة (من مائهما)، وثانياً "فَضَاء" للزوج والزوجة: بمعنى آخر، العلاقة الجنسية فيها تفرغ وشم انبساط وراحة. لكن لهذه الأمور - وبالأحرى التعلق الزائد بهذه الأمور - خطورة معيّنة على العبد الذي ينبغي عليه أن يتذكر الله ﷻ واليوم الآخر أكثر من الدنيا، فيقول الله ﷻ:

يَتَأْتِيَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِن أَزْوَاجِهِمْ وَأَوْلَدِهِمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

(التغابن، ٦٤: ١٤)

وخلاصة القول هنا هو أن في القرآن الكريم بياناً لطيفاً للحاجات الجسمانية الطبيعية وللرغبة في الحب الزوجي، ووصفاً لكثير من أمور العلاقات الجنسية بين الزوج والزوجة.

فَاطِرُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُمْ مِّنْ اَنْفُسِكُمْ اَزْوَاجًا وَمِنْ الْاَنْعَامِ اَزْوَاجًا ۚ

يَذَرُوكُمْ فِيْهِ لَيْسَ كَمِثْلِهٖ شَىْءٌ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيْرُ (الشورى، ٤٢: ١١)

١٢٠ يقول الإمام الراغب عن كلمة "أَفْضَىٰ":

"الفضاء المكان الواسع ومنه أفضى بيده إلى كذا وأفضى إلى امرأته في الكناية أبلغ وأقرب إلى التصريح من قولهم خلا بها قال: 'وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ' وقول الشاعر:

طعامهم فوضى فضا في رجالهم

أي مُباح كأنه موضوع في فضاء يفيض فيه من يُريده ". الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص ٣٨٣.

هل في العلاقات الجنسية والجماع أمر آخر غير إنجاب الأولاد والمتعة الجسدية؟ بمعنى آخر هل في الجماع ناحية روحية وليس فقط جسدية؟ كان رسول الله ﷺ كله لله:

قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۚ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢٨﴾ (الأنعام، ٦٥: ١٦٢-١٦٣)

وكان متزوجاً، ويحب النساء:

«حُب إليّ من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة»^{١٢١}.

ونسأوه ﷺ لسن كالنساء:

يَنْبِسَاءُ النَّبِيُّ لِسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ ۖ إِنَّ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٣٢)

فهل يفهم من هذا كله أن الرسول ﷺ كان يحب النساء من أجل النساء أم من أجل الله وذكر الله؟ يقول الله ﷻ:

وَلَقَدْ هَمَمْتُ بِهِ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ ۚ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ الشُّؤءَ ۚ وَالْفَحْشَاءَ ۚ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ (يوسف، ١٢: ٢٤)

ما هو الذي أوقف النبي يوسف عليه السلام عن "الهم" بزوجة العزيز؟ الجواب هو أنه رأى برهان ربه. لكن زوجة العزيز لم تر برهان ربها، وما رأت

١٢١ رواه بهذا اللفظ البيهقي في السنن الكبرى رقم ٧٨/٧. ورواه النسائي في السنن الصغرى رقم ٣٩٤٠ في كتاب عشرة النساء، بلفظ:

«حُب إلي النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة»، رواه أحمد رقم ١٢٨/٣ و١٩٩.

إلا النبي يوسف عليه السلام وجماله المشهور، وبالتالي هَمَّت به بالرغم من أنها متزوجة. لكن زوجة العزيز كانت أيضاً جميلة، فما هو "برهان" رب يوسف عليه السلام الذي رآه يوسف عليه السلام؟ يُفهم من عدم ذكر أي شيء آخر في الآية أنَّ يوسف عليه السلام رأى "برهان ربه" في ذات جمال زوجة العزيز. يقول الله جل جلاله:

يَتَأْتِيَ النَّاسَ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ (النساء، ٤: ١٧٤)

وكما ذكرنا سابقاً، يقول الله جل جلاله:

لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿١﴾ (التين، ٩٥: ٤)

ويقول الله جل جلاله:

فَانظُرْ إِلَىٰ ءَاثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ تُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِ الْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ (الروم، ٣٠: ٥٠)

فهل نظر يوسف عليه السلام إلى جمال زوجة العزيز ورأى في جمالها برهان ربه الذي خلقها في أحسن تقويم، فتذكر الله جل جلاله فامتنع عن "الهَم" بها؟ فإذا كان الجواب "نعم"، فهذا يعني أنه يمكن أن يكون في الجمال الجسمي ذكرٌ لله يُبعد الذاكر تماماً عن "الهَم" الجسمي. وهذا يعني بدوره أيضاً أن رسول الله صلوات الله عليه وآله - وهو الأسوة الحسنة "لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا" -

(الأحزاب، ٣٣: ٢١) - كان يرى "برهان ربه" في زواجه. والله أعلم، ولكن ربما يكون هنا إشارة في القرآن الكريم إلى أن في النظر إلى جمال الجسم حالة روحية في بعض الأحيان. فيقول الله جل جلاله:

وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسْنَدَةٌ ۚ فَتَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۚ قَتَلَهُمُ اللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿١٠﴾ (المتافون، ٦٣: ٤)

يقول الله ﷻ:

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٣﴾ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنْى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلْقَوُهُ وَنَشِرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٤﴾ (البقرة، ٢: ٢٢٣-٢٢٤)

يُلاحظ من نصوص القرآن الكريم أن اللقاء مع الله ﷻ هو في الآخرة: ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ (الأنعام، ٦: ١٥٤)

وَيَوْمَ تَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ حَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٥٥﴾ (يونس، ١٠: ٤٥) ١٢٢

لكن جاء في ثلاث آيات أخرى أنه ليس واضحاً إذا كان اللقاء المقصود هو في الآخرة فقط أم هو في الدنيا أيضاً، والله أعلم. يقول الله ﷻ:

يَأْتِيهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلْئِقِيهِ ﴿١﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اعْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ

١٢٢ انظر أيضاً إلى: البقرة، ٢: ٤٦؛ التوبة، ٩: ٧٧؛ يونس، ١٠: ٧؛ يونس، ١٠: ١١؛ يونس، ١٠: ١٥؛ هود، ١١: ٢٩؛ الرعد، ١٣: ٢؛ الكهف، ١٨: ١٠٥؛ الكهف، ١٨: ١١٠؛ المؤمنون، ٢٣: ٣٣؛ الفرقان، ٢٥: ٢١؛ العنكبوت، ٢٩: ٥؛ العنكبوت، ٢٩: ٢٣؛ الروم، ٣٠: ٨؛ الروم، ٣٠: ١٦؛ السجدة، ٣٢: ١٠؛ السجدة، ٣٢: ١٤؛ السجدة، ٣٢: ٢٣؛ الزمر، ٣٩: ٧١؛ فصلت، ٤١: ٥٤؛ الجاثية، ٤٥: ٣٤.

الَّذِينَ يُظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقُوا اللَّهَ كَم مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةُ كَثِيرَةٍ بِإِذْنِ اللَّهِ^{٢٤}
وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا
وَتَثَبَّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾ (البقرة، ٢٤٩: ٢٥٠-٢٥١)

والآية الثالثة هي الآية التي سبق أن ذكرناها:

نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ^{٢٧} وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ^{٢٨} وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا
أَنَّكُمْ مُلْقَوَةٌ^{٢٩} وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٠﴾ (البقرة، ٢٢٣)

القاسم المشترك بين هذه "اللقاءات" الثلاث في هذه الآيات الثلاثة هي أنها مذكورة بعد نوع من أنواع الهلاك: في الآية الأولى الـ "كَدْح" مذكور قبل لقاء الله ﷻ؛ في الآية الثانية لقاء الله ﷻ مذكور قبل معركة، وفي الآية الثالثة لقاء الله ﷻ مذكور بعد الجماع. فما معنى هذا؟ هل هناك إشارة إلى أنه يوجد في الهلاك لقاء الله ﷻ، وأن في الجماع - وفي نشوة الجماع و"الإفشاء" كما رأينا - نوعاً من أنواع الهلاك؟ وإن لم يكن هناك إشارة لهذا، فلماذا ذكر الله لقاءه بعد الجماع "أَنَّى شِئْتُمْ"؟ وهل هذا كله إشارة إلى أنه يوجد في الجماع أحياناً - وبفضل الله ولمن يشاء - حالة روحية في الجماع؟ على أية حال، لو كان هذا صحيحاً فهذا اللقاء ليس كلقاء الآخرة، لأن الله ﷻ يقول:

فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا^{٣١}
يَذَرُوكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ^{٣٢} وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٣٣﴾ (الشورى، ٤٢: ١١)

ففي هذه الآية يأتي في القرآن الكريم - بعد ذكر الأزواج - نفي شديد لتشبيه الله بخلقه وهو قوله ﷻ: "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ". وهذا يعني أنه حتى لو وجدت حالة روحية في الجماع، فهي لا تُشبه اللقاء مع الله في الآخرة، والله أعلم.

وهذا كله لنقول إنه ربما يوجد في القرآن الكريم إشارة إلى حالة ذكر
الله ﷻ في النظر المشروع إلى جمال جسم الآخر، كما أنه ربما يوجد في القرآن
الكريم إشارة إلى احتمال أو إمكان وجود حالة روحية في الجماع، والله أعلم.



١٩. الباب الثالث؛ الفصل الثامن:

الحب والزنا

هل في الزنا حب أم هو إشباع للرغبة فقط؟ هل يمكن لنا أن نُحبَّ ما لا يحبه الله ﷻ؟ الزنا أمر مذموم في القرآن الكريم، وهو معاقب عليه بعذاب شديد في الدنيا والآخرة. يقول الله ﷻ:

سُورَةُ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ يَبَيِّنُ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْشَهِدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ (النور، ٢٤: ١-٥)

ولكن بالرغم من هذا فإنه من المعروف أنه يوجد زنا كثير في العالم، حتى في المجتمعات الإسلامية، وحتى في أيام رسول الله ﷺ. فما هو الدافع للزنا الذي يجعل الزاني لا يبالي بأوامر الله ﷻ ولا بدم الناس ولا بعقوبة الشرع؟ يقول الله ﷻ:

وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ^١ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَجُلًا بَرَّهَنَ رَبَّهُ^٢ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ الشُّوْءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢﴾ (يوسف، ١٢: ٢٤)

وبعد "اهم" بيوسف عليه السلام، قامت امرأة العزيز بالفعل التالي:

وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ (يوسف، ١٢: ٢٥)

وحتى بعد فَشْلِهَا وفضحها بقيت مصرة على نيتها وبقيت تخطط للأمر نفسه حتى أمام نسوة المدينة:

قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَودَتْهُ عَنِ نَفْسِهِ ۖ فَاسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ

مَا أَمَرُهُ لَيَسْجَنَ ۖ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّغِيرِينَ ﴿٢٣﴾ (يوسف، ١٢: ٢٢)

فنستنتج من هذا كله أنه لو وجد "هَم" (وبالتالي رغبة جسدية) فما الذي يدفع امرأة العزيز إلى هذا التصرف؟ هناك شيء آخر أيضاً، لأن الرغبة الجسدية تخف أحياناً بمرور الزمن ومع الخوف، ولكن تلك المرأة بقيت على تعلُّقها بيوسف عليه السلام حتى بعدما سُجِنَ عليه السلام بضع سنين:

ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِبِينَ ﴿٥٢﴾ (يوسف، ١٢: ٥٢)

فهذا يعني أنه لا يوجد "هَم" ورغبة جسدية فقط تدفع امرأة العزيز؛ بل يوجد كذلك ما يدفعها إلى ذلك وهو شيء من الميل إلى الجمال، وبالتالي من الحب، حسب تعريفنا. ويقول الله تعالى:

وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا

(النساء، ٤: ٢٧)

جاء في تفسير الجلالين، عن هذه الآية الكريمة:

" (وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ) كرهه لئبني عليه (وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ

الشَّهَوَاتِ) اليهود والنصارى أو المجوس أو الزناة (أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا)

تعدّلوا عن الحق بارتكاب ما حُرّم عليكم فتكونوا مثلهم "١٢٣.

فبيّن الله تعالى هنا أنه يوجد في الزنا "الشَّهَوَاتِ" و"مَيْلًا عَظِيمًا"،

وبمعنى آخر، يوجد حب بالإضافة إلى الشهوة والرغبة الجسمانية في الزنا.

وهذا واضح أيضاً في استعمال كلمة "حب" في قوله تعالى:

١٢٣ جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، تفسير الجلالين، ص ١٠٥.

زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ
وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۚ ذَلِكَ مَتْنِعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ
عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَقَابِ ﴿١٤﴾ (آل عمران، ٣: ١٤)

فمن هنا تأتي الخطورة العظيمة في الزنا ("عَظِيمًا"): الزنا ليس فاحشة
فحسب، لكنه حب غير مشروع يسحب صاحبه بكل شدة الحب إلى دائرة
عواطف وأفعال تُبعد الزاني عن الهدى والصراط المستقيم بشكل دائم
ومستمر. والله ﷻ حذّر من هذه الخطورة:

وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ (الإسراء، ١٧: ٣٢)

من خلال اللفظ الكريم "وَسَاءَ سَبِيلًا"، يؤكد الله ﷻ قوة الحب غير
المشروع وخطورته على نفس الزاني (أو الزانية) وآخرفته. ويصبح هذا الحب
أحياناً حباً غامراً كأنه عبادة، ومع هذا لا يمكن لهذا الحب أن يصل درجة
العبادة. فيقول الله ﷻ:

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۗ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ
حُبًّا لِلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ
الْعَذَابِ ﴿٦٥﴾ (البقرة، ٢: ١٦٥)

فنرى هنا أن الإنسان يمكن أن يُحب شيئاً لا يحبه الله ﷻ، ويمكن أن
يُحب هذا الشيء حباً شديداً، ولو كان شراً له (وهذا هو حال الزاني تماماً).
يقول الله ﷻ:

... وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ
يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ (البقرة، ٢: ٢١٦)

"وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ": فليحذر الزاني من حبه، وليبتعد المؤمن من
الإعجاب الذي قد يؤدي إلى الزنا أو إلى ما لا يُرضي الله ﷻ. يقول الله ﷻ:

وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ^٢ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ^٣ وَلَا
تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا^٤ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ^٥ أُولَٰئِكَ
يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ^٦ وَيُبَيِّنُ^٧ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ
يَتَذَكَّرُونَ ﴿٣١﴾ (البقرة، ٢: ٢٢١)

وأخيراً، فليلتزم الزاني والزانية ما أحبه الله ﷻ لهما، لأن حب الله ﷻ لا يُضللُهما عن مصلحتهما الحقيقية، ولكن حبهما يمكن أن يُضللُهما. يقول
الله ﷻ عن الزوجات:

... وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ^٢ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَجَعَلَ اللَّهُ فِيهِ
خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ (النساء، ٤: ١٩)

٢٠. الباب الثالث؛ الفصل التاسع:

الحب والنظر

إن المؤمن قد يظهر لديه حقيقة إنسان آخر إما في وجهه هذا الإنسان وإما في قوله. قال الله ﷻ:

وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِمَتِهِمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ
أَعْمَلَكُمْ ﴿٤٧﴾ (محمد، ٤٧: ٣٠)

وقال رسول الله ﷺ:

«اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله»^{١٢٤}.

هذا هو الحال بشكل عام لدى المؤمنين، ولكن في نظر الإنسان شيئاً خاصاً يعبر عن الحب أو يؤلّد الحب عند الناظر بعينه^{١٢٥} وعند من يرى عيون الناظر بالعين: وبمعنى آخر فإن الحب يدخل على نفس الإنسان من خلال عينيه إلى قلبه، وأيضاً يظهر عليه من خلال نظرتة، وأخيراً ربما تولّد هاتان العينان حباً جديداً في شخص آخر إذا التقت أعينهم. فقد أشار الله ﷻ إلى كل هذا الموضوع في قوله ﷻ:

يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١٩﴾ (غافر، ٤٠: ١٩)

فالعيون تخون الحب الذي في النفس وفي القلب وتظهره، وهذا الحب

١٢٤ رواه الترمذي، رقم ٣١٢٧، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الحجر.

١٢٥ ونرى أيضاً في قول الله ﷻ أن السعادة واللذة قد تأتي من النظر. يقول الله ﷻ:

قَالُوا آذَعْ لَنَا رَيْبَكَ بَيْنَ لَنَا مَا لَوْ نَهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَعْرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوُثُهَا تَسُرُّ النَّظِيرِينَ ﴿٢٠﴾ (البقرة، ٢)

(٦٩:

يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصَحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ۗ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١﴾

﴿٢١﴾ (الزخرف، ٤٣: ٧١)

قد يولّد حباً آخر عند التّقاء العيون بأعين أخرى. ومن هنا نفهم الحديثين الشريفين:

عن ابن مسعود وحذيفة قال رسول الله ﷺ:

«النّظرة سهم مسموم من سهام إبليس من تركها من مخافتي أبدلته إيماناً يجد حلاوته في قلبه»^{١٢٦}.

وعن سيدنا علي كرم الله وجهه قال رسول الله ﷺ:

«يا علي لا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى وليست لك الآخرة»^{١٢٧}.

ومن ناحية أخرى فقد جاء عن المغيرة بن شعبه أنه خطب امرأة فقال الرسول ﷺ:

«انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما»^{١٢٨}.

ومن هنا قد نفهم أهمية غض البصر^{١٢٩} الذي أمر الله ﷻ المؤمنين والمؤمنات به في قوله ﷻ:

قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ
بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٢٤﴾ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا

١٢٦ رواه الحاكم وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، المستدرک، رقم ٣٤٩/٤، والطبراني في المعجم الكبير، رقم ١٠/١٧٣.

١٢٧ رواه الترمذي، رقم ٢٧٧٧، في كتاب الأدب، باب ما جاء في نظرة المفاجأة وحسنه، ورواه ابن حبان، في صحيحه، رقم ١٢/٣٨١.

١٢٨ رواه الترمذي وحسنه برقم (١٠٨٧) في كتاب النکاح، باب ما جاء في النظر إلى المخطوبة.

١٢٩ تظهر قوة الأعين وخطورتها من ناحية أخرى وهي الحسد أو "العين". فقال الله ﷻ:

وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥٠﴾ (الفلق، ١١٣: ٥٠)

وقال رسول الله ﷺ: «(العين حق)». (رواه البخاري، رقم ٥٧٤٠، كتاب الطب، باب العين حق).

يُبَدِّينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبَنَّ خُمُرَهُنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبَدِّينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانَهُنَّ أَوْ بَنَىٰ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَىٰ أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَاءِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَنُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرَ أُولَىٰ الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبَنَّ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا إِلَيْهِ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ (النور، ٢٤: ٣١-٣٠)

وكذلك أوصى الله ﷺ رسوله ﷺ بالتالي:

وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ حَظِيرٌ وَابْقَىٰ ﴿٣٢﴾ (طه، ٢٠: ١٣١)

لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفَضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٣﴾ (الحجر، ١٥: ٨٨)

وأخيراً نقول إن للأعين دوراً خاصاً في الحب يجعلها كنافذة للنفس وللقلب بحيث يدخل ويخرج الحب منها ويظهر هذا الحب عليها كما يظهر حب العبد لله على العبد حسب ما ذكرناه سابقاً في باب "أثر حب الله على الإنسان"، والله أعلم.

الحب في القرآن الكريم
الباب الرابع: الحب

٢١. الباب الرابع؛ الفصل الأول:

أنواع الحب

ذَكَرَ اللهُ ﷻ أنواعاً عديدة من الحب في القرآن الكريم^{١٣٠}، (مع اعتبار

أنواع الحب عند العلماء

١٣٠

ما نذكره أعلاه هو تخريج أنواع الحب من القرآن الكريم وتعريفه لغوياً، ولكن لا يفوتنا أن نذكر ما قاله بعض العلماء في أنواع الحب، مع أننا قد ذكرنا بعض ما يلي سابقاً في الهوامش.

قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى في الإحياء في "كتاب المحبة والشوق والأنس والرضا" ص (٣٧٩): "الحب عبارة عن ميل الطبع إلى الشيء المُلذ، فإن تأكد ذلك الميل وقوي سُمي عشقاً".

وقال (ص ٤١٤): "اعلم أن من أنكر حقيقة المحبة لله تعالى فلا بد وأن ينكر حقيقة الشوق، إذ لا يتصور الشوق إلا إلى محبوب، ونحن ثبت وجود الشوق إلى الله تعالى...".

وقال (ص ٤٢١): "فإن الشوق طلب وتشوّف إلى أمر، والموجود لا يطلب، ولكن بيانه أن الشوق لا يتصور إلا إلى شيء أدرك من وجهه ولم يُدرك من وجهه، فأما ما لا يدرك أصلاً فلا يشقّ إليه وقد ذكرنا أن محبة العبد لله تعالى حقيقة وليست بمجاز، إذ المحبة في وضع اللسان عبارة عن ميل النفس إلى الشيء الموافق، والعشق عبارة عن الميل الغالب المفرط فأما حب الله للعبد فلا يمكن أن يكون بهذا المعنى أصلاً فإذا محبة الله للعبد تقريبه من نفسه بدفع الشواغل والمعاصي عنه، وتطهير باطنه عن كدورات الدنيا ورفع الحجاب عن قلبه حتى يشاهده كأنه يراه بقلبه. وأما محبة العبد لله فهو ميله إلى درك هذا الكمال الذي هو مُفلس عنه فاقد له، فلا جَرَم يشقّ إلى ما فاتته، وإذا أدرك منه شيئاً يلتذّ به، والشوق والمحبة بهذا المعنى مُحالٌ على الله تعالى".

وقال (ص ٤٣٦): "إذا غلب عليه [المحب] الفرخُ بالقرب ومشاهدة الحضور بما هو حاصلٌ من الكشف وكان نظره مقصوراً على مطالعة الجمال الحاضر المكشوف غير ملتفتٍ

إلى ما لم يدركه بعد؛ استبشر القلب بما يلاحظه فيسمى استبشاره أنساً، وإن كان نظره إلى صفات العز والاستغناء وعدم المبالاة وخطر إمكان الزوال والبعد تألم القلب بهذا الاستشعار فيسمى تألمه خوفاً. وهذه الأحوال تابعة لهذه الملاحظات، والملاحظات تابعة لأسباب لا يمكن حصرها، فالأنس معناه استبشار القلب وفرحه بمطالعة الجمال، حتى أنه إذا غلب وتجرد عن ملاحظة ما غاب عنه وما يتطرق إليه من خطر الزوال عظم نعيمه ولذته، ومن هنا نظر بعضهم حيث قيل له: أنت مشتاق؟ فقال: لا إنما الشوق إلى غائب، فإذا كان الغائب حاضراً فإلى من يشاق؟ وهذا كلام مستغرق بالفرح بما ناله غير ملتفت إلى ما بقي في الإمكان من مزايا الألفاظ.

وقال (ص ٤٤١): "اعلم أن الرضا ثمرة من ثمار المحبة، وهو من أعلى مقامات المقربين، وحقيقة غامضة على الأكثرين، وما يدخل عليه من التشابه والإيهام غير منكشف إلا لمن علمه الله تعالى التأويل وفهمه وفقهه في الدين". (الإمام الغزالي، إحياء علوم الدين، مجلد ٤، ص ١٤١-٤٤١).

وقد ذكر الشيخ محيي الدين ابن عربي أن الحب مقام إلهي له أربعة ألقاب، كما يلي: "إعلم وفقك الله أن الحب مقام إلهي فإنه وصف به نفسه وتسمى بالودود ولهذا المقام أربعة ألقاب: منها الحب وهو خلوصه إلى القلب وصفائه عن كدورات العوارض فلا غرض له ولا إرادة مع محبوبه. واللقب الثاني: الود وله اسم إلهي وهو الودود، والود من نعوته وهو الثابت فيه، وبه سمي الود وداً لثبوته في الأرض. واللقب الثالث: العشق وهو إفراط المحبة، وكنى عنه في القرآن بشدة الحب في قوله: (... وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ...) (البقرة: ٢٠٨).

وهو قوله: (... قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ...) (يوسف: ١٢: ٣٠) أي صار حبها يوسف عليه السلام على قلبها كالشغاف وهي الجلدة الرقيقة التي تحتوي على القلب فهي ظرف له محيط، وقد وصف الحق نفسه في الخبر بشدة الحب غير أنه لا يطلق على الحق اسم العشق، والعاشق والعشق التفاف الحب على المحب حتى خالط جميع أجزائه، واشتمل عليه اشتمال الصماء مشتق من العشقة. واللقب الرابع: الهوى وهو استفراغ الإرادة في المحبوب والتعلق به في أول ما يحصل في القلب وليس لله منه اسم، ولحصوله سبب، نظرة أو خبر أو إحسان، وأسبابه كثيرة، ومعناه في الخبر الإلهي الصحيح حب الله عبده إذا أكثر نوافل الخيرات، وكذلك اتباع الرسول فيما شرع، وهذا منزلته فينا مسمى الهوى واختلف الناس في حده فما رأيت أحداً حده بالحد الذاتي بل لا يتصور ذلك، فما حده من حده إلا بتأثيره ولوازمه، ولا سيما وقد

أن بعضها من درجات الحب أيضاً) حسب المعاني اللغوية لتلك الألفاظ في معاجم العربية المعتبرة، ومنها مايلي:

اتصف به الجناب العزيز وهو الله. وأحسن ما سمعت فيه ما حدثنا به غير واحد عن أبي العباس ابن العريف الصنهاجي قالوا: سمعناه يقول وقد سئل عن المحبة فقال: الغيرة من صفات المحبة والغيرة تأبى إلاّ الستر فلا تحدّ. واعلم أن الأمور المعلومات على قسمين: منها ما يحد، ومنها ما لا يحد، والمحبة عند العلماء بها، المتكلمين فيها، من الأمور التي لا تحد، فيعرفها من قامت به ومن كانت صفته ولا يعرف ما هي ولا ينكر وجودها إن الحب تعلق خاص من تعلقات الإرادة". (الشيخ ابن عربي، الفتوحات المكية، مجلد ٢، ص ٣١٧-٣٢٢).

قال **الأنصاري الهروي** (توفي سنة ٤٨١هـ): "وأما قسم الأحوال فهو عشرة أبواب وهي: المحبة، والغيرة، والشوق، والقلق، والعطش، والوجد، والدّهش، والهيمن، والبرق، والذوق". (الهروي، منازل السائرين، ص ٨٨).

قال **ابن العريف** (توفي سنة ٥٣٦هـ): "وأما محبة العوام فإنها تنبت من مطالعة المنة، وتثبت باتباع السنة، وتنمو على الإجابة للعناية ... وأما محبة الخواص فهي محبة خاطفة، تقطع العبارة، وتدقق الإشارة، ولا تنتهي بالنعوت، ولا تُعرف إلا بالخير والسكوت". (ابن العريف، النفائس ومحاسن المجالس، ص ٦٩٦).

قال **ابن قيم الجوزية** (توفي سنة ٧٥١هـ): "وقد اجتمعت هذه المعاني الثلاثة في الحب، فوضعوا له قريباً من ستين اسماً وهي: المحبة، والعلاقة، والهوى، والصبوة، والصباية، والشغف، والمقة، والوجد، والكلف، والتئيم، والعشق، والجوى، والدنف، والشجور، والشوق، والخلاصة، والبلابل، والتباريح، والسدم، والغمرات، والوهل، والشجن، واللاعج، والاكيتاب، والوصب، والحزن، والكمد، واللذع، والحرق، والسهد، والأرق، واللّهف، والحين، والاستكانة، والتبالة، واللوعة، والفنون، والجنون، واللّم، والخبل، والرييس، والداء المخامر، والودّ، والخلة، والحلم، والعزام، والهيام، والتدلية، والولة، والتعبّد. وقد ذكر له أسماء غير هذه وليست من أسمائه، وإنما هي من موجباته وأحكامه فتركنا ذكرها". (ابن قيم الجوزية، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ص ٢٠).

١. الحب:

الحب حُب، قد ذكرناه سابقاً في فصل "تعريف الحب".

٢. مَحَبَّة:

قال الله ﷻ:

... وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴿٣٩﴾ (طه، ٣٩)

(أ) قال الراغب: "والمحبة إرادة ما تراه أو تظنّه خيراً، وهي على ثلاثة أوجه:

محبة للذة كمحبة الرجل المرأة ومنه: **وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا...**

(الإنسان، ٧٦: أ)، ومحبة للنفع كمحبة شيء ينتفع به، ومنه: **وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّن**

اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٩﴾ (الصف، ٦١: ١٣) ومحبة للفضل كمحبة أهل العلم

بعضهم لبعض لأجل العلم، وربما فسّرت المحبة بالإرادة في نحو قوله ﷻ: ...

فِيهِ رِجَالٌ مُّحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا ... (التوبة، ٩: ١٠٨) وليس كذلك، فإن المحبة أبلغ من

الإرادة كما تقدّم آنفاً، فكل محبة إرادة، وليس كل إرادة محبة "١٣١".

(ب) وقال ابن منظور: "والمحبة أيضاً: اسم للحب" ١٣٢.

(ج) وقال الزبيدي ١٣٣: "والحب: الوداد والمحبة" ١٣٤.

١٣١ المفردات، ص ١١٢.

١٣٢ لسان العرب، ١/ ٢٨٩.

١٣٣ تاج العروس، ١/ ٣٩١.

١٣٤ مسألة: هل "الحب" و "المحبة" نفس الشيء؟

نستخلص من مراجعة كتب اللغة في مادة "حب" الفرق بين معنى الحب والمحبة، بأن الحب أبلغ من المحبة وأقوى وأعلى بدرجات، قال ابن منظور: "والحُبُّ الوداد والمحبة، وكذلك الحُبُّ بالكسر"، (ابن منظور، لسان العرب، ١/ ٢٨٩). وذكر الإمام الراغب في المفردات أن معنى الحُب بكسر الحاء هو "من فَرَطَ حُبّه"، وقال الرازي في مختار الصحاح: "والحب أيضاً المحبة وكذا الحُبُّ بالكسر، والحُبُّ أيضاً الحبيب". وعرفوا المحبة بأنها: "إرادة

٣. الاستحباب:

قال الله ﷻ:

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ

الْكَافِرِينَ ﴿١٧﴾ (النحل، ١٦: ١٠٧)

(أ) قال الراغب: "وقوله ﷻ: يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ

وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ

الْظَّالِمُونَ ﴿٣٣﴾ (التوبة، ٩: ٢٣) أي إن آثروه عليه، وحقيقة الاستحباب أن يتحرى

الإنسان في الشيء أن يُحِبَّهُ "١٣٥.

(ب) وقال ابن منظور: "واستحبّه كأحبّه، والاستحباب كالاستحسان" ١٣٦.

(ج) وقال الزبيدي ١٣٧: "واستحبّه كأحببته، والاستحباب

ما تراه أو تظنه خيراً" وهي كما ذكروها من ثلاثة أوجه: محبة للذة، ومحبة للنفع، ومحبة للفضل، أما الحب كما يظهر من كلامهم فهو للذات نفسها. فيتبين من هذا كله أن كلمة "الحب" أقوى وأرفع من كلمة "المحبة".

على أن بعض المفسرين ذكروا أن معنى قوله ﷻ: ... وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي ... (طه، ٢٠: ٣٩) هو أن الله ﷻ ألقى على سيدنا موسى عليه السلام مسحة جمال خاصة تجعل من رآه من الناس يحبونه، قال الفخر الرازي: "وألقيت عليك محبة حاصلة مني واقعة بخلقك فلذلك أحبتك امرأة فرعون حتى قالت: ... فَرُتْ عَيْنِي لَكَ وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ ... (الفصل ٢٨: ٩)، ويروى أنه كانت على وجهه مسحة جمال وفي عينيه ملاحه لا يكاد يصبر عنه من رآه ... قال القاضي: .. والمراد أن ما ذكرناه من كينيته في الخلقة يُسْتَحْلَى وَيُغْتَبَطُ فكذلك كانت حاله مع فرعون وامرأته فسهل الله ﷻ له منهما في التربة ما لا مزيد عليه". (الفخر الرازي، التفسير الكبير مفاتيح الغيب، ٤٨/٨). وفي هذه الحالة أيضاً فإن المحبة درجة دون الحب، لأنه المحبة من الناس أدنى من حب الله ﷻ، والله أعلم.

١٣٥ المفردات، ص ١١٣.

١٣٦ لسان العرب، ١/ ٢٨٩.

٤. الرحمة:

وقد ذكرناها سابقاً في فصل " الله ﷻ والحب " .

قال الله ﷻ:

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً

وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْتَفِرُونَ ﴿٢١﴾ (الروم، ٣٠: ٢١)

وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ (هود، ١١: ٩٠)

(أ) قال الراغب: " والرحمة رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم، وقد تستعمل تارة في الرقة المجردة وتارة في الإحسان المجرد عن الرقة، نحو: رحم الله فلاناً، وإذا وُصف به الباري فليس يراد به الإحسان المجرد دون الرقة، وعلى هذا روي أن الرحمة من الله إنعام وإفضال ومن الآدميين رقة وتعطف " ١٣٩ .

(ب) وقال ابن منظور: " الرحمة الرقة والتلطف ... والرحمة في بني آدم عند العرب: رقة القلب وعطفه، ورحمة الله: عطفه وإحسانه ورزقه " ١٤٠ .

(ج) وقال الزبيدي: " الرحمة: الرقة، ... وقال الحرالي: الرحمة نخلة ما يوافي المرحوم في ظاهره وباطنه، أدناه كشف الضر وكف الأذى، وأعلاه

١٣٧ تاج العروس، ١/ ٣٩٢.

١٣٨ مسألة: كيف يعتبر " الاستحباب " نوعاً من أنواع الحب؟

نستخلص من تعريف العلماء أعلاه للاستحباب أنه تحري الإنسان في الشيء لكي يحبه وقد جاء في كلام ابن حزم حيث قال: " فترى الناظر لا يطرف، يتنقل بتنقل المحبوب، وينزوي بانزوائه، ويميل حيث مال " . (ابن حزم، طوق الحمامة، ص ١٣).

١٣٩ المفردات، ص ١٩٧.

١٤٠ لسان العرب، ١٢/ ٢٣٠.

٥. الرأفة:

قال الله ﷻ:

ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَفَاتِنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِيقُونَ ﴿٢٧﴾ (الحديد، ٥٧: ٢٧)

الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيَشْهَدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٤﴾ (النور، ٢٤: ٢٤)

لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ (التوبة، ٩: ١٢٨)

(أ) قال الراغب: "الرأفة الرحمة وقد رُؤف فهو رُؤفٌ ورؤوف ... قال ﷻ: ... وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ... " ١٤٢.

(ب) وقال ابن منظور: "الرأفة الرحمة، وقيل: أشد الرحمة ... ومن صفات الله ﷻ الرؤوف وهو الرحيم لعباده العطوف عليهم بِالطَّافَةِ والرأفة أخص من الرحمة وأرق" ١٤٣.

(ج) وقال الزبيدي^{١٤٤}: "والرأفة: أشد الرحمة أو أرقها كما في الصحاح،

١٤١ تاج العروس، ١٦/ ٢٧٤.

١٤٢ المفردات، ص ١٨٩.

١٤٣ لسان العرب، ٩/ ١١٢.

١٤٤ تاج العروس، ١٢/ ٢٢١.

والذي في المجلد: أنها مطلق الرحمة وأخص ولا تكاد تقع في الكراهية، والرحمة قد تقع في الكراهية للمصلحة. وقال الفخر الرازي: الرأفة مبالغة في رحمة مخصوصة ... وما يستدرك عليه: الرؤوف من الأسماء الحسنى هو الرحيم لعباده العطف عليهم بألفاظه، وتراءفَ الوالد بولده "١٤٥".

٦. الود:

قال الله ﷻ:

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٦٦﴾ (مريم، ١٩: ٩٦)

(أ) قال الراغب: "الودُّ: محبة الشيء وتُمنى كونه، ويستعمل في كل واحد من المعنيين، على أن التمني يتضمن معنى الود، لأن التمني هو تشهي حصول ما تودّه" ١٤٦.

(ب) وقال ابن منظور: "الود مصدره المودة. وقال ابن سيده: الود الحب يكون في جميع مداخل الخير" ١٤٧.

(ج) وقال الزبيدي: "الود والوداد الحب والصدقة، ثم استعير للتمني، وقال ابن سيده: الود الحب يكون في جميع مداخل الخير" ١٤٨.

١٤٥ مسألة: كيف تعتبر "الرأفة" نوعاً من أنواع الحب؟

نستخلص من كلام العلماء أعلاه وتعريفهم للرأفة أنها: أخص من الرحمة وأرق، والرحمة رقة تقتضي الإحسان والعطف، وعادة تتلازم الرقة مع المحبة لأنه يبعد أن يرأف الإنسان بمن يكرهه ولا يحبه، بل إن المحبوب للقلب تجد له في القلب رحمة ورأفة.

١٤٦ المفردات، ص ٥٣٢.

١٤٧ لسان العرب، ٣/ ٤٥٣.

١٤٨ تاج العروس، ٥/ ٣٠٤.

٧. المودة:

قال الله ﷻ:

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً

وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ (الروم، ٣٠: ٢١)

... قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ... (الشورى، ٤٢: ٢٣)

(أ) قال الراغب: "وفي المودة التي تقتضي المحبة المجردة ... قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ

أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ... قال بعضهم مودة الله لعباده هي مراعاته لهم" ١٤٩.

(ب) وقال ابن منظور: "الود مصدره المودة ... وقيل إنها سميت بالمودة التي هي المحبة" ١٥٠.

(ج) وقال الزبيدي: "سميت بالمودة التي هي المحبة" ١٥١.

٨. الوداد:

قال الله ﷻ:

لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ

كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ

الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾

(الجادلة، ٥٨: ٢٢)

(أ) قال الراغب: "الود محبة الشيء ... وقوله ﷻ: لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ

١٤٩ المفردات، ص ٥١٧.

١٥٠ لسان العرب، ٣/ ٤٥٣.

١٥١ تاج العروس، ٥/ ٣٤.

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُؤَادَوْنَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ...، فنهى عن موالاة الكفار وعن مظاهرتهم "١٥٢".

(ب) وقال ابن منظور: "قال ابن الأنباري: الودود في أسماء الله عز وجل المحب لعباده من قولك وددت الرجل أودّه ودّاً ووداداً ووداداً" ١٥٣.

(ج) قال الزبيدي: "ودادة بكسر الواو كما صرح به ابن السيد في المثلث وحكى غيرهم فيه الضم أيضاً فيكون مثلثاً كالود الوداد قاله شيخنا. قلت: وفي الأفعال لابن القطّاع: وددت الشيء ودّاً وودّاً: أحببته ولو فعل الشيء ودادة أي تمئنته هذا كلام العرب وواد فلان فلاناً وداداً وودادة وودادة فعل الاثني. فظهر منه أن الوداد بالكسر والودادة والودادة بالفتح والكسر مصدر وادّه أي باب المفاعلة" ١٥٤.

٩. الإرادة:

قال الله ﷻ:

وَالْمُطَلَقَاتُ يَرْتَضْنَ . بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا ۚ وَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْعُرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

(البقرة، ٢: ٢٢٨)

(أ) قال الراغب: "والإرادة في الأصل قوة مركبة من شهوة وحاجة وأمل، وجعل اسماً لنزوع النفس إلى الشيء مع الحكم فيه بأنه ينبغي أن يفعل أو لا يفعل، والمراودة أن تنازع غيرك في الإرادة فتريد غير ما يريد... قال ﷻ: ... هي

١٥٢ المفردات، ص ٥١٦.

١٥٣ لسان العرب، ٣/ ٤٥٣.

١٥٤ تاج العروس، ٢/ ٥٢٩.

رَوَدَّتْنِي عَنْ نَفْسِي ... وقال رحمه الله: ... تَرَاوَدُّ فَتَنَهَا عَنْ نَفْسِهِ ... " ١٥٥ .

(ب) وقال ابن منظور: " وأراد الشيء أحبه وعُني به " ١٥٦ .

(ج) وقال الزبيدي ١٥٧: " قال ثعلب: الإرادة تكون محبةً وغير محبة " ١٥٨ .

١٠. الشغف:

قال الله رحمه الله:

وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتْنَهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا

لَنَرُهَا فِي صُلًى مُبِينٍ ﴿٣٠﴾ (يوسف، ١٢: ٣٠)

(أ) قال الراغب: " شغفها حباً أي أصاب شغاف قلبها أي باطنه " ١٥٩ .

(ب) وقال ابن منظور: " الشَّغَافُ غلاف القلب وهو جلدة دونه كالحجاب وسويداؤه ... وشغفه الحبُّ يشغفه شَغْفًا وشَغْفًا وصل إلى شغاف قلبه، وقرأ ابن عباس قد شَغَفَهَا حُبًّا قال: دخل حُبُّه تحت الشَّغَاف " ١٦٠ .

(ج) وقال الزبيدي: " وفي الصَّحاح: شَغَفَهُ الحُبُّ أي: بَلَغَ شَغَافَهُ، قلتُ: وهو

١٥٥ المفردات، ص ٢٠٦-٢٠٧ .

١٥٦ لسان العرب، ٣/ ١٩١ .

١٥٧ تاج العروس، ٢/ ٣٥٨ .

١٥٨ مسألة: كيف تعتبر " الإرادة " نوعاً من أنواع الحب؟

نستخلص مما قاله العلماء أعلاه في تعريف الإرادة المقترنة بالحب أن الإرادة كما قال

ابن منظور: " أراد الشيء أحبه وعني به " . وفي ذلك يقول ابن حزم:

" تجد الحب يستدعي سماع اسم من يحب ويستلذ الكلام في أخباره ويجعلها هجيراً

(أي: دأبه وعادته) ... فلو أمكن الحب ألا يكون حديث في مكان يكون فيه إلا دُكر من يحبه

لما تعداه " . (ابن حزم، طوق الحمامة، ص ١٥-١٦) .

١٥٩ المفردات، ص ٢٦٣ .

١٦٠ لسان العرب، ٩/ ١٧٩ .

قَوْلُ ابْنِ السَّكَيْتِ وَقَالَ الْفَرَّاءُ: أَيَّ خَرَقَ شَعَفَ قَلْبُهُ وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَدْ شَعَفَهَا حُبًّا قَالَ: دَخَلَ حُبُّهُ تَحْتَ الشَّعَفِ وَقَالَ اللَّيْثُ: أَيَّ أَصَابَ حُبُّهُ شَعَفَهَا "١٦١".

١١. الهوى:

قال الله ﷻ:

لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا ^طكَلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧﴾ (المائدة: ٥٠: ٧٠)

أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿١٣﴾ (الفرقان: ٢٥: ٤٣)

إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَّتُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ^ع إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى ﴿٢١﴾ (النجم: ٥٣: ٢٣)

بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ^ط فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ ^ط وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٢٨﴾ (الروم: ٣٠: ٢٩)

(أ) قال الراغب: "الهوى ميل النفس إلى الشهوة، وقيل سُمِّيَ بذلك لأنه يهوي بصاحبه في الدنيا إلى كل داهية وفي الآخرة إلى الهاوية" ١٦٢.

(ب) وقال ابن منظور: "قال ابن سيده: الهوى العشق يكون في مداخل الخير والشّر" ١٦٣.

(ج) وقال الزبيدي: "والهوى بالقصر العشق، وقال الليث: هوى الضمير، وقال الأزهرى: هو محبة الإنسان للشيء وغلبته على قلبه ومنه قوله ﷻ:

١٦١ تاج العروس، ١٥٧/٦.

١٦٢ المفردات، ص ٥٤٨.

١٦٣ لسان العرب، ٣٧٣/١٥.

"...وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ" (النازعات، ٧٩: ٤٠) أي عن شهواتها وما تدعو إليه من المعاصي، قال ابن سيده: يكون في مداخل الخير والشر، وقال غيره: من تكلم بالهوى مطلقاً لم يكن إلا مذموماً حتى ينعت بما يخرج معناه كقولهم هوى حسن وهوى موافق للصواب^{١٦٤}.

١٢. الاستهواء:

قال الله ﷻ:

قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهَ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانًا لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ أَتَيْنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأَمْرًا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾ (الأنعام، ٦٦: ٧١)

(أ) قال الراغب: "كالذي استهوته الشياطين، أي حملته على اتباع الهوى"^{١٦٥}.

(ب) وقال ابن منظور: "واستهوته الشياطين ذهب بهواه وعقله وفي التنزيل العزيز "كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ" وقيل استهوته استهامته وحيرته وقيل زينت الشياطين له هواء حيران في حال حيرته ويقال للمستهام الذي استهامته الجن استهوته الشياطين القتيبي استهوته الشياطين هوت به وأذهبته جعله من هوى يهوي وجعله الزجاج من هوي يهوي أي زينت له الشياطين هواء"^{١٦٦}.

(ج) وقال الزبيدي: "وقوله ﷻ: ... كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانًا ... أي ذهب بهواه وعقله، وقال القتيبي: أي هوت به وأذهبته، جعله من

١٦٤ تاج العروس، ١٠/ ٤١٥.

١٦٥ المفردات، ص ٥٤٨.

١٦٦ لسان العرب، ١٥/ ٣٧١.

هوى يهوى، أو استهامته وحيرته أو زينته له هواه وهذا قول الزجاج جعله من هوى يهوى "١٦٧".

١٣. الغوى:

قال الله ﷻ:

وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٦﴾ (الشعراء: ٢٦، ٢٢٤)

(أ) قال الراغب: "قليل معنى غوى فسد عيشه من قولهم غَوِيَ الفصيل وغَوَى نحو هَوِيَ وهَوَى" ١٦٨.

(ب) وقال ابن منظور: "وقوله ﷻ: ... وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ... قيل في تفسيره الغاؤون الشياطين وقيل أيضاً الغاؤون من الناس قال الزجاج والمعنى أن الشاعر إذا هَجَا بما لا يجوز هَوِيَ ذلك قومٌ وأحبوه فهم الغاؤون" ١٦٩.

(ج) وقال الزبيدي ١٧٠: "وقوله ﷻ: ... وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ... جاء في التفسير: أي الشياطين أو من ضل من الناس أو الذين يحبون الشاعر إذا هجا قوماً بما لا يجوز، نقله الزجاج، أو يحبونه لمدحه إياهم بما ليس فيهم ويتابعونه على ذلك" ١٧١.

١٦٧ تاج العروس، ١٠/٤١٥.

١٦٨ مفردات، ص ٣٦٩.

١٦٩ لسان العرب، ١٥/١٤٠.

١٧٠ تاج العروس، ١٠/٢٧٣.

١٧١ مسألة: كيف تعتبر "الغواية" نوعاً من أنواع الحب؟

نستخلص من تعريف العلماء أعلاه للغواية وخاصة عند تفسيرهم لقوله ﷻ:

وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٦﴾ (الشعراء: ٢٦، ٢٢٤)، "أن الشاعر إذا هجا بما لا يجوز هوى ذلك قوم

وأحبوه" كما يقول ابن منظور، إذا يظهر من هذا أن الغواية نوع من أنواع الحب وهي أن

١٤. اِهْم:

قال الله ﷻ:

وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ ^ط وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَّءَا بُرْهَنَ رَبِّهٖ ؕ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ؕ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ (يوسف، ١٢: ٢٤)

(أ) قال الراغب: "والهم ما هممت به في نفسك" ١٧٢.

(ب) وقال ابن منظور: "وسئل ثعلب عن قوله ﷻ: وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ ^ط وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَّءَا بُرْهَنَ رَبِّهٖ ... ، قال: همت زليخا بالمعصية مصرّة على ذلك، وهم يوسف عليه السلام بالمعصية ولم يأتها ولم يصر عليها فبين المهمتين فرق ... وقال أبو عبيد: هذا على التقديم والتأخير كأنه أراد: ولقد همت به ولولا أن رأى برهان ربه لهم بها" ١٧٣.

(ج) وقال الزبيدي: "والهم ما هم به في نفسه أي نواه وأراده وعزم عليه وسئل ثعلب عن قوله ﷻ: وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ ^ط وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَّءَا بُرْهَنَ رَبِّهٖ ... قال همت زليخا بالمعصية مصرّة على ذلك وهم يوسف ﷺ بالمعصية ولم يأت بها ولم يصر عليها فبين المهمين فرق وقال أبو حاتم عن أبي عبيدة هذا على التقديم والتأخير كأنه أراد ولقد همت به ولولا أن رأى برهان ربه لهم بها" ١٧٤.

يحب بعض الناس الشاعر إذا هجا قوماً بما لا يجوز، أو يحبون هذا الشاعر لمدحه إياهم، كما يقول الزبيدي في تاج العروس. (الزبيدي، تاج العروس، ١٠/ ٢٧٣).

١٧٢ المفردات، ص ٥٤٥.

١٧٣ لسان العرب، ١٢/ ٦٢٠.

١٧٤ تاج العروس، ٩/ ١٠٩.

١٥. الرغب:

قال الله ﷻ:

وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ ۚ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتِمَّى النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُولَدْنَ لَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ آلِوَلَدِنَ وَأَن تَقُومُوا لِلنِّسَاءِ بِالْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴿١٧﴾ (النساء، ٤: ١٢٧)

فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۚ وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴿٩٠﴾ (الأنبياء، ٢١: ٩٠)

وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾ (التوبة، ٩: ٥٩)

وَالِإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ﴿٨﴾ (الشرح، ٩٤: ٨)

(أ) قال الراغب: "والرَّغْبَةُ والرَّغَبُ والرُّغْبَى السَّعة في الإرادة، قال ﷻ: ... وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ...، فإذا قيل رغب فيه وإليه يقتضي الحرص عليه قال ﷻ: ... إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ". ١٧٥

(ب) وقال ابن منظور: "رَغِبَ يَرْغَبُ رَغْبَةً إِذَا حَرَصَ عَلَى الشَّيْءِ وَطَمَعَ فِيهِ، والرَّغْبَةُ السُّؤَالُ والطَّمَعُ وَأَرْغَبَنِي فِي الشَّيْءِ وَرَغَّبَنِي بِمَعْنَى وَرَغَّبَهُ أَعْطَاهُ مَا رَغِبَ" ١٧٦.

(ج) وقال الزبيدي: "رغب فيه: ... أَرَادَهُ، ورغب إليه: ... ابتهل" ١٧٧.

١٧٥ المفردات، ص ١٩٨.

١٧٦ لسان العرب، ١/ ٤٢٢.

١٧٧ تاج العروس، ١/ ٢٧٣.

١٦. التقارب، المقاربة، القرب:

قال الله ﷻ:

وَنَدَيْتُهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ (مريم: ١٩، ٥٢)

لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ

عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ (النساء: ٤، ١٧٢)

لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ۖ وَلَتَجِدَنَّ

أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيَّ ذَلِكَ بِأَنْ مِنْهُمْ قَسِيصِينَ

وَرُهَبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ (المائدة: ٨٢)

وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي

وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ (البقرة: ٢، ١٨٦)

(أ) قال الراغب: "القرب والبعد يتقابلان، ... ويستعمل ذلك في المكان وفي الزمان وفي النسبة وفي الخطوة والرعاية ... في الخطوة: الملائكة المقربون، وقال في عيسى عليه السلام: وحيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين ... " ١٧٨ .

(ب) وقال ابن منظور: "وفي الحديث مَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شَيْبَرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا المرادُ بِقُرْبِ الْعَبْدِ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الْقُرْبُ بِالذِّكْرِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ لَا قُرْبُ الذَّاتِ وَالْمَكَانِ لِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ صِفَاتِ الْأَجْسَامِ وَاللَّهُ يَتَعَالَى عَنْ ذَلِكَ وَيَقْدَسُ وَالْمَرَادُ بِقُرْبِ اللَّهِ ﷻ مِنَ الْعَبْدِ قُرْبُ نَعْمِهِ وَأَلْطَافِهِ مِنْهُ وَبِرُّهُ وَإِحْسَانِهِ إِلَيْهِ وَتَرَادُفُ مَبْنَاهُ عِنْدَهُ وَفَيْضُ مَوَاهِبِهِ عَلَيْهِ " ١٧٩ .

(ج) وقال الزبيدي: "والتَّقَرُّبُ: التَّدْنِي إِلَى شَيْءٍ وَالتَّوَصُّلُ إِلَى إِنْسَانٍ بِقُرْبَةٍ أَوْ

يَحَقُّ. وَالْإِقْرَابُ: الدُّنُو. يُقَالُ: قَرَبَ فُلَانٌ أَهْلَهُ قُرْبَانًا إِذَا غَشِيَهَا" ١٨٠.

١٧. الغرام:

قال الله ﷻ:

وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾

(الفرقان، ٢٥: ٦٥)

إِنَّا لَمُعْرِمُونَ ﴿٦٦﴾ (الواقعة، ٥٦: ٦٦)

(أ) قال الراغب: "قال ﷻ: ... إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا" ١٨١، من قولهم هو

مُغْرَمٌ بالنساء أي يلازمهن ملازمة الغريم" ١٨٢.

(ب) وقال ابن منظور: "والغرامُ اللازم من العذاب والشرُّ الدائم والبلاءُ والحُبُّ والعشق وما لا يستطيع أن يُتَفَصَّى منه" ١٨٣.

(ج) وقال الزبيدي: "الغرام الولوع، وقد أغرم بالشيء أي أولع به، ... والمغرم كمكرم أسير الحب ومثقل الدين، والمراد بالحب حب النساء كما هو نص أبي عبيدة" ١٨٤.

١٨. الهيام:

قال الله ﷻ:

١٨٠ تاج العروس، ١/ ٤٢٥.

١٨١ قال القرطبي في تفسير قوله ﷻ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ (الفرقان، ٢٥: ٦٥): "أي لازماً دائماً

غير مفارق، ومنه سُمِّيَ الغريم لملازمته، ويقال: فلان مغرم بكذا أي ملازم له مولع به". (تفسير القرطبي، ١٣/ ٧١).

١٨٢ المفردات، ص ٣٦٠.

١٨٣ لسان العرب، ١٢/ ٤٣٦.

١٨٤ تاج العروس، ٩/ ٣.

أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ (الشعراء: ٢٢٥: ٢٢٥)

(أ) قال الراغب: "يقال رجل هيمان وهائم شديد العطش، وهام على وجهه ذهب، والهيام داء يأخذ الإبل من العطش ويضرب به المثل فيمن اشتد به العشق، وهام ذهب في الأرض واشتد عشقه وعطش" ١٨٥.

(ب) وقال ابن منظور: "والهيام كالجنون وفي التهذيب كالجنون من العشق ... والهائم ... الذاهب على وجهه عشقاً هام بها هيماً وهيوماً وهياماً وهيماناً وهياماً" ١٨٦.

(ج) وقال الزبيدي: "والهيام بالضم كالجنون من العشق وهو مجاز وقد هام على وجهه يهيم ذهب من العشق" ١٨٧.

١٩. الخُلة:

قال الله ﷻ:

وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ (النساء: ٤: ١٢٥)

الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ (الزخرف: ٤٣: ٦٧)

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفِيعَةٌ ﴿٢٥٤﴾ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ (البقرة: ٢: ٢٥٤)

(أ) قال الراغب: "والخُلة المودة، إما لأنها تتخلل النفس أي تتوسطها وإما لأنها تُخلل النفس فتؤثر فيه تأثير السهم في الرمية، وإما لفرط الحاجة إليها، يقال منه: خالته خالّة وخلاًلاً فهو خليل ... فإن الخُلة من تخلل الود نفسه

١٨٥ المفردات، ص ٥٤٧.

١٨٦ لسان العرب، ١٢/٦٢٦.

١٨٧ تاج العروس، ٩/١١٢.

ومخالطته كقوله: قد تخللت مسلك الروح مني وبه سُمِّيَ الخليل خليلاً" ١٨٨.

(ب) وقال ابن منظور: "والخُلُّ الوُدُّ والصَّدِيق ... الخُلَّةُ بالضم الصداقة والمحبة التي تخللت القلب فصارت خِلالَهُ أي في باطنه والخليل الصَّدِيقُ فَعِيل بمعنى مُفَاعِلٍ وقد يكون بمعنى مفعول قال وإنما قال ذلك لأن خُلَّتْه كانت مقصورة على حب الله ﷻ فليس فيها لغيره مُتَسَّع ولا شَرِكَةٌ من مُحَابٍ الدنيا والآخرة وهذه حال شريفة لا ينالها أحد بكسب ولا اجتهداد فإن الطباع غالبية وإنما يخص الله بها من يشاء من عباده مثل سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين" ١٨٩.

(ج) وقال الزبيدي: "والخُلَّةُ أيضاً الصداقة المختصة التي لا خلل فيها تكون في عفاف الحب وفي دعارة منه ... والخلُّ بالكسر والضم: الصَّدِيقُ الْمُخْتَصُّ أو لا يُضَمُّ إِلَّا مع وُدٍّ يقال: كان لي وُدًّا وخُلًّا ... قال الله ﷻ: ... وَأَخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا. أو قيل: الخليل: الصَّدِيقُ عن ابن الأعرابي. وقال الزجاج: هو المُحِبُّ الذي لا خلل في محبته وبه فسر الآية أي أحبه محبةً تامةً لا خلل فيها" ١٩٠.

٢٠. الصداقة:

وقد ذكرناها سابقاً في فصل "حب الآخرين".

قال الله ﷻ:

لَيْسَ عَلَى الْآعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ

١٨٨ المفردات، ص ١٥٣.

١٨٩ لسان العرب، ١١/٢١١.

١٩٠ تاج العروس، ٧/٣٠٨.

إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ
أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ
عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى
أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبْرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ
لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾ (النور، ٢٤: ٦١)

وَلَا صَدِيقِي حَمِيمٌ ﴿٦٢﴾ (الشعراء، ٢٦: ١٠١)

(أ) قال الراغب: "والصداقة صدق الاعتقاد في المودة وذلك مختص بالإنسان
دون غيره" ١٩١.

(ب) وقال ابن منظور: "والصداقة مصدر الصديق واشتقاقه أنه صدقه المودة
والنصيحة والصديق المصدق لك والجمع صدقاء وصدقان وأصدقاء
وأصدق" ١٩٢.

(ج) وقال الزبيدي: "والصديق كأمير: الحبيب المصدق لك يُقال ذلك
للوّاحِد والجمع والمؤنث" ١٩٣.

٢١. الصّحبة:

وقد ذكرناها سابقاً في فصل "حب الآخرين".

قال الله ﷻ:

إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ
إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ

١٩١ المفردات، ص ٢٧٨.

١٩٢ لسان العرب، ١٠/١٩٣.

١٩٣ تاج العروس، ٦/٤٠٤.

لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى ۗ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ۗ وَاللَّهُ

عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ (التوبة: ٤٠)

(أ) قال الراغب: "الصاحب الملازم، إنساناً كان أو حيواناً أو مكاناً أو زماناً، بين أن تكون مصاحبته بالبدن وهو الأصل، أو بالعناية والهمة ... ولا يقال في العرف إلا لمن كثرت ملازمته" ١٩٤.

(ب) وقال ابن منظور: "يقال صاحب وأصحاب كما يقال شاهد وأشهاد وناصير وأئصار ومن قال صاحب وصُحْبَةٌ فهو كقولك فارِه وفُرْهَةٌ وغلَامٌ رائِقٌ والجمع رُوقَةٌ والصُّحْبَةُ مصدر قولك صَحِبَ يَصْحَبُ صُحْبَةً وقالوا في النساءِ هُنَّ صَوَاحِبُ يَوْسُفَ وحكى الفارسي عن أبي الحسن هُنَّ صَوَاحِبَاتِ يَوْسُفَ جَمَعُوا صَوَاحِبَ جَمَعَ السَّلَامَةُ كَقَوْلِهِ فَهِنَّ يَعْْلُكُنَّ حَدَائِدَاتِهَا وَقَوْلُهُ جَذَبَ الصَّرَارِيْنَ بِالْكَرُّورِ وَالصُّحَابَةُ مَصْدَرُ قَوْلِكَ صَاحَبَكَ اللَّهُ وَأَحْسَنَ صَحَابَتِكَ وَتَقُولُ لِلرَّجُلِ عِنْدَ التَّوْدِيْعِ مُعَانًا مُصَاحِبًا وَمَنْ قَالَ مُعَانًا مُصَاحِبًا فَمَعْنَاهُ أَنْتَ مُعَانٌ مُصَاحِبٌ وَيُقَالُ إِنَّهُ لِمُصْحَابٍ لَنَا بِمَا يُحِبُّ" ١٩٥.

(ج) وقال الزبيدي ١٩٦: "صحبه ... عاشره ... والصُّحْبَةُ مَصْدَرُ قَوْلِكَ: صَحِبَ يَصْحَبُ صُحْبَةً. وقالوا: فِي النِّسَاءِ: هُنَّ صَوَاحِبُ يَوْسُفَ. وحكى الفارسي عَنْ أَبِي الْحَسَنِ: هُنَّ صَوَاحِبَاتُ يَوْسُفَ. جَمَعُوا صَوَاحِبَ جَمَعَ السَّلَامَةُ. وَالصُّحَابَةُ بِالْكَسْرِ: مَصْدَرُ قَوْلِكَ صَاحَبَكَ اللَّهُ وَأَحْسَنَ صَحَابَتِكَ وَهُوَ مَجَازٌ. وَاسْتَصْحَبَهُ: دَعَاهُ إِلَى الصُّحْبَةِ. وَلَازَمَهُ وَكُلُّ مَا لَازَمَ شَيْئًا فَقَدْ اسْتَصْحَبَهُ" ١٩٧.

١٩٤ المفردات، ص ٢٧٥.

١٩٥ لسان العرب، ١/ ٥١٩.

١٩٦ تاج العروس، ١/ ٣٣٢.

١٩٧ مسألة: كيف تعتبر "الصحبة" نوعاً من أنواع الحب؟

٢٢. الإيثار:

قال الله ﷻ:

وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ (الحشر، ٥٩: ٩)

قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ أَثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَطِئِينَ ﴿١٢﴾ (يوسف، ١٢: ٩١)

بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ (الأعلى، ٨٧: ١٦)

(أ) قال الراغب: "المآثر ما يروى من مكارم الإنسان، ويستعار الأثر للفضل والإيثار للتفضل، ومنه أثرته ... والاستئثار التفرّد بالشيء من دون غيره، وقولهم: استأثر الله بفلان ... تنبيه أنه ممن اصطفاه وتفرّد تعالى به من دون الورى تشريفاً له" ١٩٨.

(ب) وقال ابن منظور: "أثرتُ فلاناً على نفسي من الإيثار، الأصمعي:

نستخلص من تعاريف العلماء أعلاه للصحة أنها تعني الملازمة وهي إما أن تكون ملازمة بالبدن أو بالعناية والهمة، وقالوا في اللغة عن النساء: "هن صواحب يوسف" أي اللاتي أحبينه، ولذا قال ابن حزم في هذا:

"فإنك بينما ترى المحبين قد بلغا الغاية من الاختلاف الذي لا يُقدَّرُ يصلح عند الساكن النفس السالم من الأحقاد في الزمن الطويل ولا ينجبر عند الحقود أبداً، فلا تلبث أن تراهما قد عادا إلى أجمل الصُّحبة، وأهدرت المعاتبة، وسقط الخلاف وانصرفا في ذلك الحين بعينه إلى المضاحكة والمداعبة، هكذا في الوقت الواحد مراراً. وإذا رأيت هذا من اثنين فلا يخالجك شك ولا بداخلك ريب البتة ولا تتماز في أن بينهما سراً من الحب دفيناً". (ابن حزم، طوق الحمامة، ص ١٥).

١٩٨ المفردات، ص ١٠.

أَثَرُكَ إِثَاراً أَيْ فَضَّلْتُكَ وَفُلَانٌ أَثِيرٌ عِنْدَ فُلَانٍ وَذُو أُثْرَةٍ إِذَا كَانَ خَاصّاً^{١٩٩}.
(ج) وقال الزبيدي^{٢٠٠}: "يقال: فلانٌ أَثِيرٌ أي من خُلَصَائِي. وفي بعض الأصول: أي خُلَصَانِي. وفُلَانٌ أَثِيرٌ عِنْدَ فُلَانٍ وَذُو أُثْرَةٍ إِذَا كَانَ خَاصّاً. رجلٌ أَثِيرٌ: مَكِينٌ مُكْرَمٌ. وفي الأساس: وهو أَثِيرِي أي الذي أَوْثَرَهُ وَأَقْدَمَهُ"^{٢٠١}.

٢٣. الضلال:

قال الله ﷻ:

وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا

لَنُرَبِّهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ (يوسف، ١٢: ٣٠)

قَالُوا تَأَلَّى إِنَّكَ لَفِي ضَلَالٍ الْقَدِيمِ ﴿٤١﴾ (يوسف، ١٢: ٩٥)

(أ) قال الراغب: "وقال ﷻ في يعقوب عليه السلام: "...إِنَّكَ لَفِي ضَلَالٍ الْقَدِيمِ"، وقال أولاده: إن أبانا لفي ضلال مبين، إشارة إلى شغفه بيوسف وشوقه إليه، وكذلك: قد شغفها حباً إنا لنراها في ضلال مبين"^{٢٠٢}.

(ب) وقال ابن منظور: "وقد تطلق الضلالة على المعاني ومنه: الكلمة الحكيمة ضالة المؤمن، وفي رواية: ضالة كل حكيم، أي لا يزال يتطلبها كما

١٩٩ لسان العرب، ٥/٤.

٢٠٠ تاج العروس، ٦/٣.

٢٠١ مسألة: كيف يعتبر "الإيثار" نوعاً من أنواع الحب؟

نستخلص من تعريف العلماء أعلاه للإيثار أن الحب يؤثر محبوبه ويجعله مقدماً ومفضلاً عنده على غيره من خاصته وفي هذا يقول ابن حزم:

"تري الحب يحب أهل محبوبه وقرباته وخاصته حتى يكونوا أحظى لديه من أهله ونفسه ومن جميع خاصته". (ابن حزم، طوق الحمامة، ص ١٢). وهذا دليل على الإيثار بالحب حيث

يقدمه كما جاء في قوله ﷻ: "... وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ..." (الحشر، ٥٩: ٩).

٢٠٢ المفردات، ص ٢٩٨.

يطلب الرجلُ ضالته "٢٠٣.

(ج) وقال الزبيدي^{٢٠٤}: "وقال الراغب: هو العُدُولُ عن الطريقِ المُستقيمِ وتُضادُّه الهدايةُ، قال الله ﷻ: "...فَمَنْ أَهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا..." (يونس: ١٠، ١٠٨)، ويُقال: الضَّلالُ: لِكُلِّ عُدُولٍ عن الحقِّ عمداً كانَ أو سهواً يسيراً كانَ أو كثيراً فإنَّ الطريقَ المُستقيمَ الذي هو المرْتضى صعبٌ جِداً، ولهذا قال ﷺ: «اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا»، ولذا صحَّ أن يُسْتَعْمَلَ لَفْظُهُ فِيمَنْ يَكُونُ مِنْهُ خَطَأٌ وَلِذلِكَ نُسِبَ إِلَى الْأَنْبِيَاءِ وَإِلَى الْكُفَّارِ وَإِنْ كَانَ بَيْنَ الضَّالِّينَ بَوْنٌ بَعِيدٌ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ قَالَ فِي النَّبِيِّ ﷺ: "وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى" (الضحى: ٩٣، ٧)، أي غيرَ مُهْتَدٍ لِمَا سَبَقَ إِلَيْكَ مِنَ النَّبُوءَةِ، وقال ﷻ في يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: "...إِنَّكَ لَفِي ضَلَالٍ قَدِيمٍ، وقال أولادُهُ: "...إِنْ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ" (يوسف: ١٢، ٨)، إشارةً إِلَى شَغَفِهِ يُوسُفَ وشَوْقِهِ إِلَيْهِ "٢٠٥.

٢٠٣ لسان العرب، ١١/٣٩٠.

٢٠٤ تاج العروس، ٧/٤١٠.

٢٠٥ مسألة: كيف يعتبر "الضلال" نوعاً من أنواع الحب؟

نستخلص مما قاله العلماء أعلاه أن معنى الضلال في اللغة هو الشغف بحب المحبوب والشوق إليه، ومنه قوله ﷻ: "...قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرْنَهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ" (يوسف: ١٢، ٣٠) ويتبين بذلك أن الضلال من أنواع الحب، قال ابن منظور: "قال الفراء: شغفها حباً أي خرق شغاف قلبها". (ابن منظور، لسان العرب، ٩/١٧٨). فالضلال على هذا منزلة ونوع من الحب يصل إلى صميم القلب وشغافه، يقول ابن حزم:

"والأشياء إذا أفرطت في غايات تضادها، ووقفت في انتهاء حدود اختلافها تشابهت، قدرة من الله عز وجل تضل فيها الأوهام. فهذا الثلج إذا أدمن حبسه في اليد فَعَلَ فعل النار... فنجد المحبين إذا تكافتا في المحبة وتأكدت بينهما تأكيداً شديداً أكثر بهما جذُّهما بغير معنى". (ابن حزم، طوق الحمامة، ص ١٥).

٢٤. الرضى:

قال الله ﷻ:

قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ (المائدة: ١١٩)

قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۚ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ۚ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٠﴾ (البقرة: ١٤٤)

تَخْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ ۚ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّا لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿١٢١﴾ (التوبة: ٩٦)

وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿١٢٢﴾ (مريم: ٥٥)

(أ) قال الراغب: "يقال: رضي يرضى رضا فهو مرضي ومرضوء، ورضا العبد عن الله أن لا يكره ما يجري به قضاؤه، ورضا الله عن العبد هو أن يراه مؤتمراً لأمره ومنتھياً عن نهيه" ٢٠٦.

(ب) وقال ابن منظور: "الرَّضا ضد السَّخَط ... قال القُحَيْفُ العُقَيْلي:

إِذَا رَضِيتُ عَلَيَّ بَنُو قُشَيْرٍ لَعَمْرُ اللَّهِ أَعْجَبَنِي رِضَاهَا
عَدَّاهُ بَعْلَى لِأَنَّهُ إِذَا رَضِيتُ عَنْهُ أَحْبَبْتُهُ وَأَقْبَلْتُ عَلَيْهِ" ٢٠٧.

(ج) وقال الزبيدي: "وأشد الأخفش ...

إِذَا رَضِيتُ عَلَيَّ بَنُو قُشَيْرٍ لَعَمْرُ اللَّهِ أَعْجَبَنِي رِضَاهَا
كما في الصحاح. وقال ابن سيده: عَدَّاهُ بَعْلَى لِأَنَّهُ إِذَا رَضِيتُ عَنْهُ أَحْبَبْتُهُ
وأقبلت عليه ... والرضي كغني الضامن ... ووجد في نسخ التهذيب

٢٠٦ المفردات، ص ٢٠٣.

٢٠٧ لسان العرب، ١٤/٣٢٤.

الضامر، وأيضاً: المُحِبُّ، كل ذلك عن ابن الأعرابي "٢٠٨".

٢٥. الحنان:

قال الله ﷻ:

وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ (مریم، ١٩: ١٣)

(أ) قال الراغب: "الحنين النزاع المتضمن للإشفاق، يقال: حننت المرأة والناقة لولدها، وقد يكون مع ذلك صوت ولذلك يُعَبَّر بالحنين عن الصوت الدال على النزاع والشفقة أو متصور بصورته وعلى ذلك حنين الجذع ... ولما كان الحنين متضمناً للإشفاق والإشفاق لا ينفك من الرحمة عُبِّر عن الرحمة به في نحو قوله ﷻ: **وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا...**، ومنه قيل الحنان المنان "٢٠٩".

(ب) وقال ابن منظور: "الْحَنَانُ من أسماء الله ﷻ قال ابن الأعرابي الحَنَانُ بتشديد النون بمعنى الرحيم قال ابن الأثير الحَنَانُ الرحيم بعباده ... ومنه قوله ﷻ: **وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا...** وفي الحديث أنه دخل على أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها وعندها غلامٌ يُسَمَّى الوليدُ فقال اتَّخَذْتُمُ الوليدَ حَنَانًا غَيْرُوا اسْمَهُ أَيِ تَتَّعِظُونَ على هذا الاسم فَتُحِبُّونَهُ "٢١٠".

(ج) وقال الزبيدي: "الْحَنَانُ كَشَدَادٌ مِّنْ يَحِنُّ إِلَى الشَّيْءِ ويعطف عليه والحنان اسم الله تعالى فعال من الحنة وهي الرحمة "٢١١".

٢٠٨ تاج العروس، ١٩/٤٦٢.

٢٠٩ المفردات، ص ١٣٣.

٢١٠ لسان العرب، ١٣/١٢٩.

٢١١ تاج العروس، ٩/١٨٤.

٢٦. الإعجاب:

وقد ذكرناه سابقاً في فصل "تعريف الحب".

قال الله ﷻ:

وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۚ وَلَا
تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۚ أُولَٰئِكَ
يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۖ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ
يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ (البقرة، ٢: ٢٢١)

وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّكُمْ خُشْبٌ مُّسْنَدَةٌ ۖ
يَحْسَبُونَ كُلَّ صِحْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۚ قَتَلَهُمُ اللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ (الأنفال، ٦٣: ٤)

لَا سِحْلٌ لِّلنِّسَاءِ مِن بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبْدَلَ مِنْهُنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا
مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۖ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٥٢)

أَتَعْجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۖ رَحِمْتُ اللَّهَ وَبَرَكْتُهُ ۖ عَلَيْهِمْ أَهْلُ الْبَيْتِ ۖ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾
(هود، ١١: ٧٣)

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿٧٢﴾ (الجن، ٧٢: ٧٢)

(أ) قال الراغب: "العجب والتعجب حالة تعرض للإنسان عند الجهل بسبب الشيء ولهذا قال بعض الحكماء: العجب ما لا يُعرف سببه، ولهذا قيل: لا يصح على الله التعجب إذ هو علام الغيوب لا تخفى عليه خافية، ... ويستعار - العجب - للمؤتق فيقال: أعجبني كذا أي راقني، ويقال لمن يروقه نفسه فلان معجب بنفسه" ٢١٢.

(ب) وقال ابن منظور: "العُجْبُ والعَجَبُ إنكارٌ ما يردُّ عليك لقلَّةِ اعتياده ... وإن أُسْنِدَ إلى الله فليس معناه من الله كمعناه من العباد ... والعُجْبُ

الذي يُحِبُّ مُحَادَثَةَ النِّسَاءِ وَلَا يَأْتِي الرِّيبَةَ وَالْعُجْبُ وَالْعَجْبُ الَّذِي يُعْجِبُهُ الْقُعُودُ مَعَ النِّسَاءِ" ٢١٣.

(ج) وقال الزبيدي: "وَأُعْجِبَ بِهِ مَبْنِيًّا لِلْمَفْعُولِ: عَجِبَ وَسُرَّ بِالضَّمِّ مِنَ السُّرُورِ كَأَعْجَبَهُ الْأَمْرُ إِذَا سَرَّهُ" ٢١٤.

٢٧. الميل:

وقد ذكرناه سابقاً في فصل "تعريف الحب".

قال الله ﷻ:

وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا

(النساء: ٢٧) ﴿٢٧﴾

وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا

كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٢٨﴾ (النساء: ١٢٩)

(أ) قال الراغب: "الميل العدول عن الوسط إلى أحد الجانبين، ويستعمل في الجور... يُقال مِلت إلى فلان إذا عاونته" ٢١٥.

(ب) وقال ابن منظور: "المَيْلُ: العدول إلى الشيء والإقبال عليه وكذلك المَيْلَانِ ... و تمايل في مشيته تمايلاً واستماله واستمال بقلبه. والتَّمْيِيل بين الشيئين: كالترجيح بينهما ... وفي حديث أبي هريرة عن النبي قال: «صِنْفَانِ من أهل النار لم أرهما بعد قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون الناس بها ونساء كاسيات عاريات مائلات مُمِيلَات رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ لَا

٢١٣ لسان العرب، ١/ ٥٨٠.

٢١٤ تاج العروس، ١/ ٣٦٨.

٢١٥ المفردات، ص ٤٧٨.

يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا وَإِنَّ رِيحَهَا^{٢١٦}.

(ج) وقال الزبيدي^{٢١٧}: "مالٌ إليه يَمِيلُ مَيْلاً ... عَدَلٌ وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ ... المائلاتُ: يَمْلَنَ إلى الهوى والعَيَّ عن العفافِ"^{٢١٨}.

٢٨. الشهوة:

قال الله ﷻ:

زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ^{٢١٩} ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ

عِنْدَهُ حُسْبُ الْمَوَاتِبِ ﴿٤﴾ (آل عمران: ١٤)

إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ^{٢٢٠} بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّشْرِفُونَ ﴿٥﴾

(الأعراف: ٧، ٨١)

(أ) قال الراغب: "أصل الشهوة نزوع النفس إلى ما تريده، وذلك في الدنيا ضربان صادقة وكاذبة، فالصادقة ما يختل البدن من دونه كشهوة الطعام عند الجوع، والكاذبة ما لا يختل من دونه، وقد يُسمَّى المشتهى شهوة، وقد يقال

٢١٦ لسان العرب، ١١/٦٣٥.

٢١٧ تاج العروس، ٨/١٢٢.

٢١٨ مسألة: كيف يعتبر "الميل" نوعاً من أنواع الحب؟

نستخلص من تعريف العلماء اللغويين أعلاه للميل أنه: "العدول إلى الشيء والإقبال عليه" ومن الطبيعي أن نجد الحب يميل إلى محبوه، فمن مراحل الحب التي يمر بها الحب الميل شيئاً فشيئاً إلى محبوه، حتى إنه يصبح كما قال ابن حزم:

"فما يكاد يقبل على سوى محبوه ولو تعدد غير ذلك، وإن التكلف ليستين لمن يرمقه فيه، والإنصات لحديثه إذا حَدَّثَ ... ومنها الإسراع بالسير نحو المكان الذي يكون فيه، وتعتمد القعود بقربه والدنو منه، واطراح الأشغال الموجبة للزوال عنه، والاستهانة بكل خطب جليل داع إلى مفارقتها والتباطؤ في الشيء عند القيام عنه". (ابن حزم، طوق الحمامة، ص ١٣).

الحب في القرآن الكريم

للقوة التي تَشْتَهِي الشيء شهوة" ٢١٩.

(ب) وقال ابن منظور: "شَهِيتُ الشيء بالكسر ... وشَهِيَ الشيء وشَهِاهُ شَهِاهُ شَهْوَةٌ واشتَهاهُ وشَهاهُ أَحَبُّهُ ورَغِبَ فيه" ٢٢٠.

(ج) وقال الزبيدي^{٢٢١}: "واشتَهاهُ وتَشَهاهُ أَحَبُّهُ ورَغِبَ فيه، وفي المصباح: الشهوة اشتياق النفس إلى الشيء والجمع شهوات وأشهية" ٢٢٢.

٢٩. الصَّبَا:

قال الله ﷻ:

قَالَ رَبِّ الْمَسْجُونِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْنَّ
وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾ (يوسف، ١٢: ٣٣)

(أ) قال الراغب: "صبا فلانٌ يصبو صبواً وصبوةً إذا نزع واشتاق وفعل فعل

٢١٩ المفردات، ص ٢٧٠.

٢٢٠ لسان العرب، ١٤/ ٤٤٥.

٢٢١ تاج العروس، ١٠/ ٢٠٥.

٢٢٢ مسألة: كيف تعتبر "الشهوة" نوعاً من أنواع الحب؟

نستخلص مما قاله العلماء اللغويون أعلاه في تعريف الشهوة، أن الشهوة هي المشتهى المحبوب المرغوب فيه، فالشهوة إذاً هي الرغبة إلى المحبوب، وفي قول ابن منظور، التالي: "وتَشَهاهُ أَحَبُّهُ ورَغِبَ فيه" فمعناه: أن المحبوب مشتهى، فالحب يشتهي محبوبه من جهات عدة ومنها أنه يشتهي الجلوس والحديث معه والنظر إليه حتى أنه كما قال ابن حزم: "والحب أعزُّك الله داء عياء وفيه الدواء منه على قدر المعاملة، ومقام مستلذ، وعله مشتَهاة لا يؤدّ سليمها البرء، ولا يتمنى عليها الإفاقة. يُزَيِّن للمرء ما كان يأئف منه، ويسهل عليه ما كان يصعب عنده حتى يحيل الطبائع المركبة والجلبة المخلوقة ... وإنني لأسمع كثيراً ممن يقول: الوفاء في قمع الشهوات في الرجال دون النساء، فأطيل العجب من ذلك، وإن لي قولاً لا أحول عنه: الرجال والنساء في الجنوح إلى هذين الشئتين سواء". (ابن حزم، طوق الحمامة، ص ١٢).

الصبيان، قال:.... **أَصَبُ إِلَهَيْنِ وَأَكْنُ مِنَ الْجَنَهِلَيْنِ**....، وأصباني فصبوت "٢٢٣.

(ب) وقال ابن منظور: "**الصَّبَوَةُ** جَهْلَةُ الْفُتُوَّةِ وَاللَّهُوُ مِنَ الْعَزَلِ، ومنه التَّصَابِي والصَّبَا صَبَا صَبُوءاً وَصُبُوءاً وَصَبِيٌّ وَصَبَاءٌ" ٢٢٤.

(ج) وقال الزبيدي^{٢٢٥}: "**الصبوة** جهلة الفتوة، زاد الليث: واللهو من الغزل" ٢٢٦.

٣٠. الابتغاء:

قال الله ﷻ:

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ (البقرة، ٢٠٧)

أَفَعَمِّرَ اللَّهُ أَتْبَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ (الأنعام، ١١٤)

٢٢٣ المفردات، ص ٢٧٤.

٢٢٤ لسان العرب، ١٤/٤٤٩.

٢٢٥ تاج العروس، ١٠/٢٠٦.

٢٢٦ مسألة: كيف تعتبر "الصبوة" نوعاً من أنواع الحب؟

نستخلص من التأمل في كلام العلماء أعلاه أن معنى الصبا، كما يقول الراغب: "صبا فلان ... إذا نزع واشتاق وفعل فعل الصبيان"، وقد أوضح هذا ابن حزم في كتابه (طوق الحمامة) وفصله فقال واصفاً كيف يفعل الحب بصاحبه:

"فكم بخيل جاد، وقطوب تطلّق، وجبان تشجع، وغلبيط الطبع تطرّب، وجاهل تأدّب، وتغلّج تزئّن، وفقير تجمل، وذو سنّ تفتّى، وناسك تفتك، ومصون تبدّل ... ومن علاقاته وشواهد الظاهرة لكل ذي بصر الانبساط الكثير الزائد ... وكثرة الغمز الخفي، والميل بالالتكاء، والتعمد لمَسِّ اليد عند المحادثة، ولمس ما أمكن من الأعضاء الظاهرة، وشرب فضلة ما أبقى المحبوب في الإئاء، وتحري المكان الذي يقابله فيه". (ابن حزم، طوق الحمامة، ص ١٤-١٥).

قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغَىٰ رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٤﴾ (الأعراف، ٦٤)

(١٦٤:

(أ) قال الراغب: "يقال بَغَيْتَ الشيء إذا طَلَبْتَ أكثر ما يجب وابتغيت كذلك ... وابتغيتك أعتك على طلبه ... " ٢٢٧.

(ب) وقال ابن منظور: "بغى الشيء بغواً: نظر إليه كيف هو ... وبغاه بغياً نظر إليه كيف هو، وبغاه بغياً رقبه وانتظره ... وابتغاه وتبعاه واستبعاه كل ذلك طلبه " ٢٢٨.

(ج) وقال الزبيدي^{٢٢٩}: "بغيته أي الشيء ما كان خيراً أو شراً طلبته ... كابتغيته وتبعيته واستبعيته ... وشاهد الابتغاء قوله ﷺ: ... فَمَنْ أَبْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ ...، وقال الراغب: الابتغاء خص بالاجتهاد في الطلب، فمتى كان الطلب لشيء محمود فالابتغاء فيه محمود نحو: ... أَبْتَغَاءَ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا ... وقوله ﷺ: ... إِلَّا أَبْتَغَاءَ وَجْهَ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ...، والباغي: الطالب " ٢٣٠.

٣١. التفضيل:

قال الله ﷻ:

٢٢٧ المفردات، ص ٦٥.

٢٢٨ لسان العرب، ١٤ / ٧٥.

٢٢٩ تاج العروس، ١٩ / ٢٠٤.

٢٣٠ مسألة: كيف يعتبر "الابتغاء" نوعاً من أنواع الحب؟

نستخلص من تعريف العلماء أعلاه لـ "الابتغاء" بأنه: الاجتهاد في الطلب، والحب

مجتهد في طلب محبوبه بلا ريب، حتى قال ابن حزم:

"ومن آياته مراعاة الحب لمحبوبه، وحفظه لكل ما يقع منه، ويحثه عن أخباره حتى لا تسقط

عنه دقيقة ولا جلييلة، وتتبعه لحركاته ". (ابن حزم، طوق الحمامة، ص ٢٠).

أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَآ خِرَةَ أَكْبَرُ دَرَجَتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً ﴿١٧﴾ (الإسراء، ١٧)

(٢١):

وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَهُمْ فِي الْوَرْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ

عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴿٧٠﴾ (الإسراء، ٧٠)

(أ) قال الراغب: "الفضل إذا استعمل لزيادة أحد الشيئين على الآخر فعلى ثلاثة أضرب: فضلٌ من حيث الجنس كفضل جنس الحيوان على جنس النبات، وفضل من حيث النوع كفضل الإنسان على غيره من الحيوان وعلى هذا النحو قوله ﷺ: ... وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ... إلى قوله: ... تَفْضِيلاً ... وفضل من حيث الذات كفضل رَجُلٍ على آخر، فالأولان جوهریان لا سبیل للنقص فيهما أن يزيل نقصه ... والفضل الثالث قد يكون عرضياً فيوجد السبيل على اكتسابه ومن هذا النوع التفضيل المذكور في قوله ﷺ: وَاللَّهُ فَضَّلَ

بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ ... (النحل، ١٦: ٧١) " ٢٣١ .

(ب) وقال ابن منظور: "وقوله ﷺ: ... وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً، قيل تأويله أن الله فضلهم بالتمييز، وقال: ... عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا ...، ولم يقل على كل لأن الله ﷺ فَضَّلَ الْمَلَائِكَةَ فَقَالَ: وَلَا أَلْمَلَيْكَةَ الْقُرْبُونَ ... وَفَضَّلْتُهُ عَلَى غَيْرِهِ تَفْضِيلاً إِذَا حَكَمْتَ لَهُ بِذَلِكَ أَوْ صَيَّرْتُهُ كَذَلِكَ " ٢٣٢ .

(ج) وقال الزبيدي: "الفضل معروف وهو ضد النقص، ... ورجل فاضل ذو فضل ... كثير الفضل والمعروف والخير والسماح، وهي مفضالة ومفضلة ذات فضل سمحة، والفضيلة خلاف النقيصة وهي الدرجة الرفيعة في الفضل، والاسم من ذلك الفاضلة ... وَفَضَّلُهُ عَلَى غَيْرِهِ تَفْضِيلاً مَرَّأَهُ أَيِ

أثبت له مزية أي خصلة تميزه عن غيره أو فضله حكم له بالتفضيل أو صيره كذلك " ٢٣٣ .

٣٢. الزنا:

وقد ذكرناها سابقاً في فصل " الحب والزنا "، ويكون في الزنا حباً أحياناً.

قال الله ﷻ:

وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ (الإسراء، ١٧: ٣٢)

(أ) قال الراغب: " الزنا وطء المرأة من غير عقد شرعي " ٢٣٤ .

(ب) وقال ابن منظور: " الزنا يمد ويقصر، زنى الرجل يزني زنى مقصور وزنا ممدود وكذلك المرأة " ٢٣٥ .

(ج) وقال الزبيدي^{٢٣٦}: " زنى الرجل يزني زناً وزناً بكسرهما ... فجَرَ، وكذلك المرأة ... قال المناوي: الزنا ... شرعاً: إيلاج الحشفة بفرج مُحَرَّم بعينه خال عن شبهة مشتهى " ٢٣٧ .

٢٣٣ تاج العروس، ٨ / ٦١ .

٢٣٤ المفردات، ص ٢٢٠ .

٢٣٥ لسان العرب، ١٤ / ٣٥٩ .

٢٣٦ تاج العروس، ١٩ / ٤٩٧ .

٢٣٧ مسألة: كيف يعتبر " الزنا " نوعاً من أنواع الحب؟

نستخلص من تعريف العلماء أعلاه للزنا أنه: اتجاه بالحب بين الجنسين الذكر والأنثى إلى مرحلة وحالة مضادة ومعاكسة للشرائع والدين، ولكنه لولا وجود الحب والرغبة والزيادة على ذلك بالانسياق وراء الشهوة دون ضوابط لا يحصل الزنا ولا يقع. يقول ابن حزم واصفاً هذه العلاقة:

" وكثيرٌ من الناس يطيعون أنفسهم ويعصون عقولهم ويتبعون أهواءهم، ويرفضون أديانهم، ويتجنبون ما حض الله تعالى عليه ورتبه في الألباب السليمة من العفة وترك المعاصي

٣٣. الحفاوة:

قال الله ﷻ:

قَالَ سَلَّمَ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ (مريم، ١٩: ٤٧)

(أ) قال الراغب: "الحفيُّ البرُّ اللطيف قوله ﷻ: ... إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا، ويقال أحفيتُ بفلان وتحفيتُ به إذا عثيتُ بذكرانه" ٢٣٨.

(ب) وقال ابن منظور: "والحفاوة بالفتح المبالغة في السؤال عن الرجل والعناية في أمره ... تقول منه: حَفِيتُ بالكسر حفاوةً وَنَحَفَيْتُ به أي بالغت في إكرامه وإِطَافِهِ" ٢٣٩.

(ج) وقال الزبيدي: "وتحفي به تَحْفِيًّا واحتفي به: بالغ في إكرامه وأظهر السرور والفرح. يُقال: هو حفيٌّ أي بَرٌّ مبالغ في الكرامة والتحفِّي الكلام واللِّقاء الحَسَن، وقال الرَّجَاج في قوله ﷻ: ... إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا، أي لطيفاً يُقال: حَفِيٌّ فلان بفلان حِفْوَةً إذا بَرَّهُ وَأَلْطَفَهُ" ٢٤٠.

٣٤. الشفقة:

قال الله ﷻ:

ومقارعة الهوى، ومخالفة الله ربهم ويوافقون إبليس فيما يحبه من الشهوة المعطية فيواقعون المعصية في جبههم الرجال والنساء في الجنوح إلى هذين الشئتين سواء، وما رجل عرضت له امرأة جميلة بالحب وطال ذلك ولم يكن تَمَّ مانع إلا وقع في شَرِكِ الشيطان واستهوته المعاصي واستفزه الحرص وتغوّله الطمع، وما امرأة دعاها رجل بمثل هذه الحالة إلا وأمكنته، حتماً مقضياً وحكماً نافذاً لا محيد عنه البتة". (ابن حزم، طوق الحمامة، ص ١٢٠).

٢٣٨ المفردات، ص ١٣٢.

٢٣٩ لسان العرب، ١٤/ ١٨٨.

٢٤٠ تاج العروس، ١٩/ ٣٣٠.

يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ

مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ (الأنبياء، ٢١: ٢٨)

نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ ﴿٣٠﴾

(المؤمنون، ٢٣: ٥٧)

(أ) قال الراغب: "الإشفاق عناية مختلطة بخوف لأن المُشْفِق يُحب المُشْفَق عليه ويخاف ما يلحقه" ٢٤١.

(ب) وقال ابن منظور: "الشفق الحيفة ... تقول أنا مُشْفِق عليك أي أخاف ... والشفقة: رقة من نُصح أو حُبٍ يؤدي إلى خوف" ٢٤٢.

(ج) وقال الزبيدي: "الشفقة حرص الناصح على صلاح المنصوح، يُقال: لي عليه شفقة أي رحمة ورقة وخوف من حلول مكروه به مع نُصح وقد أشفق عليه أن يناله مكروه ..." ٢٤٣.

٣٥. الولاية:

قال الله ﷻ:

اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا

خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ (البقرة، ٢: ٢٥٧)

وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ

كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٢٥٨﴾ (فصلت، ٤١: ٣٤)

(أ) قال الراغب: "الولاء والتوالي أن يحصل شيان فصاعداً حصولاً ليس

٢٤١ المفردات، ص ٢٦٧.

٢٤٢ لسان العرب، ١٠/ ١٨٠.

٢٤٣ تاج العروس، ١٣/ ٢٤٤.

بينهما ما ليس منهما، ويُستعار ذلك للقرب من حيث المكان ومن حيث النسبة ومن حيث الدين ومن حيث الصداقة والنصرة والاعتقاد" ٢٤٤.

(ب) قال ابن منظور: "وقوله ﷺ: اللهم وال من والاه أي أحب من أحبه ... ووالى فلان فلاناً إذا أحبه" ٢٤٥.

(ج) وقال الزبيدي: "والوليُّ له معانٍ كثيرة: فمنها المُحبُّ، وهو ضد العدو، اسم من والاهُ إذا أحبه" ٢٤٦.

٢٤٤ المفردات، ص ٥٤٧.

٢٤٥ لسان العرب، ١٥/٤٠٩.

٢٤٦ تاج العروس، ٢٠/٣١٠.

٢٢. الباب الرابع؛ الفصل الثاني:

مراحل الحب

وصف الله ﷺ في القرآن الكريم مراحل عدة للحب البشري ،
وسنقسمها إلى ثلاثة أصناف نذكرها في ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: يتضمن مراحل حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس.

نذكر في هذا المطلب مراحل الحب التي تتعلق بحب الناس لله ﷻ،
وتتعلق أيضاً بحب الناس للناس، فهي تتضمن النوعين فتُعم علاقة حب
الناس لله ﷻ وكذلك علاقة حب الناس للناس. وهذه المراحل هي^{٢٤٧}:

٢٤٧ وجدنا عند بعض العلماء وصف بعض مراحل الحب ، ولكن هذه المراحل غير مبنية
على مصطلحات وآيات القرآن الكريم، فلم نذكرها في رسالتنا هذه، ومن ذكر تلك المراحل
من العلماء:

قال **الأنصاري الهروي** (توفي سنة ٤٨١هـ): " والمحبة هي سمة الطائفة، وعنوان
الطريقة، ومعقد النسبة. وهي على ثلاث درجات: الدرجة الأولى: محبة تقطع الوسوس،
وتلذد الخدمة، وتسلى عن المصائب. وهي محبة تنبت من مطالعة المنة، وثبت باتباع السنة،
وتنمو على الإجابة للفاقة. والدرجة الثانية: محبة تبعث على إثبات الحق على غيره، وتلهج
اللسان بذكره، وتعلق القلب بشهوده. وهي محبة تظهر من مطالعة الصفات، والنظر في
الآيات، والارتياض بالمقامات. والدرجة الثالثة: محبة خاطفة تقطع العبارة، وتدقق الإشارة،
ولا تنتهي بالنعوت. وهذه المحبة هي قطب هذا الشأن، وما دونها محاب نادت عليها الألسن،
وأدعتها الخليفة، وأوجبها العقول ". (الهروي، منازل السائرين، ص ٨٩-٩٠).

وقال **ابن الجوزي** (توفي سنة ٥٩٧هـ): " أول ما يتجدد الاستحسان للشخص، ثم
يجلب إرادة القرب منه، ثم المودة، وهو أن يود أن لو ملكه، ثم يقوى الود فيصير محبة، ثم
يصير خلة، ثم يصير هوى، فهو بصاحبه في محاب المحبوب من غير تمالك، ثم يصير عشقاً،
ثم يصير تبيهاً. والتبيهاً حالة يصير بها المعشوق مالكا للعاشق، لا يوجد في قلبه سواه، ومنه

١. الفراغ:

الفراغ مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس إلى فراغ مسبق من أي حب آخر. يقول الله ﷻ:

مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ۖ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ ۖ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴿٤﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٤)

وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أَمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ۚ إِن كَادَتْ لَتُبْدِيَ بِهِ لَوْ أَنَّ رَبَّنَا عَلَي قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦﴾ (القصص، ٢٨: ١٠)

فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٦﴾ (الشرح، ٩٤: ٧)

٢. الفقر:

الفقر مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس إلى فقر مسبق. يقول الله ﷻ:

يَتَذَيَّبُ النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦﴾ (فاطر، ٣٥: ١٥)

تيم الله. ثم يزيد التيم فيصير وَلَهَا، والولهُ الخروج عن حد الترتيب، والتعطل عن أحوال التمييز. (ابن الجوزي، ذم الهوى، ص ٢٣٠-٢٣١).

وقال ابن تيمية (توفي سنة ٧٢٨هـ): "محبة القلب للبشر على طبقات: أحدها العلاقة: وهو تعلق القلب بالمحبوب. ثم الصباية: وهو انصباب القلب إليه. ثم الغرام: وهو الحب اللازم. ثم العشق، وآخر المراتب هو التيم: وهو التعبد للمحبوب، والتيم المعبود، وتيم الله عبد الله فإن الحب يبقى ذاكرةً معبداً مذللاً لمحبيه. وأيضاً فاسم الإنابة إليه يقتضي المحبة أيضاً، وما أشبه ذلك من الأسماء كما تقدم". (ابن تيمية، التحفة العراقية، ص ٨٨).

هَتَأْتُمْ هَتُؤَلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ
فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَن نَّفْسِهِ ۚ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا
غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴿٢٨﴾ (محمد، ٤٧: ٣٨)

وقال موسى ﷺ في القرآن الكريم:

فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ (النقص، ٢٨: ٢٤)

٣. التزُّين:

التزُّين مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حُب الناس لله ﷻ وحب
الناس للناس إلى تزُّين مسبق في نظر أو نفس أو قلب الذي يُحبُّ. يقول الله
ﷻ:

زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ
وَالْأَفْضَةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۚ ذَلِكَ مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَاللَّهُ
عِنْدَهُ حُسْبُ الْمَوَابِ ﴿١٤﴾ (آل عمران، ١٤: ١٤)

بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي
قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنًّا سَوْءًا وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٢﴾ (الفتح، ٤٨: ١٢)

قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ (الحجر، ١٥: ٣٩)
وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِيمٌ وَلَئِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ
إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ
الرَّاشِدُونَ ﴿٥٧﴾ (الحجرات، ٤٩: ٧)

زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا ۗ وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ

الْقِيمَةِ ۖ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٢٨﴾ (البقرة، ٢: ٢١٢) ٢٤٨

وسنشرح هذا الأمر لاحقاً في فصل "مثلث الحب".

٤. الإعجاب:

الإعجاب مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس إلى الإعجاب. يقول الله ﷻ:

وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ ۚ وَلَآئِمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۚ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۚ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۚ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ۚ وَيُبَيِّنُ ءَايَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ (البقرة، ٢: ٢٢١)

وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۚ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ ۚ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسْنَدَةٌ ۚ تَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۚ قَتَلَهُمُ اللَّهُ ۚ إِنَّهُ يُوَفُّكُونَ ﴿٢٢٣﴾ (الأنفال، ٢٣: ٢٣)

(٤:)

لَا تَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدِّلَ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۖ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٥٢)

قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۚ رَحِمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ۚ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٢٢٣﴾ (هود، ١١: ٧٣)

قُلْ أَوْحَىٰ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ آلِجَنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ (الجن، ٧٢: ١)

وقد ذكرناه سابقاً كنوع من أنواع الحب في فصل "أنواع الحب".

٢٤٨ وانظر إلى: الأنعام، ٦: ٤٣؛ الأنعام، ٦: ١٣٧؛ الأنفال، ٨: ٤٨؛ النحل، ١٦: ٦٣؛ النمل، ٢٧: ٢٤؛ العنكبوت، ٢٩: ٣٨؛ الأنعام، ٦: ١٠٨؛ النمل، ٢٧: ٤؛ فصلت، ٤١: ٢٥؛ الأنعام، ٦: ١٢٢؛ التوبة، ٩: ٣٧؛ يونس، ١٠: ١٢؛ الرعد، ١٣: ٣٣؛ فاطر، ٣٥: ٨؛ غافر، ٤٠: ٣٧؛ محمد، ٤٧: ١٤؛ يونس، ١٠: ٢٤.

٥. الحب:

الحُب كلمة تستعمل في معنى عام وفي معنى خاص، فهناك مرحلة من مراحل الحب هي مرحلة الحب. يقول الله ﷻ:

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ (البقرة، ٢: ١٦٥)

ففي هذه الآية الكريمة نرى أن كلمة "الحب" تطلق على مراحل متفاوتة من الحب وعلى ظاهرة الحب بشكل عام، والله أعلم. وقد ذكرناه سابقاً في فصل "أنواع الحب".

٦. الرِّضَا:

الرِّضَا مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس إلى الرِّضَا. يقول الله ﷻ:

قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ (المائدة، ٥: ١١٩)

وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۖ أُولَٰئِكَ مِنِ الْمُتَجَرِّبِينَ وَاللَّذِينَ أَتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ (التوبة، ٩: ١٠٠)

لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦٦﴾

جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ حَشَى رَبَّهُ ﴿٨﴾ (البقرة: ٩٨، ٨)

تَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾ (التوبة: ٩٦، ٩٦)

وقد ذكرناه سابقاً كنوع من أنواع الحب في فصل "أنواع الحب".

٧. التقرب:

التقرب مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس إلى التقرب. يقول الله ﷻ:

وَنَدَبْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيبًا ﴿٥٢﴾ (مریم: ١٩، ٥٢)

لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيَّ ذَلِكَ بِأَنْ مِنْهُمْ قَسِيسِينَ وَرُهَبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ (المائدة: ٥، ٨٢)

وقد ذكرناه سابقاً كنوع من أنواع الحب في فصل "أنواع الحب".

٨: الإرادة:

الإرادة مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس إلى الإرادة. يقول الله ﷻ:

وَالْمُطَلَقَتُ يَرْتَضِىَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ۚ وَلَا تَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا ۚ وَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْعُرْفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۚ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٢٨﴾ (الكهف، ١٨: ٢٨)

وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۚ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٢٨﴾ (الأنعام، ٦: ٥٢)

وقد ذكرناها سابقاً كنوع من أنواع الحب في فصل "أنواع الحب".

٩. الابتغاء:

الابتغاء مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس إلى الابتغاء. يقول الله ﷻ:

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ (البقرة، ٢: ٢٠٧)

إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴿٢٠٨﴾ (البقرة، ٩٢: ٢٠٨)

وقد ذكرناه سابقاً كنوع من أنواع الحب في فصل "أنواع الحب".

١٠. الرغب:

الرغب مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس إلى الرغب. يقول الله ﷻ:

وَالِإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ﴿٩٤﴾ (الشرح، ٩٤: ٨)

وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ ۚ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي

يَتَمَى الْبِسَاءِ الَّتِي لَا تُؤْتُوهُنَّ مَا كَتَبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾ (النساء، ٤: ١٢٧)

فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴿٩٠﴾ (الأنبياء، ٢١: ٩٠)

وقد ذكرناه سابقاً كنوع من أنواع الحب في فصل "أنواع الحب".

١١. الولاية:

الولاية مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس إلى الولاية. يقول الله ﷻ:

إِنَّ وَلِيََّ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿٩٦﴾ (الأعراف، ٧: ١٩٦)

أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٤﴾ (يونس، ١٠: ٦٢)

رَبِّ قَدْ ءَاتَيْنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيٌّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ تُوَفِّي مُسْلِمًا وَالْحَقِيقِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٥٠﴾ (يوسف، ١٢: ١٠١)

لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۚ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَنَّةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ (آل عمران، ٣: ٢٨)

وقد ذكرناها سابقاً كنوع من أنواع الحب في فصل "أنواع الحب".

١٢. الخلَّة:

الخلَّة مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس إلى الخلَّة. يقول الله ﷻ:

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا

شَفَعَةٌ ۖ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ (البقرة، ٢: ٢٥٤)

أَلَا خِلَآءٌ يَوْمَئِذٍ لِّبَعْضِهِم لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٤٣﴾ (الزخرف، ٤٣: ٤٦)

وَأَخَذَ اللَّهُ إِتْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿٤٠﴾ (النساء، ٤: ١٢٥)

وقد ذكرناه سابقاً كنوع من أنواع الحب في فصل "أنواع الحب".

١٣. الفرح:

الفرح مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس إلى الفرح. يقول الله ﷻ:

قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ (يونس، ١٠: ٥٨)

فَرِحِينَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۚ وَتَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ (آل عمران، ٣: ١٧٠)

اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتْنَعٌ ﴿٢٦﴾ (الرعد، ١٣: ٢٦)

فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۚ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٧﴾ (المؤمنون، ٢٣: ٥٣)

١٤. السكن:

السكن مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس إلى السكن. يقول الله ﷻ:

وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَن يَخْلُقَ لَكُمْ مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣١﴾ (الروم، ٣٠: ٢١)

١٥. الرجاء:

الرجاء مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس إلى الرجاء. يقول الله ﷻ:

إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأْنَأُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿١٠﴾ (يونس، ١٠: ٧)

وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا تَأْلُمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلُمُونَ كَمَا تَأْلُمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٤﴾ (النساء، ٤: ١٠٤)

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٢١)

وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ ۖ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣١﴾ (النور، ٢٤: ٦٠)

١٦. العمل:

العمل مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس إلى العمل. يقول الله ﷻ:

وَأَسْتَبَقُوا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ (يوسف، ١٢: ٢٥)

قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَاودْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ ۖ فَاسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا أُمِرْتُ لَيْسَجَنَّ وَلْيَكُونَا مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿٢٦﴾ (يوسف، ١٢: ٢٢)

وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَمِلُونَ ﴿١٢١﴾ (هود، ١١: ١٢١)

١٧. الذِّكْر:

الذِّكْر مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس إلى الذِّكْر. يقول الله ﷻ:

قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ

(يوسف، ١٢: ٨٥)

إِنَّ الَّذِينَ أَخَذُوا الْعَجَلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ

نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ (الأعراف، ٧: ١٥٢)

يَتْلَاهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (الأحزاب، ٣٣: ٤١)

فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِمَّنْ

النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن خَلْقٍ (البقرة، ٢: ٢٠٠)

١٨. النجوى:

النجوى مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس إلى النجوى. يقول الله ﷻ:

وَنَدَيْتُهُ مِّن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا (مريم، ١٩: ٥٢)

خَنَّ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن

تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّشْحُورًا (الإسراء، ١٧: ٤٧)

١٩. الابتلاء:

الابتلاء مرحلة من مراحل الحب، ويحصل الابتلاء في حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس. يقول الله ﷻ:

هَذَا لِكِ ابْتَلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا (الأحزاب، ٣٣: ١١)

وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ
وَقَالَ شُرَكَاؤُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِلَّا نَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ (يونس، ١٠: ٢٨)

٢٠. الاطمئنان:

الاطمئنان مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ وحب
الناس للناس إلى الاطمئنان. يقول الله ﷻ:

إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأْنَأُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ
عَنْ آيَاتِنَا غَنِفُلُونَ ﴿٢٩﴾ (يونس، ١٠: ٢٩)

الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ (الرعد، ١٣: ٢٨)

٢١. العلم:

العلم مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ وحب
الناس للناس إلى العلم. يقول الله ﷻ:

فَتَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ
رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١٤﴾ (طه، ٢٠: ١٤)

قَالَ مَا خَطْبُكَ إِذْ رَاودْتَنِي يُوسُفُ عَنْ نَفْسِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ
سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْقَنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاودْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ
الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾ (يوسف، ١٢: ٥١)

٢٢. المعرفة:

المعرفة مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ وحب
الناس للناس إلى المعرفة. يقول الله ﷻ:

الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ
الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ (البقرة، ٢: ١٤٦)

وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِن
الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَكُتِبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٧﴾ (المائدة، ٥: ٨٣)
وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ
كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿٥٨﴾ (يونس، ١٠: ٤٥)

يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴿٥٩﴾ إِنَّ
أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٦٠﴾ (الحجرات، ٤٩: ١٣)
وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٦١﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي
الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ
قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٢﴾ (النمل، ٢٧: ٤٤-٤٣)

٢٣. المشيئة:

المشيئة مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ وحب
الناس للناس إلى المشيئة. يقول الله ﷻ:

نَسْأَلُكُمْ حَزَنٌ لَّكُمْ فَاتُوا حَزَنَكُمْ أَنِّي شَغُومٌ وَقَدِّمُوا لَأَنْفُسِكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا
أَنَّكُمْ مُلْفِقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٣﴾ (البقرة، ٢: ٢٢٣)

تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ هُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ
﴿٦٤﴾ (الشورى، ٤٢: ٢٢)

هُم مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٥﴾ (الزمر، ٣٩: ٣٤)

٢٤. الخوف:

الخوف مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس إلى الخوف. يقول الله ﷻ:

وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٥﴾ (الأعراف، ٧: ٢٥٥)

تَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٦﴾ (النحل، ١٦: ٥٥٠)

وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ (النساء، ٤: ٩)

٢٥. الحزن:

الحزن مرحلة من مراحل الحب، ويحصل الحزن في حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس. يقول الله ﷻ:

قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٣﴾ (يوسف، ١٢: ١٣)

وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَتَّاسَفُ عَلَى يَوْسُفَ وَاتَّيَّضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ (يوسف، ١٢: ٨٤)

تُرْجَى مَنْ تَشَاءُ مِنْهُمْ وَتَتَوَلَّى إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ ۖ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا تَحْزَنَ ۖ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْنَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٥١)

وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴿٩٢﴾ (التوبة، ٩: ٩٢)

٢٦. الألم:

الألم مرحلة من مراحل الحب، ويحصل الألم في حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس. يقول الله ﷻ:

وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ ۚ إِن تَكُونُوا تَأْلُمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلُمُونَ كَمَا تَأْلُمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٤﴾ (النساء، ٤: ١٠٤)

٢٧. البكاء:

البكاء مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس إلى البكاء. يقول الله ﷻ:

أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾ (مريم، ١٩: ٥٨)

وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴿٩٢﴾ (التوبة، ٩: ٩٢)

٢٨. التغير:

التغير مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس إلى التغير. يقول الله ﷻ:

وَأُنَبِّئُكَ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوهَا لَهُ ۖ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ۖ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ (الزمر، ٣٩: ٥٥-٥٥)

ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْخَائِبِينَ ﴿٥٦﴾ وَمَا أَبْرَأُ

نَفْسِيَّ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٢﴾ (يوسف، ١٢: ٥٢-)

(٥٣)

يُحَصِّلُ فِي الْحُبِّ تَغْيِيرَ بَيْنِ يُحِبُّ، فَهَذِهِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ، بَعْدَمَا خَانَتْ زَوْجَهَا، أَبَتْ أَنْ تَخُونُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَكَذَلِكَ فِي حُبِّ النَّاسِ اللَّهُ تَعَالَى يُحَصِّلُ تَسْلِيمَ وَإِنَابَةَ، وَهَذَا يَعْنِي تَغْيِيرًا فِي النَّفْسِ.

٢٩. الْقَبْضُ:

الْقَبْضُ مَرَحَلَةٌ مِنْ مَرَاكِلِ الْحُبِّ، وَيُحَصِّلُ الْقَبْضُ فِي حُبِّ النَّاسِ اللَّهُ تَعَالَى وَحُبِّ النَّاسِ لِلنَّاسِ. يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى:

مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ (البقرة، ٢: ٢٤٥)

٣٠. الْبَسْطُ:

الْبَسْطُ مَرَحَلَةٌ مِنْ مَرَاكِلِ الْحُبِّ، وَيُحَصِّلُ الْبَسْطُ فِي حُبِّ النَّاسِ اللَّهُ تَعَالَى وَحُبِّ النَّاسِ لِلنَّاسِ. يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى:

مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ (البقرة، ٢: ٢٤٥)

٣١. الْحَاجَةُ إِلَى الْخُلُوةِ:

الْحَاجَةُ إِلَى الْخُلُوةِ مَرَحَلَةٌ مِنْ مَرَاكِلِ الْحُبِّ، وَيَحْتَاجُ حُبُّ النَّاسِ اللَّهُ تَعَالَى وَحُبُّ النَّاسِ لِلنَّاسِ إِلَى الْحَاجَةِ إِلَى الْخُلُوةِ. يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى:

قَالَ رَبِّ لَسَجْنٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾ (يوسف، ١٢: ٣٣)

ويلاحظ هنا أن يوسف عليه السلام، من بعد ما رأى "برهان ربه"، لم يقل "السجن أفضل إلي"، ولكن قال "الْـسَّـجَنُ أَحَبُّ إِلَيَّ"، فنستنبط من هذا أن يوسف عليه السلام كان يحب أن يدخل السجن لكي يذكر ربه خالياً ومن غير إزعاج.

٣٢. الصبر:

الصبر مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله جل جلاله وحب الناس للناس إلى الصبر. يقول الله جل جلاله:

وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۗ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ (يوسف، ١٢: ١٨)

قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۗ عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٩﴾ (يوسف، ١٢: ١٩)

رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٢٠﴾ (مريم، ١٩: ٢٠)

وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۚ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا ﴿٢١﴾ (الكهف، ١٨: ٢٨)

٣٣. الأمل:

الأمل مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله جل جلاله وحب الناس للناس إلى الأمل. يقول الله جل جلاله:

قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحْزَنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ (يٰسٓ)

أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْيِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيِسُ مِنْ رَوْحِ

اللَّهُ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾ (يوسف، ١٢: ٨٧-٨٦)

أَمْالُ وَأَبْنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَتُ الصَّالِحَتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ

أَمَلًا ﴿٤٦﴾ (الكهف، ١٨: ٤٦)

ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَلِيْلَهُمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ (الحجر، ١٥: ٣)

٣٤. الغيرة:

الغيرة مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس إلى الغيرة. يقول الله ﷻ:

مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ

النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ (يوسف، ١٢: ٤٠)

إِذْ قَالُوا لِيُوسُفَ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا أَيْبَانَا مِمَّا وَخَنُ عَصَبُهُ إِنْ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٤٢﴾ أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا

صَالِحِينَ ﴿٤٣﴾ (يوسف، ١٢: ٩-٨)

... وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ (الأعراف، ٧: ١٤٣)

وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥١﴾ (الزاريات، ٥١: ٥٦)

قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أَمَرْتُ

أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٤﴾ (الأنعام، ٦: ١٤)

وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا

أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ (الإسراء، ١٧: ٢٣)

قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِينَ ﴿٤٣﴾ (الزخرف، ٤٣: ٨١)

يلاحظ هنا أن إخوة يوسف عليه السلام غاروا من حب أبيهم له. ويلاحظ هنا أن الرسول ﷺ أمر أن يقول: " فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِينَ "، وأن موسى عليه السلام قال: " وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ "، فنستنبط هنا أنه يحصل عند الرُّسل نوع من الغيرة من شدة حبهم لله ﷻ، والله أعلم. وهل يمكن لنا أن نعتبر نهي الله ﷻ عن الشرك به نوعاً من أنواع الغيرة على عباده؟ الله أعلم.

٣٥. اللقاء:

اللقاء مرحلة من مراحل الحب، ويحصل اللقاء في حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس. يقول الله ﷻ:

نَسَاؤُكُمْ حَزَنٌ لَكُمْ فَاَتُوا حَزَنَكُمْ اَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِمُوا لَانَفْسِكُمْ ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلِمُوا أَنَّكُمْ مُلْقَوُهُ ۖ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ (البقرة، ٢: ٢٢٣)

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اعْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ۖ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ۚ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقَوُا آلِهَ كَم مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةُ كَثِيرَةٍ بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ

وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٢٤﴾ (البقرة، ٢: ٢٤٩)

الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقَوُا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٢٢٥﴾ (البقرة، ٢: ٤٦)

كما ذكرناه سابقاً في فصل " الحب الزوجي " .

٣٦. المعية:

المعية مرحلة من مراحل الحب، وتحصل المعية في حب الناس لله ﷻ

وحب الناس للناس. يقول الله ﷻ:

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَرَجٍ أَخْرَجَ شَطْهَهُ فَفَازَهُهُ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سَوْفِهِ ۖ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ (الفتح، ٤٨: ٢٩)

إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنْهَوْا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنُغْنِيَ عَنْكُمْ فِتْنَتَكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ (الأنفال، ٨: ١٩)

٣٧. قرة العين:

أن يكون محبوب قرة العين مرحلة من مراحل الحب، ويحصل في حب الناس لله ﷻ وفي حب الناس للناس. يقول الله ﷻ:

وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ (الطور، ٥٢: ٤٨)

وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ۖ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ (الفرقان، ٢٥: ٧٤)

المطلب الثاني: ويتضمن مراحل حب الناس لله ﷻ

نذكر في هذا المطلب مراحل الحب التي تتعلق بحب الناس لله ﷻ فقط، وهذه المراحل هي:

٣٨. المحبة:

المحبة مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى المحبة.

يقول الله ﷻ:

أَنْ أَقْدِفِيهِ فِي الثَّابُوتِ فَأَقْدِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيَلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ^٤ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلَتُصْنَعَ عَلَيَّ عَيْنِي ﴿٣٩﴾ (طه، ٢٠: ٣٩)

وقد ذكرناها سابقاً كنوع من أنواع الحب في فصل "أنواع الحب".

٣٩. الوُدُّ:

الوُدُّ مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى الوُدِّ.

يقول الله ﷻ:

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٤٠﴾ (مريم، ١٩: ٩٦)

وقد ذكرناه سابقاً كنوع من أنواع الحب في فصل "أنواع الحب".

٤٠. الشفقة:

الشفقة مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى

الشفقة. يقول الله ﷻ:

إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِّنْ حَشِيَّةٍ رَّبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ ﴿٤١﴾ (المؤمنون، ٢٣: ٥٧)

وقد ذكرناها سابقاً كنوع من أنواع الحب في فصل "أنواع الحب".

٤١. الاستئناس، الأنس:

الاستئناس مرحلة من مراحل الحب، ويحصل الاستئناس في حب

الناس لله ﷻ. يقول الله ﷻ:

يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَّظِيرِينَ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَعِينِينَ لِحَدِيثٍ^٥ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذَى النَّبَى فَيَسْتَعِجُ مِنْكُمْ^٦ وَاللَّهُ لَا يَسْتَعِجُ^٧ مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا

سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَلُّوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٥٣)

٤٢. السلام:

السلام مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى السلام. يقول الله ﷻ:

لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٢٦﴾ (الواقعة، ٥٦: ٢٥-٢٦)
وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ (يونس، ١٠: ٢٥)
سَلِّمْ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ ﴿٥٨﴾ (يس، ٣٦: ٥٨)

٤٣. الاكتفاء:

الاكتفاء مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى الاكتفاء. يقول الله ﷻ:

فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنَ بِهِ فَقَدْ أَهْتَدَوْا ۖ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٧﴾ (البقرة، ٢: ١٣٧)
أَمَّنْ هُوَ قَنِيتُ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۖ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَؤُلَئِكَ الْآلَتِيبِ ﴿٩﴾ (الزمر، ٣٩: ٩)

٤٤. الشكر:

الشكر مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى الشكر. يقول الله ﷻ:

الحب في القرآن الكريم

وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ۚ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٤٦﴾ (الأحقاف، ٤٦: ١٥)

وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٤٧﴾ (إبراهيم، ١٤: ٧)

٤٥: التوكل:

التوكل مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى التوكل. يقول الله ﷻ:

وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٤٦﴾ (الطلاق، ٦٥: ٣)

٤٦. "انشرح الصدر":

"انشرح الصدر" مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى "انشرح الصدر". يقول الله ﷻ:

أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ۚ فَوَيْلٌ لِلنَّفْسِئَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٤﴾ (الزمر، ٣٩: ٢٢)

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿٩٤﴾ (الشرح، ٩٤: ١)

٤٧. "لين الجلد":

"لين الجلد" مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى "لين الجلد". يقول الله ﷻ:

اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَبِّهًا مَثَانِي تَقْشَعُرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ
ثُمَّ تَلِينَ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ۚ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَنْ
يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٩﴾ (الزمر، ٣٩: ٢٣)

٤٨. "لين القلب":

"لين القلب" مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى
"لين القلب". يقول الله ﷻ:

اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَبِّهًا مَثَانِي تَقْشَعُرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ
ثُمَّ تَلِينَ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ۚ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَنْ
يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٩﴾ (الزمر، ٣٩: ٢٣)

٤٩. "قشعريرة الجلد":

"قشعريرة الجلد" مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله
ﷻ إلى "قشعريرة الجلد". يقول الله ﷻ:

اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَبِّهًا مَثَانِي تَقْشَعُرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ
ثُمَّ تَلِينَ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ۚ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَنْ
يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٩﴾ (الزمر، ٣٩: ٢٣)

٥٠. "وجل القلب":

"وجل القلب" مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى
"وجل القلب". يقول الله ﷻ:

الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا

وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٨﴾ (الأفال، ٨: ٢)

الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُم وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٢٢﴾ (الحج، ٢٢: ٣٥)

٥١. التبتُّل:

التبتُّل مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى التبتُّل.
يقول الله ﷻ:

وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٧٣﴾ (المزمل، ٧٣: ٨)

٥٢. الإخبات:

الإخبات مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى الإخبات. يقول الله ﷻ:

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۗ فَاَلْهَكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٢٢﴾ (الحج، ٢٢: ٣٤)

٥٣. الإنابة:

الإنابة مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى الإنابة.
يقول الله ﷻ:

وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ۗ قُلْ إِنَّا اللَّهُ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَهُدًى إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ ﴿١٣﴾ (الرعد، ١٣: ٢٧)

وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ (الزمر، ٥٤: ٥٤)

٥٤. التضرّع:

التضرّع مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى التضرّع. يقول الله ﷻ:

أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ (الأعراف، ٥٥: ٥٥)
وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴿٥٦﴾ (الأعراف، ٧: ٢٠٥)

٥٥. التوبة:

التوبة مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى التوبة. يقول الله ﷻ:

وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي إِلَيْكَ ۖ قَالَ لَنُتَرِّنِي وَلَٰكِنِ أَنْظُرْ إِلَىٰ الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ۚ فَلَمَّا تَخَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۖ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ تُبَّتْ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ (الأعراف، ٧: ١٤٣)

٥٦. الاستغفار:

الاستغفار مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى الاستغفار. يقول الله ﷻ:

وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ (هود، ٩٠: ٩٠)
... وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ (الزمر، ٧٣: ٢٠٠)
وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٩٢﴾ (هود، ١١: ٣٠)

فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿٧١﴾ (نوح، ٧١: ١٠)

٥٧. "العَجَل للترضية":

"العَجَل للترضية" مرحلة من مراحل الحب لترضيه المحبوب، ويحصل "العَجَل لترضية" المحبوب في حب الناس لله ﷻ. يقول الله ﷻ:

قَالَ هُمْ أَوْلَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ (طه، ٨٤: ٨٤)
وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ۚ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۚ وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ۚ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٨٥﴾ (الأحقاف، ٤٦: ١٥)

٥٨. الدعاء:

الدعاء مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى الدعاء. يقول الله ﷻ:

الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۚ فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا ۖ فَمَرَّتْ بِهِ ۖ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنُكَونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ (الأعراف، ٧: ١٨٩)
وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ۖ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ (الفرقان، ٢٥: ٧٤)

وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ (البقرة، ٢: ١٨٦)

وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ

٥٩. التذكر:

التذكر مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى التذكر. يقول الله ﷻ:

إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴿٦٠﴾
(الأعراف، ٧: ٢٠١)

٦٠. الاتباع:

الاتباع مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى الاتباع. يقول الله ﷻ:

قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦١﴾ (آل عمران، ٣: ٣١)

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٦٢﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٢١)

٦١. "تمحيص القلب":

"تمحيص القلب" مرحلة من مراحل الحب، ويحصل "تمحيص القلب" في حب الناس لله ﷻ. يقول الله ﷻ:

وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٣﴾ (آل عمران، ٣: ١٤١)
ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَنَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ۗ يُخْشَوْنَ فِي أَنفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ

أَلَا مَرِ شَيْءٌ مَّا قَتَلْنَا هُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ (آل عمران: ١٥٤)

٦٢. الشُّكُّ:

الشُّكُّ مرحلة من مراحل الحب، أي الشُّكُّ في صدق الحب حرصاً على صفائه، ويحصل الشك في حب الناس لله ﷻ. يقول الله ﷻ: **فَإِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾** (يونس: ٩٤)

٦٣. الرِّيبُ:

الرِّيبُ مرحلة من مراحل الحب، أي التخوُّف من عدم التوفيق إلى المطلوب، ويحصل الريب في حب الناس لله ﷻ. يقول الله ﷻ: **وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾** (البقرة: ٢٣)

أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٨﴾ (الفرقان: ٢٥، ٨)

٦٤. الظن:

الظن مرحلة من مراحل الحب، أي الخوف من طرد المحبوب، ويحصل الظن في حب الناس لله ﷻ. يقول الله ﷻ: **قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجْتِكَ إِلَىٰ نَعَاجِهِ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ**

عَلَى بَعْضِ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّهٗ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ (ص، ٣٨: ٢٤)

إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴿١٠﴾ (الأحزاب، ٣٣: ١٠)

٦٥. النظر:

النظر مرحلة من مراحل الحب، أي النظر بالقلب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى النظر. يقول الله ﷻ:

فَانْظُرْ إِلَىٰ ءَاثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِ الْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ (الروم، ٣٠: ٥٠)

٦٦. التفكر:

التفكر مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى التفكر. يقول الله ﷻ:

أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ ۚ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكٰفِرُونَ ﴿٨﴾ (الروم، ٣٠: ٨)

الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَطِلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢١﴾ (آل عمران، ٣: ١٩١)

٦٧. التدبر:

التدبر مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى التدبر. يقول الله ﷻ:

أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ (المؤمنون، ٢٣: ٦٨)

كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿٦٩﴾ (ص، ٣٨: ٢٩)

٦٨. "استعمال العقل":

"استعمال العقل" مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله

ﷻ إلى "استعمال العقل". يقول الله ﷻ:

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٩﴾ (البقرة، ٢: ١٦٤)

٦٩. التبصُّر:

التبصُّر مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى

البصيرة. يقول الله ﷻ:

قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ

بَحْفَظٍ ﴿٧٠﴾ (الأنعام، ٦: ١٠٤)

٧٠. اليقين (علم اليقين، عين اليقين، حق اليقين):

اليقين مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى اليقين.

يقول الله ﷻ:

كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٧١﴾ (التكاثر، ١٠٢: ٥)

ثُمَّ لَتَرَوْهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧٢﴾ (التكاثر، ١٠٢: ٧)

إِنَّ هَذَا هُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ (الواقعة، ٥٦: ٩٥)

٧١. الطمع:

الطمع مرحلة من مراحل الحب، وهو الأمل في حصول المطلوب،
ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى الطمع. يقول الله ﷻ:

وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ

مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ (الأعراف، ٧: ٥٦)

٧٢. الحاجة إلى الناس، الحاجة إلى الجلوة:

الحاجة إلى الناس مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج الناس أناساً آخرين
يخالطونهم في حبهم لله ﷻ. يقول الله ﷻ:

وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿٩٣﴾ (الضحى، ٩٣: ١١)

٧٣. التأوُّه:

التأوُّه مرحلة من مراحل الحب، ويحصل التأوُّه في حب الناس لله ﷻ.
يقول الله ﷻ:

وَمَا كُنَّا أَسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ

لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ (التوبة، ٩: ١١٤)

إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴿٧٥﴾ (هود، ١١: ٧٥)

٧٤. الأوب:

الأوب مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى
الأوب. يقول الله ﷻ:

هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ (ق ٥٠، ٣٢)

رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنَّ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِ غَفُورًا ﴿٣٣﴾

(الإسراء، ١٧: ٢٥)

٧٥. القنوت:

القنوت مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى القنوت. يقول الله ﷻ:

أَمَّنْ هُوَ قَنِيتُ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٠٩﴾ (الزمر، ٣٩: ٩)

٧٦. القهر:

القهر مرحلة من مراحل الحب، وهو الشعور بالهيمنة المطلقة للمحبوب، ويحصل القهر في حب الناس لله ﷻ. يقول الله ﷻ:

يَنْصَبِحِي السَّجَنُ ءَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٠٩﴾ (يوسف، ١٢: ٣٩)

٧٧. الإسلام:

الإسلام مرحلة من مراحل الحب، وهو الاستسلام المطلق لإرادة المحبوب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى الإسلام. يقول الله ﷻ:

قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّنْ قَوَارِيرَ ۖ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٠﴾

(النمل، ٢٧: ٤٤)

فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَمْشَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ۖ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ صَخِيفًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعُدُ فِي السَّمَاءِ ۚ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ

لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ (الأَنْعَامُ: ٦٠، ١٢٥)

أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ۖ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ ۖ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٢٦﴾ (الزُّمَرُ: ٣٩، ٢٢)

٧٨. الإيمان:

الإيمان مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى الإيمان. يقول الله ﷻ:

قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامِنًا ۖ قُلْ لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٠﴾ (الحجرات، ١٤:)

وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿١٤١﴾ (الحجرات، ٤٩: ٧)

٧٩. الإحسان:

الإحسان مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى الإحسان. يقول الله ﷻ:

وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٩﴾ (الْمُكْوِنَاتُ، ٢٩: ٦٩)

إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ (النحل، ١٦: ١٢٨)

وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ (الأعراف، ٧: ٥٦)

٨٠. الإخلاص:

الإخلاص مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى الإخلاص. يقول الله ﷻ:

إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ

(الزمر، ٣٩: ٢٠-٣)

المطلب الثالث: ويتضمن مراحل حب الناس للناس

نذكر في هذا المطلب مراحل الحب التي تتعلق بحب الناس للناس فقط، وهذه المراحل هي:

٨١. "وجود الجمال":

"وجود الجمال" مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس للناس إلى "وجود الجمال" الحسي والمعنوي. يقول الله ﷻ:

وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ حَيْرٌ وَبَاقٍ ﴿١٣١﴾ (طه، ٢٠: ١٣١)

فَإِذَا سَمِعْتَ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلْتَ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكِنًا ۖ وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا ۖ وَقَالَتِ آخُزْجِ عَلَيْنَا ۖ فَإِنَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْتُهُ ۖ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا ۖ إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿١٢﴾ (يوسف، ١٢: ٣١)

٨٢. التعارف:

التعارف مرحلة من مراحل الحب، ويحصل التعارف في حب الناس

للناس، يقول الله ﷻ:

يَتَأْتِيَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ

أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَنُّكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ (الحجرات، ٤٩: ١٣)

وَيَوْمَ تَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَبِرَ الَّذِينَ

كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ (يونس، ١٠: ٤٥)

٨٣. المِثْل:

المِثْل مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس للناس إلى المِثْل.

يقول الله ﷻ:

وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا

﴿٢٧﴾ (النساء، ٤: ٢٧)

وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۚ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُواهَا

كَالْمَعْلَقَةِ ۚ وَإِن تَصْلَحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾ (النساء، ٤: ١٢٩)

وقد ذكرناه سابقاً كنوع من أنواع الحب في فصل "أنواع الحب".

٨٤. المودَّة:

المودَّة مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس للناس إلى المودَّة.

يقول الله ﷻ:

وَمِنْ آيَاتِهِ أَن خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً

وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ (الروم، ٣٠: ٣٠)

وقد ذكرناها سابقاً كنوع من أنواع الحب في فصل "أنواع الحب".

٨٥. الرأفة:

الرأفة مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس للناس إلى الرأفة.
يقول الله ﷻ:

لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ
بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ (التوبة: ٩، ١٢٨)

وقد ذكرناها سابقاً كنوع من أنواع الحب في فصل "أنواع الحب".

٨٦. الشهوة:

الشهوة مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس للناس إلى
الشهوة أي الرغبة في القرب الحسي والمعنوي. يقول الله ﷻ:

زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ
وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۚ ذَٰلِكَ مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۗ وَاللَّهُ
عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَقَاصِ ﴿١٤﴾ (آل عمران: ٣، ١٤)

وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا
﴿٢٧﴾ (النساء: ٤، ٢٧)

وقد ذكرناها سابقاً كنوع من أنواع الحب في فصل "أنواع الحب".

٨٧. الهوى:

الهوى مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس للناس إلى الهوى.
يقول الله ﷻ:

أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿١٣﴾ (الفرقان: ٢٥، ٤٣)

وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٥٣﴾ (النجم: ٥٣، ٣)

وقد ذكرناه سابقاً كنوع من أنواع الحب في فصل "أنواع الحب".

٨٨. الهم:

الهم مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس للناس إلى الهم أي توجه القلب. يقول الله ﷻ:

وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ^ط وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ^ع كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ (يوسف، ٢٤)

وقد ذكرناه سابقاً كنوع من أنواع الحب في فصل "أنواع الحب".

٨٩. المتعة:

المتعة مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس للناس إلى المتعة. يقول الله ﷻ:

وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ^ط كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ^ع وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ^ع فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ^ع إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ (النساء، ٢٤)

زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْأَفْضَةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ^ط ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْبُ الْمَقَابِ ﴿١٤﴾ (آل عمران، ١٤)

٩٠. الاستمتاع:

الاستمتاع مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس للناس إلى الاستمتاع. يقول الله ﷻ:

وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ^ط كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ^ع وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ^ع فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ

فَقَاتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيْمَا تَرَضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ (النساء، ٤: ٢٤)

٩١. الكرم:

الكرم مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس للناس إلى الكرم.
يقول الله ﷻ:

وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا إِمَّا يَبْتَغَِنَّ عَنْكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا
أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍّ وَلَا تَنْهَرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ (الإسراء، ١٧: ٢٣)

٩٢. الرحمة:

الرحمة مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس للناس إلى الرحمة.
يقول الله ﷻ:

وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً
وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْتَمِرُونَ ﴿٣١﴾ (الروم، ٣٠: ٣١)
وَأَكْثَبَ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا إِلَيْكَ قَالِ عَذَابِي أَصِيبُ
بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ
وَالَّذِينَ هُمْ بِءَايَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٢﴾ (الأعراف، ٧: ١٥٦)

الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ
لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ
وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ (غافر، ٤٠: ٧)

٩٣. اللطف:

اللطف مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس للناس إلى

اللُّطْف. يقول الله ﷻ:

اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ (الشورى، ٤٢: ١٩)

٩٤. المغفرة، الغفران:

المغفرة مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس للناس إلى المغفرة. يقول الله ﷻ:

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَدِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦٤﴾ (التغابن، ٦٤: ١٤)

٩٥. العفو:

العفو مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس للناس إلى العفو. يقول الله ﷻ:

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَدِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦٤﴾ (التغابن، ٦٤: ١٤)

٩٦. الصَّفَح:

الصَّفَح مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس للناس إلى الصَّفَح. يقول الله ﷻ:

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَدِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦٤﴾ (التغابن، ٦٤: ١٤)

٩٧. المعروف:

المعروف مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس للناس إلى المعروف. يقول الله ﷻ:

أَسْكِنُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِّنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تَضَارُّوهُمْ لِنُبَيْتِهِمْ عَلَيْهِمْ وَإِنْ كُنْ^٦
أُولْتِ حَمَلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِمْ حَتَّى يَرْضَعُوا حَمْلَهُمْ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُمْ أَجُورَهُمْ^٧
وَأْتَمِرُوا بِبَيْتِكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمْ فَسَرُّضُ لَهُ أَعْرَىٰ ﴿٦﴾ (الطلاق، ٦٥: ٦)

٩٨. المراودة:

المراودة مرحلة من مراحل الحب، وتحصل المراودة في حب الناس للناس. يقول الله ﷻ:

قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي^٨ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبْلِ^٩
فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَذَّابِينَ ﴿١١﴾ (يوسف، ١٢: ٢٦)
وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتْنَهَا عَنْ نَفْسِهِ^{١٠} قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا^{١١}
لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ (يوسف، ١٢: ٣٠)

٢٤٩ مسألة: لم تعتبر المراودة مرحلة من مراحل الحب؟

قال ابن منظور: "وراد جاريته عن نفسها، وراودته هي عن نفسه إذا حاول كل واحد من صاحبه الوطء والجماع، ومنه قوله تعالى: ... تَرَاوِدُ فَتْنَهَا عَنْ نَفْسِهِ ... فجعل الفعل لها، وراودته على كذا مراودة ورواداً أي: أرذته". (ابن منظور، لسان العرب، ٣/ ١٨٧).
وقال الفيروزآبادي: "المراجعة والمراودة"، وقال في موضع آخر: "وراودته عن الأمر وعليه: داريته"، كما قال في موضع آخر أيضاً: "والمراوغة: المراودة". وقال أيضاً في مادة فرغل: "وقولهم في المثل: أغزل من فرغل هو من الغزل والمراودة". وقال أيضاً: "والمراودة: المراجعة والمراودة". وقال الرازي: "وراوده على كذا مراودة ... أي أرادته". (الرازي، مختار الصحاح، ص ١١٠).

فنستخلص من أقوال العلماء أعلاه أن المراودة لها عدة معان، منها: الدعوة إلى الوطء والجماع، ومنها: المراجعة، فتكون المراجعة والمحاولة في الحب ليصل المحبوب إلى الاقتناع بحب محبه، ومن معانيها أيضاً: الغزل، والغزل شعار الحب. فتكون المراودة هنا هي تكرار المحاولات لوصول المحب إلى قلب محبوبه. فهي إحدى مراحل الحب والوصول للمحبوب.

٩٩. الاستحياء:

الاستحياء مرحلة من مراحل الحب، ويحصل الاستحياء في حب الناس للناس. يقول الله ﷻ:

فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٨٠﴾ (القصص: ٢٨٠)

١٠٠. عدم الإحساس بالحال:

عدم الإحساس بالحال مرحلة من مراحل الحب، ويحصل عدم الإحساس بالحال في حب الناس. يقول الله ﷻ:

فَأَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَأَمَّا رَأَيْتهُنَّ أَكْبَرْتَهُنَّ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا

فالمرادة جزء من الحب كما أن الغيرة جزء من الحب وعلامة على وجوده، فالغيرة مثلاً تقتضي أن الحب يُحب محبوبه، والمرادة لها جانب جنسي كما تقدم في التعريفات السابقة وهي تحصل بين الزوجين، فتكون مراودة مباحة أو مشروعة، وإذا حصلت بين غير الزوجين فإنها تكون مذمومة ومحرمة في الشرع. وهنا نقول بما أنه قد جاء في اللغة أن من معاني المرادة "المراجعة" وإرادة الوصول لحب المحبوب ورضاه فإن العبد أيضاً حريص على مراجعة ربه ﷻ بالثبات على أداء الفرائض والإكثار من النوافل مرة بعد مرة ليصل إلى مقام محبة الله ﷻ له، وفي ذلك جاء الحديث القدسي:

«من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته». (رواه البخاري، رقم ٦٥٠٢، كتاب الرقاق، باب التواضع).



فقد جمعنا في هذه المطالب الثلاثة جميع مراحل الحب التي استطعنا أن نستنبطها من القرآن الكريم، ورتبناها ضمن ثلاثة مطالب، (المطلب الأول يتضمن مراحل حب الناس لله ﷺ وحب الناس للناس؛ والمطلب الثاني يتضمن مراحل حب الناس لله ﷺ؛ والمطلب الثالث يتضمن مراحل حب الناس للناس) فبلغ مجموعها مائة مرحلة تتضمن جميعها الحب البشري. فالحب البشري مكوّن من هذه المراحل جميعاً، لأن الحب البشري هو ما يحصل في الإنسان أثناء الحب وليس ما يحصل في محبوب الإنسان أثناء الحب، فالحب البشري الكامل مكوّن من جميع هذه المراحل. ولا نقطع بأن هذه هي جميع مراحل الحب الموجودة في القرآن الكريم، وأنه لا يستنبط منه غيرها، ولكن هذه المراحل التي ذكرناها تشكل - إن شاء الله ﷻ - معظم مراحل الحب الرئيسة بقدر ما أفاض الله ﷻ علينا به، وتعطينا صورة واضحة لعملية مسار الحب واستنباط سر ما يجري في وقوع الحب أيضاً، كما سنرى إن شاء الله في الفصل الذي يليه عن "الوقوع في الحب".



مسألة: ما الفرق بين حب البشر لله ﷻ وحب البشر للبشر؟

الجواب: إن هناك بعض الفروق بين هذين الحبين، منها: أن حب البشر لله ﷻ أشد، ... **وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ** ... (البقرة، ٢: ١٦٥)، ومنها أيضاً: أن أعلى ملكتين وهبهما الله ﷻ للإنسان وهما اللب والفؤاد لا دور لهما في حب البشر للبشر: فقد ذكرنا في فصل "الوقوع في الحب" أن اللب لا عيب فيه ولا عَمَى ولا ريب ولا يحتاج إلى تثبيت، ويكون دائماً تقيّاً ذاكراً بصيراً، كما

قال ﷺ: **وَلْيَتَذَكَّرْ أُولُوا الْأَلْبَابِ** ﴿٢٨﴾ (ص، ٣٨: ٢٩)، فلا يصل حب الإنسان للإنسان إلى اللب، لأن حب الإنسان للإنسان يتضمن التغيير والاختلاف. وأما بالنسبة للفؤاد، فهو يحتاج إلى تثبيت، ويهوى الخير عند المؤمنين ويصغي عند الكافرين، وهو يرى، قال ﷺ: **مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى** ﴿٥٣﴾ (النجم، ٥٣: ١١)، فلا يصل حب الإنسان للإنسان إلى الفؤاد لأن حب الإنسان للإنسان لا يتضمن رؤية الفؤاد من خلال نور الله ﷻ كما هو الحال في الحب لله ﷻ. أما بالنسبة للقلب وما دون ذلك من ملكات الصدر والنفس فهي تشترك في الحب لله ﷻ والحب للبشر، والله أعلم.

أما بالنسبة للحب الجنسي (وهو حب يتعلق بجسم الإنسان) فلا علاقة له بحب الإنسان لله ﷻ، إلا أن محي الله ﷻ الصادقين الذين بلغوا الدرجات العلى في الحب تتفاعل عند ذكر الله ﷻ جميع ذرات وأجزاء البدن لديهم بالإضافة إلى القلب والعقل والجوارح فيكون لها دور في حب الله ﷻ، ونرى هذا في قوله ﷻ:

قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ **لَا شَرِيكَ لَهُ** ^ط **وَبِذَلِكَ**

أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ (الأنعام، ١٦٣-١٦٢).

والله ﷻ أعلم.



٢٣. الباب الرابع؛ الفصل الثالث: الوقوع في الحب

المطلب الأول: مكونات الإنسان وملكوته

قبل أن نعرف ما هو الوقوع في الحب، يجب علينا أن نعرف من هو الإنسان الذي يقع في الحب.

الإنسان مخلوق من ثلاثة عناصر رئيسة: الجسم، والنفس، والروح.

(١) الجسم:

ذكر الله ﷻ أجسام الناس في القرآن الكريم. يقول الله ﷻ:

وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ

عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ (البقرة، ٢: ٢٤٧)

وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّكُمْ خُشْبٌ مُّسْنَدَةٌ تَحْسَبُونَ كُلَّ صِحْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَتَلْتَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٢٤٨﴾ (المائدة، ٢٤: ٢٤٨)

(٤:

وللجسم حواس مثل السمع والبصر. يقول الله ﷻ:

يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَرَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٠﴾ (البقرة، ٢: ٢٥٠)

وأشار الله ﷻ إلى حواس الجسم الأخرى وهي التذوق، والشم، واللمس. فأشار ﷻ إلى التذوق في الآيتين التاليتين:

وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْأَكْلِينَ ﴿٢٠﴾ (المؤمنون، ٢٣: ٢٠)
وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَوِّرَةٌ وَجَنَّتْ مِنْ أَعْنَبٍ وَزَرْعٌ وَخَيْلٌ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ
يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفْضِلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنْ فِي ذَلِكَ لَا يَنْتِ لِقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ (الرعد، ١٣: ٤)

وذكر الله ﷻ اللمس في الآية التالية:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا
إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ
الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ
وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ (النساء، ٤: ٤٣)

وأشار الله ﷻ إلى الشم في الآية التالية:

وَالْحُبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّحْمَانُ ﴿٥٥﴾ (الرحمن، ٥٥: ١٢)
"وَالرَّحْمَانُ" هو "الورق المشعوم" ٢٥٠.

(ب) النفس:

ذكر الله ﷻ ثلاثة "أنواع" أو "أجزاء" من النفس، وهي: "النفس
الأمارة بالسوء"، "النفس اللوامة"، "النفس المطمئنة". يقول الله ﷻ:

وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنْ النَّفْسُ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٣﴾
(يوسف، ١٢: ٥٣)
وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿٢٠﴾ (القيامة، ٧٥: ٢٠)

وذكر الله ﷻ ملكات نفس الإنسان. كما ذكر الله ﷻ عقل الإنسان.
يقول الله ﷻ:

أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ تَحَرَّفُونَهُ مِنْ
بَعْدِ مَا عَقِلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ (البقرة، ٢: ٧٥)

أَتَأْتُمِرُونَ النَّاسَ بِالْبَرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ (البقرة، ٢: ٤٤)

وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦٧﴾ (المالك، ٦٧: ١٠)

وذكر الله ﷻ قدرة الإنسان على التعلم:

اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿١﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٢﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٣﴾ (العلق، ٩٦: ٣-٥)

وذكر الله ﷻ قدرة الإنسان على الكلام:

قَالَ يَتْلَأُمْنَاهُ أَنْفُهُمْ وَأُصْوَاهُمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبِ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣١﴾ (البقرة، ٢: ٣١)

الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾ (الرحمن، ٥٥: ١-٤)

وذكر الله ﷻ إرادة الإنسان (مع أن الإرادة تعتبر نوعاً من أنواع الحب،
كما رأينا في فصل "أنواع الحب"):

وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٧﴾ (الإسراء، ١٧: ١٩)

وذكر الله ﷻ عاطفة الإنسان: وهذا ما رأيناه في آخر فصلين ("أنواع

٢٥١ وذكر الإمام الغزالي - وربما هذا أفضل ما كُتب في هذا الموضوع - معاني النفس والقلب والعقل والروح في كتابه "كتاب شرح عجائب القلب" وهو الجزء الحادي والعشرون من كتابه العظيم "إحياء علوم الدين"، ولكننا أحببنا أن نتكلم على الحب من القرآن الكريم.

الحب" و "مراحل الحب") بالذات لأن الحب عاطفة عند الإنسان بالإضافة إلى "مِيل، من بعد الإعجاب، إلى الحُسْن" . يقول الله ﷻ:

يٰۤاَيُّهَا الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا مَنْ يَّرْتَدَّ مِنْكُمْ عَن دِيْنِهٖۙ فَسَوْفَ يٰۤاتِيّۡ اِلٰهٌۭ يَّقُوْمُ خِيٰبَهُمْ وَيُخَيِّبُوْنَهُۥٓ اٰذِلَّةً ۚ عَلٰى اَلْمُؤْمِنِيْنَ اَعْرَۡةٌ عَلٰى الْكَافِرِيْنَ تَجْهَدُوْنَ فِيْ سَبِيْلِ اللّٰهِ وَلَا تَخَافُوْنَ لَوْمَةَ لّٰٓئِمٍۭ ذٰلِكَ فَضَلَّ اللّٰهُ يُوْثِيْهِ مَنۢ يَّشَآءُ ۗ وَاللّٰهُ وَاسِعٌ عَلِيْمٌ ﴿٥٤﴾ (المائدة، ٥٤)

وذكر الله ﷻ ذاكرة الإنسان:

وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ اُمَّةٍ اَنَا اُنْتِظَمْتُ بِتَاوِيلِهِۦ فَاَرْسَلُوْنِ ﴿٤٥﴾ (يوسف، ٤٥)

وذكر الله ﷻ خيال الإنسان:

قَالَ بَلْ اَلْقَوْاؕ اِذَا جِبَاهُهُمْ وَعِصِيُهُمْ تُخَيَّلُ اِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهَاۙ اَنّٰهَا تَسْعٰى ﴿٦٦﴾ (طه، ٦٦)

وذكر الله ﷻ إحساس الإنسان:

يَبْنِيْ اَذْهَبُوْا فَتَحَسَّسُوْا مِنْ يُوسُفَ وَاَخِيْهِ وَلَا تَاْيَسُوْا مِنْ رُّوْحِ اللّٰهِ اِنَّهٗ لَا يَآيَسُ مِنْ رُّوْحِ اللّٰهِ اِلَّا اَلْقَوْمُ الْكَافِرُوْنَ ﴿٤٧﴾ (يوسف، ١٢، ٤٧).

وذكر الله ﷻ شعور الإنسان:

اِنْ حِسَابُهُمْ اِلَّا عَلٰى رَبِّىۡ لَوْ تَشْعُرُوْنَ ﴿١١٣﴾ (الشعراء، ٢٦، ١١٣).

وذكر الله ﷻ إيناس الإنسان:

فَلَمَّا قَضٰى مُوسٰى اَلْاَجَلَ وَسَارَ بِاَهْلِهٖۙ اَنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّوْرِ نَارًا قَالَ لِاَهْلِهٖۙ اَمْكُثُوْا اِنِّىۡ اَنْشَرْتُ نَارًا لَّعَلِّىۡ اٰتِيْكُمْ مِّنْهَا بِخَبَرٍ اَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُوْنَ ﴿٢٨﴾ (القصص، ٢٨، ٢٩).

اِذْ قَالَ مُوسٰى لِاَهْلِهٖۙ اِنِّىۡ اَنْشَرْتُ نَارًا سَاَتِيْكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ اَوْ اٰتِيْكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُوْنَ ﴿٧﴾ (النمل، ٢٧، ٧).

وذكر الله ﷻ بصيرة الإنسان:

قَدْ جَآءَكُمْ بِصَآئِرٍ مِّن رَّبِّكُمْؕ فَمَنْ اَبْصَرَ فَلِنَفْسِهٖۙ وَمَنْ عَمٰى فَعَلَيْهَاؕ وَمَا اَنَا۠ عَلَيْكُمْ

يَحْفِظُ ﴿١٤﴾ (الأنعام، ٦٦: ١٠٤)

وَإِذْ أَسْرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ

الْخَبِيرُ ﴿١٥﴾ (النجم، ٦٦: ٣)

قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحْزَنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ يَبْنَىٰ أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْيِسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيِسُ مِنْ رُوحِ

اللَّهُ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ ﴿١٧﴾ (يوسف، ١٢: ٨٦-٨٧) ٢٥٢

(ج) الروح:

ذكر الله ﷻ أنه نفخ في الإنسان من روحه:

ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ ﴿١٨﴾ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ ﴿١٩﴾ قَلِيلًا مَّا

تَشْكُرُونَ ﴿٢٠﴾ (السجدة، ٣٢: ٩)

وبالنسبة للروح، لا يمكن للإنسان أن يعلم الكثير عنها لأن الله ﷻ

قال:

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ﴿٢١﴾ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٢﴾

(الإسراء، ١٧: ٨٥)



و ذكر الله ﷻ حقائق أخرى للإنسان، وهي: الصدر، والقلب،

٢٥٢ وذكر الإمام الغزالي - في كتابه الفلسفي "مقاصد الفلاسفة"، الفن الثالث "في الطبيعيات" - الحواس الباطنية للإنسان وهي: الحس المشترك، والقوة المُصَوِّرة، والقوة المتخيلة، والقوة الوهمية، والقوة الذاكرة، [ص ٣٥٦]؛ كما ذكر قوتين للنفس وهما: القوة العاملة، والقوة العاملة، [ص ٣٥٩]، ولكننا أحببنا أن نتكلم على الحب من القرآن الكريم.

والفؤاد، واللب (وكانها تأتي بين النفس والروح).

أما بالنسبة للصدر فهو مركز الكفر، والوسواس، ولكنه أيضاً مركز
للانسراح. يقول الله ﷻ:

مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ وَلَكِنْ مَنْ
شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٦﴾ (النحل، ١١٦: ١٠٦)
مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿١١٧﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿١١٨﴾ مِنَ الْجِنَّةِ
وَالنَّاسِ ﴿١١٩﴾ (الناس، ١١٤: ٤-٦)

فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ۖ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ
ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ ۚ كَذَلِكَ تَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا
يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ (الأنعام، ٦: ١٢٥)

أما بالنسبة للقلب فهو يعمى، ويكون فيه ريب، وغلّ، ولكنه أيضاً
يكون فيه إيمان، واطمئنان، وسكينة. يقول الله ﷻ:

أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّا لَا
تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿١٦٠﴾ (الحج، ٢٢: ٤٦)
إِنَّمَا يَسْتَفْزِدُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَآزَنَاتٍ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي
رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿١٦١﴾ (التوبة، ٩: ٤٥)

وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا
بِالْإِيْمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٢﴾ (الحشر، ٥٩: ١٠٠)
قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيْمَانُ فِي
قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٣﴾
(الحجرات، ٤٩: ١٤)

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيْمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ ۖ وَلِلَّهِ جُنُودُ

الْأَسْمَانِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤٨﴾ (الفتح، ٤٨: ٤)

أما بالنسبة للنفوس، فقد يكون فارغاً، ويحتاج إلى تثبيت، ويهوى الخير في الدنيا عند المؤمنين، ويصغي عند الكافرين (ويهوى الشر عند الكافرين في الآخرة)، ولكنه يرى. يقول الله ﷻ:

وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أَمْرٍ مُوسَىٰ فَرِحًا ۖ إِنَّ كَادَتْ لِتُتْبِدَ بِهِ لَوْلَا أَن رَّيَّطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لَتُكُوتَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٨٠﴾ (القصص، ٢٨٠: ١٠)

وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ۖ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٠﴾ (هود، ١٠٠: ١٢٠)

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ۖ كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴿٢٥﴾ (الفرقان، ٢٥: ٣٢)

رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿١٤٠﴾ (إبراهيم، ١٤٠: ٣٧)

وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرِضُوهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ ﴿١٣٣﴾ (الأنعام، ١٣٣: ١١٣)

مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدُهُمْ هَوَاءٌ ﴿١٣٣﴾ (إبراهيم، ١٤٠: ٤٣)

مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿٥٣﴾ (النجم، ٥٣: ١١)

وأخيراً، بالنسبة لللب، فلا عيب فيه، ولا عَمَى، ولا ريب، ولا يحتاج إلى تثبيت، ويكون دائماً تقياً ذاكراً وبصيراً:

قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَأُولَىٰ الْأَلْبَبُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٥٠﴾ (المائدة، ٥٠: ١٠٠)

الْحَجَّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ ۖ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ۚ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ۚ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴿١٩٧﴾ (البقرة: ٢، ١٩٧)

يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۚ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢١٣﴾ (البقرة: ٢، ٢٦٩)

هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ ۖ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢١٤﴾ (ابراهيم: ١٤، ٥٢٠)

كِتَابُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ ۖ وَلِيَذَّكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢١٥﴾ (ص: ٣٨، ٢٩)

من الواضح أنَّ القلب أرقى وأطهر من الصدر، وأن الفؤاد أرقى وأطهر من القلب، وأن اللب أرقى وأطهر من الفؤاد. كما هو واضح أيضاً أن القلب والصدر والفؤاد واللب ليست حقائق جسمانية فحسب، ولكنها حقائق لطيفة تتسلل بين النفس والروح: فالصدر كأنه يشترك مع النفس في شُحِّها. يقول الله ﷻ:

وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ۚ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ ۚ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ (النساء: ٤، ١٢٨)

وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُخَيِّبُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ (الحشر: ٩، ٩٠)

فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ ۚ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩١﴾ (التغابن: ٦٤، ٩١)

وكذلك كان اللب يشترك مع الروح في سِرِّه وعلمه. يقول الله ﷻ:

رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ

الْتِّلَاقِ ﴿٤٠﴾ (غافر، ٤٠: ١٥)

يَنْبِئُ أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْيِسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيِسُ مِنَ

رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْفُقُومُ الْكَافِرُونَ ﴿٤١﴾ (يوسف، ١٢: ٨٧)

والله أعلم ٢٥٣.

المطلب الثاني: الوقوع في الحب

بعدما رأينا وسمينا مكونات وملكات الإنسان، نستطيع الآن - إن شاء الله ﷻ - أن نفهم سير الوقوع في الحب وماذا يحصل في جميع مراحل الحب التي ذكرناها سابقاً في فصل "مراحل الحب" وتنبثق من إحدى مكونات أو ملكات الإنسان على الشكل التالي:

١. الجسم: المتعة، الاستمتاع، الألم، "قشعريرة الجلد"، "لين الجلد"، التأوه، عدم الإحساس بالحال.
٢. النفس: الفراغ، الفقر، الابتلاء، الحزن، الألم، البكاء، التغيير، القبض، البسط، الحاجة إلى الخلوة، المعية، الحاجة إلى الناس، التأوه، القهر.
٣. النفس الأمارة بالسوء: المراودة.
٤. النفس اللوامة: الكرم، الرحمة، اللطف، المغفرة، العفو، الصّفح، المعروف، الاستحياء، التبتّل، الإخبات، الإنابة، التضرّع، التوبة، الاستغفار، الأوبة، القنوط.

٢٥٣ وذكر الحكيم الترمذي - وربما هذا أفضل ما كُتب في هذا الموضوع - معاني الصدر والقلب والفؤاد واللب في كتابه "بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب"، ولكننا أحيينا أن نأتي بالمادة من القرآن الكريم.

٥. النفس المطمئنة: السكون، السلام، الاكتفاء، الشُّكر، التوكل.
٦. العقل: العلم، المعرفة، الشُّك، الرِّيب، الظَّن، النَّظر، التفكُّر، التدبُّر، "استعمال العقل"، "التعارف".
٧. قدرة الإنسان على التعلم: الاتِّباع.
٨. قدرة الإنسان على الكلام: النجوى.
٩. إرادة الإنسان: العمل، المشيئة، الخوف، الصبر، الأمل، الغيرة، "العجل للترضية"، الدعاء.
١٠. عاطفة الإنسان: الإعجاب، الميل، الحُب، المحبَّة، الوُد، المودَّة، الرِّضا، الشفقة، الرأفة، التقرُّب، الإرادة، الابتغاء، الرِّغب، الولاية، الشهوة، الهوى، الهم، الفرح، الرِّجاء، قرة العين، الطمع.
١١. الذاكرة: الذِّكر، التذكُّر.
١٢. الخيال: التزئِن.
١٣. الإحساس: "وجود الجمال".
١٤. الشعور: الألم، العلم.
١٥. الإيناس: الاستئناس، اليقين (علم اليقين).
١٦. البصيرة: البصيرة، اليقين (عين اليقين، حق اليقين).
١٧. الصدر: "لين الجلد"، الإسلام.
١٨. القلب: الاطمئنان، "لين القلب"، "وجل القلب"، "تمحيص القلب"، الإيمان.
١٩. الفؤاد: الإحسان، الفراغ.
٢٠. اللُّب: الإخلاص.
٢١. الروح: اللِّقاء.

ومن هنا يتضح تماماً ما هو الوقوع في الحب: الوقوع في الحب هو

"مِيل جميع مكونات أو مَلَكات الإنسان إلى الحُسْن، من بعد الإعجاب به"، أي الوقوع في الحب هو ميل كل ما في الإنسان إلى المحبوب. وهذا قد يأتي تدريجياً أو فجأة بناءً على الحالة لدى محب، أو محبوبين مختلفين، ولكن في جميع الأحوال يأتي بالطريقة نفسها والعملية نفسها لأن مكونات ومَلَكات الإنسان لا تختلف بعينها من شخص إلى آخر. والله ﷻ يقول:

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۖ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِن ۚ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ (الروم، ٣٠: ٣٠)

فكل ما في الحب الإنساني من مراحل واختلاف ومتعة وألم^{٢٥٤} وخوف وطمع وشعور وتفكير، ما هو إلا مَلَكات النفس في عملية ميلها وارتباطها بمحبوب معين. فالحب يتطلب كل ما في الإنسان، فكل ما في الحب من ملكات وغيرها تشارك في الميل نحو حبيبه، وهذا هو السر العظيم في الوقوع في الحب، والله أعلم.



مسألة: ما الفرق بين الحب البشري لله وحب الأشياء والجمادات لله

٢٥٤ هذه المراحل تكون أحياناً مؤلمة وأحياناً بلذة، بالتوالي أو معاً، حسب (كما سنرى لاحقاً إن شاء الله في فصل "طبيعة الحب") حالات القبض والبسط وتأثيرهما على ملكات الإنسان المختلفة. يقول الله ﷻ:

مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ ۚ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةٌ ۚ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ ۚ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ (البقرة، ٢: ٢٤٥)

ولكن بعد القبض سيكون إن شاء الله للمؤمن دائماً بسط وتيسير. يقول الله ﷻ:

.... وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿٦٥﴾ (الطلاق، ٦٥: ٤)

.... سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٦٥﴾ (الطلاق، ٦٥: ٧)

فَإِنْ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦٦﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٦٦﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴿٦٦﴾ (الشرح، ٩٤: ٥-٨)

الجواب: إن الحب البشري لله ﷻ يتميز بما وهب الله ﷻ للإنسان من ملكات (كالنفس والروح والعقل والقلب والخيال والإرادة ... إلى آخره كما وصفنا سابقاً) بينما حب الأشياء والجمادات لله ﷻ هو حب فطري طبيعي ولا يتطلب الملكات الخاصة بالإنسان. فإنه يوجد في الحب البشري مراحل وأنواع للحب، وهذه الأنواع والمراحل تعود أصلاً كل واحدة منها إلى إحدى الملكات الخاصة بالإنسان أو أكثر، ولكن لا توجد هذه المراحل والأنواع من الحب في حب الجمادات الطبيعي الفطري لله ﷻ، فهذا هو الفرق بينهما، وهذا هو تفسير الحب البشري في ضوء الحب الكوني الشامل.



٢٤. الباب الرابع؛ الفصل الرابع:

نمو الحب

كيف ينمو الحب؟ ونقصد بهذا كيف يشتد الحب، وكيف يتحول الحب إلى درجة أعمق وأشد؟ يقول الله ﷻ:

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ

الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ (البقرة: ٢، ١٦٥)

فهذه الآية تثبت أن للحب درجات مع أن تعريف الحب - هو " ميل من بعد الإعجاب بالحسن " - ينطبق على جميع درجات شدة الحب وأنواعه. فكيف تشتد قوة الحب أحياناً، ولم يشتد الحب في بعض الأحيان، ويفتر ويموت أحياناً أخرى؟

قد رأينا في الفصل السابق ("الوقوع في الحب")، أن الوقوع في الحب هو: " ميل جميع مكونات أو مَلَكَات الإنسان إلى الحُسن من بعد الإعجاب به ". فيترتب على هذا أن الحب ينمو من خلال ميل مكونات ومَلَكَات الإنسان واحدة تلو الأخرى إلى المحبوب. وبالفعل نرى في القرآن الكريم أن الملكات تُغذّي بعضها بعضاً وتقوّي بعضها بعضاً إذا اجتمعت على هدف واحد. فعلى سبيل المثال ممارسة الإرادة والعقل تستطيعان أن تُنميا قدرة العاطفة على الحب، كما أن ممارسة العاطفة والعقل تستطيعان أن تُقويا قوة الإرادة، كما أن ممارسة العاطفة والإرادة تستطيعان أن تُعمقا قدرة العقل على الفهم. وهذا شيء يعرفه كل معلّم وكل رب أسرة: فالطفل الذي يحب شيئاً أو مادة يفهمها بسهولة أكثر من الطفل الذي لا يحبها، وكذلك الطفل الذي يُريد أن يفهم شيئاً يفهمه بسهولة أكثر من الطفل الذي لا يريد هذا

الشيء، وهلم جرا. والله ﷻ بيّن نماذج عدة لهذا المبدء في القرآن الكريم، وعلى سبيل المثال ما يلي:

الإيمان يؤدي إلى هداية القلب، والسمع والطاعة، والعلو:

مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ ۚ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠٠﴾
(التغابن، ٦٤: ١١)

ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ۚ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا تَفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾
(البقرة، ٢: ٢٨٥)

وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ (آل عمران، ٣: ١٣٩)

والإيمان + الكفر بالطاغوت يؤديان إلى الاستمسك بالعروة الوثقى:

لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۚ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا ۚ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾
(البقرة، ٢: ٢٥٦)

والإيمان + العمل الصالح يؤديان إلى الهدى، وتكفير السيئات:

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ ۖ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٩٠﴾ (يونس، ١٠: ٩٠)

يَوْمَ نَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ ۚ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ ۖ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ (التغابن، ٦٤: ٩٠)

والإيمان + التقوى يؤديان إلى الفرقان وتكفير السيئات، وإلى كفلين من رحمة الله ﷻ:

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَقُولُوا اللَّهُ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٨٠﴾ (الأفصال، ٨: ٢٩)

الحب في القرآن الكريم

يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اَتَقُوا اللَّهَ وَءَامَنُوا بِرُسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٨﴾ (الحديد، ٥٧: ٢٨)

والإيمان + العلم يؤديان إلى رفع الدرجات:

يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ ^ط وَإِذَا قِيلَ ائْشَرُوا فَانْشَرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ (المجادلة، ٥٨: ١١)

والتقوى تؤدي إلى العلم، وإلى المخرج والرزق:

وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ (البقرة، ٢: ٢٨٢)

فَإِذَا بَلَغَ اَجَلُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ يُوْضِعُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿١﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴿٢﴾ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ (الطلاق، ٦٥: ٣-٢)

والتقوى + السمع والطاعة + الإنفاق يؤديان إلى وقاية شُح النفس:

فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لَأَنْفُسِكُمْ ^ط وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَالِحُونَ ﴿٩﴾ (التغابن، ٦٤: ٩)

والتقوى + الإعطاء + التصديق بالحسنى يؤدي إلى اليسرى:

فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى ﴿٧﴾ (الليل، ٩٢: ٥-٧)

والتقوى + الإحسان يؤديان إلى المعية:

إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿٢٨﴾ (الحل، ١٦: ١٢٨)

والإحسان يؤدي إلى العلم والحكم:

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ^ط وَكَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ (يوسف، ١٢: ٢٢)

والهدى يؤدي إلى زيادة الهدى:

وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴿٣٧﴾ (صمد، ٤٧: ١٧)

وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٨﴾ (البقرة، ٢: ٢٨٢)

والتقوى تؤدي إلى العلم والعلم يؤدي إلى خشية الله ﷻ:

وَمِنَ النَّاسِ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا تَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ

الْعَلَمَتُوا إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٣٩﴾ (فاطر، ٣٥: ٢٨)

والاستقامة + ذكر الله ﷻ يؤديان إلى تنزيل الملائكة بالبيشارات وعدم

الخوف والحزن:

إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا

وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٤٠﴾ خُنْ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ

وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٤١﴾ ثُلَاثًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٤٢﴾

(فصلت، ٤١-٣٠-٣٢)

والجهاد في الله ﷻ يؤدي إلى الهدى:

وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦١﴾ (المنكوت، ٢٩: ٦٩)

ومن ناحية عكسية، مرض القلب + الرجس يؤديان إلى زيادة الرجس:

وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ

كَافِرُونَ ﴿١٦﴾ (التوبة، ٩: ١٢٥)

أما بالنسبة إلى الحب خاصة، فالله ﷻ وعد الوعد التالي:

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٦٢﴾ (مريم، ١٩: ٩٦)

فالإيمان + العمل الصالح يؤديان إلى ود كـ "جعل إلهي". وربما في

نفس السياق، ألقى الله ﷻ "محبة منه" على موسى عليه السلام، بشكل خاص:

أَنْ أَقْدِرَ فِيهِ فِي الثَّابُوتِ فَأَقْدِرَ فِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيَلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ

لَهُ ۥ وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٢٠﴾ (طه، ٢٠: ٣٩)

ومن ناحية أخرى، الحب لله + اتباع السنة يؤديان إلى حب الله ﷻ للعبد (لأن هذين العنصرين يعينان أن النفس تكون كلها بكاملها جميلة لأنها تتبع الرسول الذي هو على "خُلُقٍ عَظِيمٍ" (القم، ٦٨: ٤)). يقول الله ﷻ:

قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

﴿٣١﴾ (آل عمران، ٣: ٣١)

فها هي عاطفة الحب تزداد من خلال مِيل المَلَكَات الأخرى إلى المحبوب، والحب لله ﷻ بالإضافة إلى اتباع السنة يُكَافَأ من الله ﷻ بحب منه للعبد، والله أعلم.



إذا كان الحب يزداد من خلال مِيل جميع مكونات ومَلَكات الإنسان إلى المحبوب، فكيف يُنمي الإنسان حباً معيناً وكيف يُعطِل حباً معيناً؟ ربما يُريد الإنسان أن لا يحب شيئاً لا خير أو لا أمل فيه. وعلى العكس، ربما يُريد الإنسان أن يحب شيئاً فيه خير كثير ولكن لا يميل إليه بشكل طبيعي. يقول الله ﷻ:

... وَعَاشِرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ۖ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُمْ فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَتَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا

كَثِيرًا ﴿٤٠﴾ (النساء، ٤: ١٩)

قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَأُولَىٰ الْأَلْبَبُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٥٠﴾ (المائدة، ٥: ١٠٠)

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ

أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥١﴾ (البقرة، ٥: ٢١٦)

أما بالنسبة للحصول على زيادة حُب ما ينفع الإنسان، فقد رأينا أنها تأتي بشكل طبيعي بالإيمان والعمل الصالح بشكل عام:

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ (مریم، ٩٦)

وأما بالنسبة للحصول على تخفيف حب ما لا ينفع الإنسان، فعلى الإنسان أن يُراقب نفسه. يقول الله ﷻ:

بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿٩٧﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ﴿٩٨﴾ (القيامة، ٧٥: ١٤-١٥)

وعلى الإنسان أن ينظر فيما تخوض فيه نفسه. يقول الله ﷻ:

كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾ (التوبة، ٩٩)

فَوَيْلٌ لِّلْمُكْذِبِينَ ﴿١٠٠﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٠١﴾ (الطور، ٥٢: ١٢-١٣)

فإذا كانت نفسه ومكوناته وملكاته تخوض وتتعلق بمحسوب وليس من مصلحته الحقيقة أن يحبه، فليقطع هذا الخوض واللعب وليشغل نفسه بذكر الله ﷻ:

... قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿١٠٢﴾ (الأنعام، ٦٩)

إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿١٠٣﴾ (الأعراف، ٧: ٢٠١)

أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿١٠٤﴾ (الحديد، ٥٧: ١٦)

وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ۖ قُلْ إِنَّمَا يَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ
وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ
تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ (الرعد، ٢٧: ٢٨-٢٨)

وليحذر من إصرار الشيطان على تلهيته بصوته واستفرازه. يقول الله ﷻ:

وَأَسْتَفْزِرُ مِنْ أَسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبَ عَلَيْهِمْ نَجْوَاكَ وَرَجَلَاكَ وَشَارِكُهُمْ فِي
الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدَهُمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ
عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٣٠﴾ (الإسراء، ١٧: ٦٤-٦٥)

لَعَنَهُ اللَّهُ ۖ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴿٣١﴾ وَلَا ضَلَالَتُهُمْ وَلَا مُدْبِرَتُهُمْ
وَلَا مُرْتَهَنٌ فَلْيَبْتَئِذْ إِذَا ابْتِغَايَا لَكَ الْبَغْيَ فَلْيَغْثَبْ خَلْقَ اللَّهِ ۚ وَمَنْ يَتَّخِذِ
الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا ﴿٣٢﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا
يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٣٣﴾ (النساء، ٤: ١١٨-١٢٠)

فإن كان شرُّ الوسواس الخناس "الَّذِي يُوسِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٣٤﴾"
" (الناس، ١١٤: ٥) يكاد أن يتغلب عليه فليكثر من ذكر الله ﷻ. لأنه لا يوجد مفرٌ
من هذا الوسواس إلا بذكر الله ﷻ. يقول الله ﷻ:

وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُفِضَ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٥﴾ (الزخرف، ٤٣: ٣٦)
وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴿٣٦﴾ (طه، ٢٠: ١٢٤)

يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ
فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ
فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ ۚ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٨﴾ (المنافقون، ٦٣: ٩-١٠)

أَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ
وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ (العنكبوت، ٢٩: ٤٥)

فالإنسان بين أمرين: شيطان قرين أو ذكر الرحمن الرحيم، وبالتالي بين
مصيرين: ذكر الله ﷻ أو معيشة ضنكا. فلهذا فليكثر من ذكر الله أمام كثرة
وسوسة الخناس. يقول الله ﷻ:

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤٦﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٧﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٤١-٤٢)

إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَآذُكِرَ رَبُّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا
رَشَدًا ﴿٤٨﴾ (الكهف، ١٨: ٢٤)

أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِأَيَّتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴿٤٩﴾ (طه، ٢٠: ٤٢)

فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ

فَأَقِمْوَا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴿٥٠﴾ (النساء، ٤: ١٠٣)

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٥١﴾

الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٥٢﴾ (آل عمران، ٣: ١٩٠-١٩١)

وَآذُكِرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥٣﴾ (الإنسان، ٧٦: ٢٥)

وَآذُكِرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٥٤﴾ (الزمل، ٧٣: ٨)

٢٥٥

٢٥٥ انظر أيضاً إلى: البقرة، ٢: ٢٠٠؛ الأعراف، ٧: ٥٥-٥٦ و ١٨٠ و ٢٠٥؛ الأنفال، ٨،
٤٥: النور، ٢٤: ٣٧؛ الشعراء، ٢٦: ٢٢٧؛ الجمعة، ٦٢: ٩-١٠؛ الأعلى، ٨٧: ١٤-١٥.

وفي الختام فليحذر كل من يُحب الهوى والحب الضَّالَّ، ولينه نفسه عن الهوى، وليذكر الله ﷻ لأنه مِن دون ذكر الله ﷻ^{٢٥٦}، سيجعل الهوى أمره فُرطاً. يقول الله ﷻ:

وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤١﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤٢﴾

(النازعات، ٧٩: ٤٠-٤١)

وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ^ط وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا^ط وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنِ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٤٣﴾ (الكهف، ١٨: ٢٨)

٢٥٦ انظر أيضاً إلى: البقرة، ٢: ١١٤؛ النساء، ٤: ١٤٢؛ الأعراف، ٧: ١٧٩-١٨٠؛ الكهف، ١٨: ٢٨ و ١٠٠-١٠١؛ طه، ٢٠: ٩٩-١٠١ و ١٢٤-١٢٧؛ الفرقان، ٢٥: ١٨؛ الزمر، ٣٩: ٢٢-٢٣؛ النجم، ٢٩: ٣٠؛ المجادلة، ٥٨: ١٩؛ الجن، ٧٢: ١٧؛ الماعون، ١٠٧: ٤-

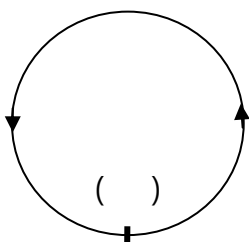
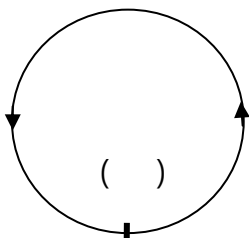
٢٥. الباب الرابع؛ الفصل الخامس:

دائرتا الحب

قد رأينا في الفصل السابق ("نحو الحب") أن الحب ينمو من خلال ميل وممارسة جميع مكونات وملكات الإنسان نحو المحبوب. وقد رأينا أيضاً أنه من ناحية عكسية أن مرض القلب والرجس يؤديان إلى زيادة الرجس. فما الذي يحصل بعد هذا النمو من الحب أو هذه الزيادة من الرجس؟ يقول الله ﷻ:

اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ (البقرة، ٢ : ٢٥٧)

يُلاحظ أنَّ حال الذين آمنوا في أول أمرهم في هذه الآية هو الظلمات (يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ) بالنسبة إلى ما سيكونون عليه (إِلَى النُّورِ)، بينما حال الذين كفروا في أول أمرهم في هذه الآية هو النور (يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ) بالنسبة إلى ما سيكونون عليه (إِلَى الظُّلُمَاتِ)، وهذا بالرغم من أن "اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا"، و أن "الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ"، على الشكل التالي:



ما معنى هذا؟ الجواب في الآية نفسها: الله عَزَّ وَجَلَّ يُخرج الذين آمنوا من الظلمات إلى النور، فهذا يعني أنهم سيصبحون في النور بالنسبة للظلمات التي كانوا فيها. فهنا يبدأ صعود المؤمنين مما يُعتبر ظلمات بالنسبة إلى النور الذي سيصعدون إليه، ولكن هذا لا يعني أن ظلمات المؤمنين أشد ظلمة من نور الذين كفروا. وكذلك بالنسبة للذين كفروا: يبدوون فيما يُعتبر نوراً بالنسبة إلى الظلمات التي سيهبطون إليها، ولكن لا يعني هذا أن نور الذين كفروا

ربما نرى نفس هذا الوضع أيضاً في قول الله ﷻ:

قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأًى الْأَعْيُنِ ۗ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٥٦﴾ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَلِكَ مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۗ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿٥٧﴾ * قُلْ أُوْنِتِيكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا ءَمْنَا فَأَغْفِرْ

٢٥٧ وهنا نضرب مثلاً آخر يبين من خلاله أن أول مقامات المؤمن بالنسبة لآخر المقامات التي يصل إليها من الإيمان والمعرفة كنسبة النور إلى الظلمات، وهو: أن سيدنا رسول الله ﷺ خاطبه رب العزة ﷻ بقوله: **وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ** ﴿٧٠﴾ (الفصحى: ٩٣: ٧). وأنا نعلم أن رسول الله ﷺ لم يكن ضالاً بمعنى الانحراف والغى وعمل أعمال شيرار الخلق: فقد تواتر عنه ﷺ في كتب السيرة أنه كان معروفاً في الجاهلية بـ"الصادق الأمين" لما فيه من الصفات الحميدة والأخلاق الفاضلة؛ وقد غسّلت الملائكة صدره الشريف وقلبه منذ طفولته كما جاء في كتب التفسير في معنى قوله ﷻ: **أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ** ﴿٩٤: ١﴾؛ وقد جاء في الصحاح أيضاً أنه ﷺ كان يختلي في غار حراء الليالي ذوات العدد يتفكر ويتحنّث، وكان مبتعداً عما كان يفعله أهل الجاهلية من الآثام واللهو؛ فالله ﷻ شهد على كل ذلك في بداية البعثة بقوله ﷻ: **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴿٦٨: ٤﴾، ثم بقوله ﷻ في سيدنا رسول الله ﷺ: **مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ** ﴿٥٣: ٢﴾. فهذا معناه أن الرسول ﷺ لم يكن ضالاً بمعنى الانحراف الذي ذكرناه سابقاً، وإنما معنى الضلال هنا هو أنه كان لم يصل بعد لدرجة النبوة ولا لدرجة خاتم الرسل التي كانت تنتظره فيما بعد. فكان مقامه أولاً بالنسبة إلى ما صار إليه من دوام الارتقاء وعلو المنزلة كنسبة الضلال إلى الهدى والظلمات إلى النور.

لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ (آل عمران: ٣: ١٦-١٧)

ففي هذه الآيات أيضاً: فئتان متمثلتان في دائرتين، دائرة حب الله ﷻ والجنة والأزواج المطهرة والرضوان، ودائرة حب الدنيا المتمثلة بحب الشهوات وتقديمها على طاعة الله ﷻ. وهاتان الدائرتان تمثلان الفئتين اللتين اقتتلتا حيث إن إحداهما مؤمنة تقاتل في سبيل الله والأخرى كافرة.

ومما تقدم يتبين أن كلاً من الذين آمنوا والذين كفروا في ازدياد دائم لما هم فيه. فالمؤمنون في حالة ترقٍ دائم وصعود في الدرجات العُلى من مقام إلى مقام، والكافرون بعكس ذلك لأنهم في نزول وهبوط دائم في الدرجات السفلى. والمقصود هنا بـ "المؤمنين" هم المؤمنون الصادقون الذين لم يخطوا إيمانهم وطاعاتهم بالمعاصي والكبائر^{٢٥٨}. وكذلك المقصود بـ "الكافرين" هنا الذين لم يعملوا أعمالاً صالحة. أما إذا وجدت فئة خلطت بين الإيمان والنفاق أو بين الإيمان والطاعات وبعض المعاصي فحاله مختلف، وهؤلاء هم الذين قال الله ﷻ عنهم:

وَأَخْرُوجُهُمْ غُفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧﴾ (التوبة: ٩: ١٠٢)

ووضع هؤلاء غير واضح تماماً، وـ "عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ". أما بالنسبة للذين آمنوا والذين كفروا حقاً، فوضعهم في زيادة واستمرار فيما هم عليه كما ذكرنا. وبالنسبة للمؤمنين نرى هذا أيضاً في جزائهم على حسناتهم الذي أقله عشرة أضعاف حسناتهم:

٢٥٨ يقول الله ﷻ:

إِنْ تَحْتَسِبُوا كَيْدَ بَارِئٍ مَا تَنْهَوْنَ عَنْهُ نَكْفُرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ﴿١٨﴾ (النساء: ٤: ٣١)

وَالَّذِينَ يَحْتَسِبُونَ كَيْدَ الْإِنَّمِ وَالْفَوْحِشِ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفُرُونَ ﴿١٩﴾ (الشورى: ٤٢: ٣٧)

مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مِثَالِهَا ۖ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا تُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلُهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ (الأنعام: ٦٦)

أو قد يكون جزاؤهم سبعمائة ضعف حسنتهم:

مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْتَبَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ ۗ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٧﴾ (البقرة: ٢٦١)

أو قد يكون جزاؤهم من غير حساب على الإطلاق:

زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا ۗ وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٦٨﴾ (البقرة: ٢١٢)

تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَتُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٦٩﴾ (آل عمران: ٣٠، ٣٧)

فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَمْرِئُؤُمَّ لَكَ هَذَا قَالَتُ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٧٠﴾ (آل عمران: ٣٠، ٣٧)

لِيَجْزِيََهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٧١﴾ (النور: ٣٨)

قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۖ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٧٢﴾ (الزمر: ٣٩، ١٠)

مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا تُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلُهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنْشَأَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يَرْزُقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٧٣﴾ (غافر: ٤٠، ٤١)

بطبيعة الحال، حُب المؤمن لله ﷻ وحب الله ﷻ للمؤمن، هما أفضل رزق. وبما أن هذا الصعود، الذي هو مستمر بالمزيد من الحب ودائرة مغلقة

أمام الكافرين، يمكن لنا أن نسميها "الدائرة الأعلى للحب". في هذه الدائرة كما رأينا الحب يُكَافَأُ بمزيد من الحب والمزيد من الحب يُكَافَأُ بمزيد آخر وهلم جراً إلى "بغير حساب". ويقول الله ﷻ:

هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴿٥٥﴾ (الرحمن، ٥٥: ٦٠)

لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠﴾ (يونس، ١٠: ٢٦)

وأما بالنسبة للذين كفروا، فالله ﷻ أطلق عليهم لفظ "دائرة السوء":
وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظِلٌّ
السَّوْءِ عَلَيْهِمْ ذَاكِرَةُ السَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ
مَصِيرًا ﴿٤٨﴾ (الفتح، ٤٨: ٦٠)

فالمهبوط المستمر الذي تغذيه عملية الهبوط نفسها هي أيضاً ما نراه في حالة الزاني: فالزنا - ولو كان فيه نوع من أنواع الحب (كما رأينا سابقاً في فصل "الحب والزنا") - يُغذي الحب "الأسفل" الذي بدأ به، وهذا واضح من كلام الله ﷻ:

وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿١٧﴾ (الإسراء، ١٧: ٣٣)

"وَسَاءَ سَبِيلًا": السبيل يسوء لأن الزنا يزيد شدة حب الزاني في الزنا، وهذا بالتالي يُخرب أي سبيل نحو الله ﷻ وحبّه ويُحيط ويغلق على الزاني في "دائرة السوء". وربما من هنا تأتي خطورة مجرد النظر إلى جمال المرأة خارج الزواج المشروع. يقول الله ﷻ:

وَقُلْ لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَحِفْظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۚ وَلْيَضْرِبْنَ خُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۚ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانَهُنَّ أَوْ

إِخْوَانِهِمْ أَوْ بَنَىٰ أَخَوَاتِهِمْ أَوْ نِسَاءَهُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولَى الْأَرْثَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الْطِفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضُرُّنَّ بِأَرْحُلِهِمْ لِيُعْلَمَ مَا تَخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِمْ ۖ وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ (النور، ٢٤: ٣١)

يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلُوبًا لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَنِيْبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِنَنَّ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٥٩)

فهناك دائرتان مغلفتان للحب واحدة منهما علنيا وهي: دائرة الحب المشروع حب الله ﷻ، والأخرى: سُفلى وهي دائرة الحب غير المشروع. ومع أن كلا الدائرتين في غم مستمر، فهل دائرة السوء تؤدي إلى نفس شديدة دائرة حُب الخير نفسها؟ كلا، لأن المحبوب في دائرة حب الخير هو الله ﷻ، وحب الله ﷻ يبقى مختلفاً عن حب السوء ولو أشتد حب السوء. يقول الله ﷻ:

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۗ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ (البقرة، ٢: ١٦٥)

وعسى الله ﷻ أن يزيد المؤمن محبة منه فتصبح أقوى من أي حب سيء، مهما كان. يقول الله ﷻ:

أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَهُ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ حَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٢٠٠﴾ (طه، ٢٠٠: ٣٩)



مسألة: هل الحب لمصلحة الذي يُحِب أم الذي يُحَب؟

رأينا أعلاه أن الحب "الأعلى" يؤدي بطبيعة الحال إلى مزيد من الحب الأعلى، بينما الحب "الأسفل" يؤدي إلى مزيد من الحب الأسفل. فهذا يعني أن الحب يفيد أو يضر الذي يُحِب حسب نيته: فالحب "الأعلى" يزيد إيمان وحب المؤمن - وهذا لمصلحته بالتأكيد؛ بينما الحب "الأسفل" يزيد كفر وشهوة الظالم - وهذا ضد مصلحته بالتأكيد.

وهذا عكس ما يظنه الناس عموماً: فإن كثيراً من الناس يعتقدون أن الحب يفيد المحبوب أكثر مما يفيد أو يضر الذي يحب، كأن الحب هدية تأتي من الذي يحب إلى المحبوب لكي يستفيد منها المحبوب. وواقع الأمر أنه قد لا يعلم أو يشعر المحبوب بحب شخص يحبه ولو استفاد من ذلك الحب - فعلى سبيل المثال إن حَبَّ شخصٌ شجرة هل تعلم هذه الشجرة بحبه ولو أنها استفادت من حمايته وسقايته لها؟ وقد لا يريد المحبوب حب من يحبه (وقد يكون مضرّاً له) مثل ما وقع لسيدنا يوسف عليه السلام الذي فضّل السجن على حب امرأة العزيز فقال:

قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ

وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴿١٢﴾ (يوسف، ١٢: ٣٣) .

فخلاصة الأمر هو أن الحب دائماً يفيد أو يضر المحب حسب طبيعة هذا الحب، وبالنسبة للمحبوب قد يفيد أو قد يضر وقد لا يفيد ولا يضر ولا يؤثر، والله أعلم.

٢٦. الباب الرابع؛ الفصل السادس:

مثلث الحب

قد ذكرنا سابقاً (في فصل "مراحل الحب") أن التزوين مرحلة من مراحل الحب، وأن حُب الناس لله ﷻ وحُب الناس للناس يحتاج إلى تزوين مسبق في نظر أو نفس أو قلب الذي يُحِبُّ. وذكرنا الآيات التالية وأشرنا إلى آيات أخرى:

زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمَسْوَمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۚ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَقَابِلِ ﴿٥٨﴾ (آل عمران، ١٤)

بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَّنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا ۖ وَزَيَّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَّتُمْ ظَنًّا سَوْءًا وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿٣٩﴾ (الفتح، ٤٨)

قَالَ رَبِّ إِنَّمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٦٠﴾ (الحجرات، ١٥)

وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٥٩﴾ (الحجرات، ٤٩)

زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا ۚ وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٥٩﴾ (البقرة، ٢٥٩)

٢٥٩ وانظر إلى: الأنعام، ٦؛ الأنعام، ٤٣؛ الأنعام، ٦؛ الأنعام، ١٣٧؛ الأنعام، ٨؛ النحل، ١٦؛ النحل، ٦٣؛ النمل، ٢٧؛ النمل، ٢٤؛ العنكبوت، ٢٩؛ الأنعام، ٦؛ الأنعام، ١٠٨؛ النمل، ٢٧؛ الأنعام، ٤؛ فصلت، ٤١؛ الأنعام، ٦؛ التوبة، ٩؛ التوبة، ٣٧؛ يونس، ١٠؛ الرعد، ١٣؛ فاطر، ٣٥؛ غافر، ٤٠؛ محمد، ٤٧؛ محمد، ١٤؛ يونس، ١٠؛ يونس، ٢٤.

السؤال الذي يُسأل هنا هو لِمَ يحتاج الحب إلى تزئين مسبق؟ يقول الله

ﷻ:

وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ
قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ (الأعراف، ٧)

(١٧٢:

فهذه الآية^{٢٦٠} تُثَبِّتُ أنه كان عندنا علم فطري بوجود الله عند خلق سيدنا آدم ﷺ وقبل حياتنا الدنيا، وبالتالي فهذه الآية تعني أنه يوجد في نفس أو في روح الإنسان هذا العلم. ولكن لا يوجد عند الإنسان علم بمدرجات الأشياء الأخرى عند ولادته. يقول الله ﷻ:

وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ
وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ (النحل، ١٦٠: ٧٨)

لكن هنالك استثناء^{٢٦١} - والله أعلم - لهذه الآية كعيسى ﷺ الذي

٢٦٠ وقد شرح ابن كثير هذه الآية كالتالي: " يُخبر تعالى أنه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم، شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم وملिकهم، وأنه لا إله إلا هو ". (ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص ٧٩٧). وقد جاء في تفسير هذه الآية الكريمة: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ:

«أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنوعمان يعني عرفة فأخرج من صلبه كل ذرية ذراها فترهم بين يديه كالذر ثم كلمهم قبلاً، قال: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾...» (رواه أحمد في مسنده، رقم ٢٧٢/١).

٢٦١ لقد ورد في الحديث الشريف المروي في الصحيحين أن هناك استثناء لثلاثة من البشر تكلموا في المهد وهم: سيدنا عيسى ﷺ، والطفل الذي تكلم في براءة جريج الراهب، وطفل رضيع في بني إسرائيل. عن أبي هريرة ؓ قال رسول الله ﷺ:

«لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة، عيسى، وكان في بني إسرائيل رجل يقال له جريج وكانت امرأة ترضع ابناً لها من بني إسرائيل فقال: اللهم اجعلني مثلها». (رواه البخاري،

كَلَّمَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ. يَقُولُ اللَّهُ ﷻ:

إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ
الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ
وَالْإِنْجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي ۖ وَتُبْرِئُ
الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ
عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦٢﴾

٢٦٢
(المائدة: ١١٠)

أما بالنسبة للإنسان بعامة (باستثناء من أكرمهم الله ﷻ كسيدنا عيسى
عليه السلام) فإنه كان لا يعلم شيئاً عند ولادته، ولكن كما ذكرنا (في فصل " الوقوع
في الحب ") أن كل إنسان طبعي يمتلك ملكة القدرة على التعلم. وبما أنه لا
يعلم شيئاً، لا يعلم أيضاً ما هي مراتب الجمال، وماذا يجب عليه أن يحب.
وبالتالي يحتاج الإنسان للترزين لكي يحب. وبالنسبة للإيمان، فالله ﷻ يُزَيِّن
الجمال في قلب المؤمن. يقول الله ﷻ:

وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ
إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ

الرَّشِدُونَ ﴿٤٩﴾ (الحجرات، ٤٩)

وأما بالنسبة للحياة الدنيا، فالشيطان يُزَيِّن لأتباعه جماها:

قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٥﴾ (الحجر، ١٥)

رقم ٣٤٣٦، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله واذكر في الكتاب مريم، ومسلم، رقم
٢٥٥٠، في كتاب البر والصلة، باب تقديم بر الوالدين على التطوع بالصلاة وغيرها.

٢٦٢ انظر إلى: آل عمران، ٣؛ ٤٦؛ مريم، ١٩؛ ٢٩.

وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاءَهُمْ لِيُذْهِبُوا عَنْهُمْ دِيْنَهُمْ ۖ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتُرُونَ ﴿٣٧﴾
(الأنعام، ٦: ١٣٧)

وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآتِ الْفِتْنَانَ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ ۗ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٨﴾
(الأنفال، ٨: ٤٨)

تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٢﴾
(النحل، ١٦: ٦٣)

وَجَدْتُهُا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾
(الزلزال، ٢٧: ٢٤)

وَعَادًا وَتَمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِّن مَّسْكِنِهِمْ ۖ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٢٦﴾
(العنكبوت، ٢٩: ٣٨)

وَقَيْصًا هُمُ قُرْنَاءُ فزَيْنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿٤١﴾
(فصلت، ٤١: ٢٥)

ويبدو - والله أعلم - أنه حتى تزئين الأشياء من قبل الشيطان هو في طبيعة الإنسان نفسه، لأن تزئين أعمال الكافرين السيئة أيضاً من الله، أو من ذات الإنسان:

إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيْنَا لَهُمْ أَعْمَلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٢٧﴾
(الزلزال، ٢٧: ٤)

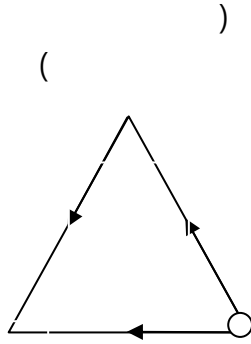
أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوْءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٥﴾
(فاطر، ٣٥: ٨)

أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوْءُ عَمَلِهِ ۚ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿٤٧﴾
(عهد، ٤٧: ١٤)

فعلى أية حال، ومهما كان مصدر الحب فهو يحتاج إلى تزئين مسبق،

كما رأينا مراراً.

وبما أن الإنسان يحب من خلال التزئ، يمكن لنا أن نقول أن الإنسان (في بداية الحب على الأقل)، لا يُحب محبوبه بشكل مباشر بقدر ما يُحب التزئ. فتصبح عملية الحب مثلثاً على الشكل التالي:



()

فترى في هذا المثلث أن الإنسان في بداية الحب يُحب صورة مزئنة (في عقله أو في نفسه أو في قلبه) عن المحبوب بنفس القدر الذي يُحب "المحبوب" حقيقةً، فبالتالي يُحب محبوبه من خلال صورته الخاصة عن هذا المحبوب بغض النظر عما إذا كانت هذه الصورة تمثل حقيقة المحبوب أم لا: وهذا هو معنى الأسهم في الصورة أعلاه. وهذا الأمر هو الذي يُفسّر كيف يمكن للإنسان أن يحب شيئاً من دون أن يعرفه حق المعرفة: فإنه يحب الصورة التي عنده في عقله أكثر أو بنفس القدر الذي يحب المحبوب، وقد لا يعرف المحبوب حقاً ولكن يظن أنه يعرفه لأن لديه حباً لصورته عنده.

على سبيل المثال لو تصورنا أن قيساً هو الإنسان (في أسفل يمين

المثلث) وليلى هي محبوه (في أسفل يسار المثلث) وصورة ليلي في عقل قيس التي في سنام هذا المثلث، فالمثلث يُبين لنا أن قيساً يحب صورة ليلي عنده بنفس القدر الذي يُحب حقيقة ليلي فيه، وهذه الصورة لليلي عنده هي التي تثير الحب عنده، لأنه لا يعرف حقيقة ليلي. وعند اكتشافه حقيقة ليلي مع الخبرة فيها ربما ينصرف عن حبها لأنها ليست كالصورة المزيّنة في عقله. فكم من حب انتهى عند اكتشاف حقيقة المحب!

هذا المثلث صحيح بشكل عام في بداية الحب، فالمحجوب مُبعد بدرجة عن الذي يُحبه. في بعض الأحيان - وعلى سبيل المثال في حالة الشهوات - يكون المحجوب مُبعداً بأكثر من درجة. يقول الله ﷻ:

زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ
وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثُ ۗ ذَٰلِكَ مَتَعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَاللَّهُ
عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَقَابِ ﴿١٢﴾

في هذه الآية نرى أن بين الناس و"النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرَ الْمُقَنْطَرَةَ مِنْ الذَّهَبِ وَالْفِصَّةَ وَالْخَيْلَ الْمُسَوَّمَةَ وَالْأَنْعَامَ وَالْحَرْثَ" على الأقل درجتين: الأولى: هي التزئُن والثانية: هي الحب، والثالثة: هي الشهوة، أو قد يكون التزئُن أول درجة ثم حب الشهوة ثاني درجة. أي، بمعنى آخر، أن الناس يُحبون الشهوة نفسها أو حتى يُحبون أن يُحبوا الشهوة من خلال التزئُن قبل أن يُحبوا "النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرَ الْمُقَنْطَرَةَ مِنْ الذَّهَبِ وَالْفِصَّةَ وَالْخَيْلَ الْمُسَوَّمَةَ وَالْأَنْعَامَ وَالْحَرْثَ". الفائدة من هذا الموضوع هي أولاً: أنه يَبَيِّن لنا أن هذا النوع من الحب ليس له أية علاقة بالحقيقة ذاتها، وثانياً: أنه بالإمكان لنا أن نقطع هذا الحب برفض تزئِنيه، كما ذكرنا سابقاً (في فصل "الوقوع في الحب") وحسب قول الله ﷻ:

وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤١﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤٢﴾

(التازعات، ٧٩: ٤٠-٤١)



مسألة: هل الإنسان مُبعد عن مَحَبوبه حتى يحب الله ﷻ؟ نَعْلَمُ أَنَّ الله

ﷻ قَرِيبٌ:

وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي

وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ (البقرة، ٢: ١٨٦)

وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ وَسَّعَ عِلْمُهُ ﴿١١٥﴾ (البقرة، ٢: ١١٥)

ونعلم أنه يوجد في الإنسان شيء يشهد على حقيقة وجود الله ﷻ:

وَإِذْ أَخَذَ رُبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ

قَالُوا بَلَىٰ ۗ شَهِدْنَا ۚ أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ (الأعراف، ٧: ١٧٢)

ولكن نعلم أن الإنسان لا يدرك الله ﷻ من خلال بصره:

لَا تُدْرِكُهُ الْآبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْآبْصَرَ ۚ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٧٢﴾ (الأنعام، ١٠٣: ١٧٢)

فكيف يُحب الإنسان ما لا يُدركه؟ لقد بين الله ﷻ جواب هذا

السؤال في القرآن الكريم. يقول الله ﷻ:

وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ

الرَّشِدُونَ ﴿٧٠﴾ (الحجرات، ٧: ٧٠)

ففي هذه الآية نرى أَنَّ الإنسان يحب الله ﷻ أولاً من خلال الإيمان

الذي زَيَّنَهُ الله ﷻ في قلبه. بعد هذا يبدأ الإنسان بمعرفة الله ﷻ وأسمائه

وصفاته (التي كان لا يعلم منها إلا لفظها من دون أن يفهم حقائقها) من

خلال النظر إلى سبعة أنواع من أفعال الله ﷻ وآياته. يقول الله ﷻ عن قصة يوسف عليه السلام في القرآن الكريم:

لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَاتٌ لِّلسَّالِّينَ ﴿١٧﴾ (يوسف، ١٢، ١٧)

فإنه ﷻ وضع سبعة أنواع من الأفعال والآيات التي يعرف المؤمن من خلالها الله ﷻ ففي دعاء يوسف عليه السلام يقول الله ﷻ:

رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١٢٣﴾ (يوسف، ١٢: ١٠١)

فالْمؤمن يبدأ بمعرفة الله ﷻ أولاً: بالنعمة التي أنعم بها عليه ("قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ")؛ وثانياً: من خلال الرؤى التي يُنعم الله ﷻ على عباده بها ("وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ")؛ وثالثاً: من خلال الطبيعة وجمالها وعظمتها ("فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ")^{٢٦٣}؛ ورابعاً: من خلال حب الله ﷻ

الإشارة إلى الله ﷻ من خلال أفعاله في الخلق

٢٦٣

هنا مسألة مهمة جداً وهي: أن سيدنا موسى عليه السلام لمَّا سأله فرعون "ما رب العالمين؟"، لم يُجب بشيء أو بوصف عن ذات الله ﷻ، ولكنه أشار إلى أفعال الله ﷻ من خلال الخلق والطبيعة. وهذا يعني أن الخلق والطبيعة يحتويان على أقوى دليل لمعرفة الله ﷻ. يقول الله ﷻ:

قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠٠﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنُتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٠١﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَبْشِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٠٣﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٠٤﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنُتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٠٥﴾ قَالَ إِنِّي آنَخَذْتُ إِلَهَا غَيْرِي لِأَجْعَلَكَ مِنَ الْمَسْجُورِينَ ﴿٢٠٦﴾ (الشعراء، ٢٦: ٢٣-٢٩)

ومعرفة الخلق والطبيعة يدلان على الله ﷻ ويؤديان إلى الهدى أيضاً، ففي آية أخرى أشار سيدنا موسى عليه السلام إلى فرعون على الله ﷻ وعلى الهدى من خلال الطبيعة، يقول الله ﷻ:

قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمُوسَى ﴿٢٠٧﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴿٢٠٨﴾ (طه، ٢٠: ٤٩-٥٠)

وكذلك أمر سيدنا رسول الله ﷺ أن يشير إلى الله ﷻ ويستدل منطقياً وعقلياً وحتى بالبصيرة على وجوده ﷻ من خلال الخلق والطبيعة في آيات عدة، منها الآيات التالية:

قُلْ أَغْمَرَ اللَّهُ أَخْجَذَ وَلِيَا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ (الأنعام، ٦: ١٤)

قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُهُ آخِلَاقُهُمْ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٣﴾ (الرعد، ١٣: ١٦)

قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّعْيِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ (المؤمنون، ٢٣: ٨٦)

أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَبَائِقَ ذَاتٍ بَهْجٍ مَا كَانَتْ لَكُمْ أَنْ تَنْبِتُوا شَجَرَهَا أَوَلَمْ يَكُنْ مَعِ اللَّهُ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَوَلَمْ يَكُنْ مَعِ اللَّهُ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْثِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَوَلَمْ يَكُنْ مَعِ اللَّهُ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٢﴾ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَوَلَمْ يَكُنْ مَعِ اللَّهُ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَوَلَمْ يَكُنْ مَعِ اللَّهُ قُلْ هَانُوا بِرُحْمَتِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٤﴾ (النمل، ٢٧: ٦٤-٦٤)

سُبْحَنَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٤٣﴾ (الزخرف، ٤٣: ٨٢)

وكذلك سيدنا إبراهيم عليه السلام أشار إلى الله ﷻ من خلال الخلق والطبيعة:

إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلدِّينِ لِطَرِيقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٢٠﴾ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحْجِجُونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ (الأنعام، ٧٩: ٨٠-٨٠)

قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُمْ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٢٢﴾ (الأنبياء، ٢١: ٥٦)

وكذلك الأنبياء مثل سيدنا نوح عليه السلام وسيدنا هود عليه السلام وسيدنا صالح عليه السلام كلهم أمروا أن يُشيروا إلى وجود الله ﷻ ومعرفته من خلال الخلق والطبيعة. يقول الله ﷻ:

له ("أَنْتَ وَلِيٌّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ")؛ وخامساً: من خلال حقيقة الموت وعجز كل إنسان أمام الموت ("تَوْفَنِي مُسْلِمًا وَالْحَقِّقِي بِالصَّلَاحِينَ")^{٢٦٤}؛ وسادساً: من خلال استجابة الله ﷻ للدعاء؛ وسابعاً: وأخيراً - وهذا يفهم ضمنياً من قراءة هذه الآية في القرآن الكريم - ومن خلال كُتُب الله ﷻ كالقرآن

قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِمَّنْ دُوتِكُمْ وَيُوْخِرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَشَاءَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا نَرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ (إبراهيم، ١٤: ١٠)

وكذلك أهل الكهف عرّفوا على الله ﷻ من خلال الطبيعة: وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوهُ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴿١٠﴾ (الكهف، ١٨: ١٠)

وأخيراً لا يفوتنا أن نذكر بأن الله ﷻ عرّف على عظمة الخلق والطبيعة من خلال إقسامه بهم، كقوله ﷻ:

وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا ﴿٢﴾ وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّهَا ﴿٣﴾ وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا ﴿٤﴾ وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَاهَا ﴿٥﴾ وَالْأَرْضَ وَمَا طَحَاهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ (الشمس، ٩١: ١-٧) وَالْفَجْرِ ﴿٨﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٩﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿١٠﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿١١﴾ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرِ ﴿١٢﴾ (الفرج، ٨٩: ١-٥)

وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴿٢﴾ (العصر، ١٠٣: ١) وَالْجَنِّ وَالْزَيُّونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ (الجن، ٩٥: ١-٢)

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ (الليل، ٩٢: ١-٢) وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ (الفصحى، ٩٣: ١-٢)

فَلَا أَقْسِمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ ﴿١﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٢﴾ (الواقعة، ٥٦: ٧٥-٧٦) ٢٦٤ يقول الله ﷻ:

قُلْ يَتَأَيُّمُ النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّنَكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ (يونس، ١٠: ١٠٤)

الكريم، فالتوراة لم تنزل إلا من بعد يوسف عليه السلام. وبعد أن يعرف المؤمن آيات الله جل جلاله من خلال هذه الطرق يكون عند المؤمن شيء من المعرفة بالله جل جلاله وبالتالي يبدأ حبه لله جل جلاله مباشرة أو بدرجة أقل من البعد، والله أعلم.



إضافة إلى هذا، إذا كان عند المؤمن درجة كافية من الإحسان يبدأ الله جل جلاله بالإنعام على عبده بعلم منه. فيوسف عليه السلام، عندما "رَأَى بُرْهَنَ رَبِّهِ ^ع" (يوسف، ١٢: ٢٤) كان من المحسنين:

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ (يوسف، ١٢: ٢٢)

...إِنَّا نَرْنَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ (يوسف، ١٢: ٣٦)

وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ (يوسف، ١٢: ٥٦)

وكذلك أبوه يعقوب عليه السلام:

قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحْزَنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَبْنِي أَدْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْيِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾ (يوسف، ١٢: ٨٦-٨٧)

وهذا العلم الذي قد يأتي من الله جل جلاله لأنبيائه ورسله ^{٢٦٥} ليس محصوراً في الأنبياء، لأنه أعطي إلى الخضر:

فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ (الكهف، ١٨)

(٦٥:

ونقل ابن كثير في تفسيره أن كثيراً من العلماء^{٢٦٦} لم يعتبروا الخضر نبياً: "وذهب كثيرون إلى أنه لم يكن نبياً، بل كان ولياً. فالله أعلم"^{٢٦٧}.

وهكذا فالحب والإحسان يزيدان العلم كما أن العلم والإحسان يزيدان الحب - وهذا ما رأيناه تماماً في فصل "نحو الحب" - وهكذا بعد العلم والإحسان يُصبح الحب مباشرة وليس من خلال مثلث التزيين من الحب.

والله أعلم. ولهذا عبّر يوسف عليه السلام عن حبه لله جل جلاله في قوله: "أَنْتَ وَلِيٌّ فِي

الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ" (يوسف، ١٢: ١٠١).



٢٦٦ وقد ذكر الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه (فتح الباري): أن هناك من خالف ابن كثير في قوله بأن كثيراً من العلماء لم يعتبروا الخضر نبياً، منهم القرطبي، وابن عطية. (ابن حجر، فتح الباري، المجلد: ٦، ص ٤٣٤).

٢٦٧ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ص ١١٦٩.

٢٧. الباب الرابع؛ الفصل السابع: مراتب الجمال والحب

قد ذكرنا سابقاً (في فصل "دائرتي الحب") أنه يوجد دائرتان من الحب: دائرة عُليا ودائرة سفلى؛ دائرة حب الخير ودائرة حب السوء. ولكن ذكرنا أن الله ﷻ جعل الجمال في كل شيء خلقه. يقول الله ﷻ:

الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴿٣٢﴾ (السجدة، ٣٢: ٧)

فإذا كان الجمال في كل شيء، وإذا كان الحب هو حباً مهماً كان المحبوب، فلماذا يُفضل نوع من أنواع الحب على نوع آخر، ولم يُفضل نوع من أنواع الجمال على نوع آخر؟ فيما يلي نوضح الأجوبة لهذين السؤالين إن شاء الله ﷻ.

المطلب الأول: مواطن ومراتب الجمال

جعل الله ﷻ الحسن في كل شيء، كما ذكرنا:

الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴿٣٢﴾ (السجدة، ٣٢: ٧)

والله ﷻ هو أحسن - وبالتالي أجمل - الخالقين:

ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا أَلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا أَلْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا

الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿٣٢﴾ (المؤمنون، ٢٣: ١٤)

وأسماء الله ﷻ وصفاته هي "الأسماء الحسنى"، أي الصفات والأسماء الجميلة. يقول الله ﷻ:

قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكِ

وَلَا تُخَافَتْ بِهَا وَاتَّقِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٧﴾ (الإسراء، ١٧: ١١٠)

وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا

كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ (الأعراف، ٧: ١٨٠)

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴿١٩﴾ (طه، ٢٠: ٨)

وَذَكَرَ اللَّهُ ﷻ جَمَالَ رَسُولِهِ ﷺ:

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهُ

كَثِيرًا ﴿٢١﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٢١)

قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿٢٢﴾ (المائدة، ٥: ١٥)

وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ ۖ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٢٣﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٤٦)

لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ

بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٤﴾ (التوبة، ٩: ١٢٨)

وَذَكَرَ اللَّهُ ﷻ جَمَالَ الْآخِرَةِ:

وَمَا أَوْتِيتُمْ مِّن شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزَيَّنْتُهَا ۖ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى ۖ أَفَلَا

تَعْقِلُونَ ﴿٢٥﴾ (القصص، ٢٨: ٦٠)

وَذَكَرَ اللَّهُ ﷻ جَمَالَ الْفَضَائِلِ، كَالصَّبْرِ:

وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَاللَّهُ

أَلَمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿٢٦﴾ (يوسف، ١٢: ١٨)

قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ

هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ (يوسف، ١٢: ٨٣)

فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ (الماعج، ٧٠: ٥)

وَأَيْضًا كَالكَرَمِ:

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَعِيَهُنَّ وَسِرْحُونَهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٤٩)

يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلُوبًا لَأُزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْتَ أُمْتِعُكَنَّ وَأَسْرِحِكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٥٠﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٢٨)

وذكر الله ﷻ فضائل المؤمنين، وبالتالي جمالهم، في آيات كثيرة، ومنها:

حُمِدَ رَسُولُ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ ۖ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَرَعٍ أُخْرِجَ شَطَطُهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ (الفتح، ٤٨: ٢٩)

وكذلك قول الله ﷻ:

وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ ۚ وَلَآئِمَةٌ مُُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۚ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ۚ وَلَعَبْدٌ مُُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۚ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۖ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ (البقرة، ٢: ٢٢١)

وذكر الله ﷻ جمال صورة الإنسان وجمال تقويمه:

خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرْتُمُ فَأَحْسَنَ صُورَتَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٦٤﴾ (التغابن، ٦٤: ٣)

اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٠﴾ (غافر، ٤٠: ٦٤)

لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٩٥﴾ (التين، ٩٥: ٤)

وذكر الله ﷻ جمال النساء بالتحديد:

وَلَا تَمُدَّنْ عَيْنَكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٣١﴾ (طه، ٢٠: ١٣١)

لَا يَحِلُّ لَكَ الْنِسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ مِنْ مِمَّنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ﴿٥٢﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٥٢)

وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ خُمْرَهُنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانَهُنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَنُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرَ أُولِي الْإِرَاقَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الْوَلَدِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٠﴾ (النور، ٢٤: ٣١)

وذكر الله ﷻ جمال الحياة الدنيا بشكل عام:

وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿٦٠﴾ (القصص، ٢٨: ٦٠)

والله ﷻ ذكر ضمناً جمال الكلام والشعر:

وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢١٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢١٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢١٦﴾ (الشعراء، ٢٦: ٢٢٤-٢٢٦)

وذكر الله ﷻ حتى جمال البهائم:

فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْتَحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿١٦٠﴾ (الحل، ١٦: ٦٠)

وذكر الله ﷻ تزيين الأعمال السيئة:

وَقِيَصْنَا لَهُمْ قُرْآنًا فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّرٍ قَدْ

خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ ﴿٢٥﴾ (فصلت، ٤١: ٢٥)

وذكر الله ﷻ تزيين أقبح الأعمال مثل قتل الأولاد والشرك:

وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَاءُهُمْ لِيُزْذَوْهُمْ وَلَيْسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿٣٦﴾

(الأنعام، ٦٤: ١٣٧)

فهناك أنواع مختلفة من الجمال لكل شيء خلقه الله ﷻ. فكيف يعرف الإنسان مراتب هذه الدرجات من الجمال؟ وكيف يُفضل الإنسان نوعاً من أنواع الجمال على نوع آخر إذا لم يكن بينها مراتب من الجمال؟ الجواب هو أن الله ﷻ مدح وذم أنواعاً من الحب، ورتبها وفضل بعضها على بعض. وتُعرف رتبة جمال الشيء من مرتبة الحب الذي يحبه. وهذا واضح فيما يلي.

المطلب الثاني: مراتب الحب

وعد الله ﷻ حبه وفضله لقوم يُحبونه:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ (المائدة، ٥٤: ٥٤)

وجعل الله ﷻ هذا الحب أشد وأقوى من أي حب آخر:

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿٦٥﴾ (البقرة، ٢: ١٦٥)

وبيّن الله ﷻ فضل حبه ﷻ وحب ذكره على أي حب آخر:

وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٦٠﴾ إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعِثِّيِّ الصَّفِيفَتُ

الْحَيَادُ ﴿٣٠﴾ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣١﴾ (ص: ٣٨٠)

(٣٠-٣٢)

وبعد حبه، وحب ذكره، جعل الله ﷺ حب الرسول ﷺ أولى من حب الناس لأنفسهم:

الْبَيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ۖ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٣٢﴾ (الأحزاب: ٣٣: ٦)

وبعد حب الرسول ﷺ جعل الجنة أولى بحب الناس:

إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ۚ فَاسْتَبَشِرُوا بَبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٣٣﴾ (التوبة: ٩: ١١١)

فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتِي ۖ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ ۖ فَأَلْزَمَ الْهَاجِرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ وَأَوْذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتِلُوا وَقَاتِلُوا لَا تُكْفِرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا دَخَلَتْهُمْ جَنَّتِ تَحْرِي مِنْ تَحْتِهَا لَا أَتَاهُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿٣٤﴾ (آل عمران: ٣: ١٩٥)

وبيَّن الله ﷺ فضل حب الإيمان:

وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٣٥﴾ (الحجرات: ٤٩: ٧)

ومدح الله ﷺ حب المؤمنين أيضاً:

وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي

الحب في القرآن الكريم

صُدُّوهُمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ (الحشر، ٥٩: ٩٠)

ومدح الله ﷻ حب كل شيء طيب بشكل عام:
قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَأُولَىٰ الْأَلْبَبُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ (المائدة، ٥: ١٠٠)

وكما ذكرنا أعلاه، ذكر الله ﷻ دون مدح بعض أنواع حب الخير:
وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٢٠٠﴾ إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعِشِيِّ الصِّفِثَتُ الْجِيَادُ ﴿٢٠١﴾ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٢٠٢﴾ (ص، ٣٨: ٣٠-٣٢)

وذكر الله ﷻ حب الشهوات ولكن بين فضل حسن الآخرة عليها:
رُئِيَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَمِ وَالْحَرْثُ ذَٰلِكَ مَتَعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَقَابِ ﴿١٨٠﴾ (آل عمران، ٣: ١٤)

وذم الله ﷻ حب الدنيا:
كَلَّا بَلْ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿١٠٠﴾ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿١٠١﴾ (القيامة، ٧٥: ٢٠-٢١)
مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨٠﴾ (الإسراء، ١٧: ١٨)

وكذلك ذم الله ﷻ حب المال:
وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠٠﴾ (الفجر، ٨٩: ٢٠)

ثم حذر الله ﷻ من الزنا والحب غير المشروع:
وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانِيَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٢٠٠﴾ (الإسراء، ١٧: ٣٢)
وأخيراً، ذم الله ﷻ الشرك وحب الأنداد من دون الله:

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾

(البقرة: ٢، ١٦٥)



فمن هذا كله - وهناك آيات أخرى لم نذكرها - تبين لنا مراتب الحب والتسلسل الهرمي في فضل أنواع الحب، بداية من الله ﷻ وذكره، ثم رسوله، ثم الجنة، ثم الإيمان، ثم المؤمنين، ثم حب الخير؛ والدركات السفلى من الحب (من الأعلى إلى الأدنى) هي: حب الدنيا، ثم حب الشهوات، ثم الزنا، ثم أخيراً حب الأنداد من دون الله ﷻ. وبمعنى آخر أفضل حب هو حب الله ﷻ وبالتالي أسماؤه الحسنى وكذلك ذكره ﷻ، ثم حب الرسول ﷺ، ثم حب الجنة، ثم حب الجمال الداخلي الخاص (الإيمان)، ثم حب الجمال الداخلي العام (المؤمنين)، ثم حب الجمال الخارجي الخاص (جمال النساء)، ثم حب الجمال الخارجي العام (حب الخير). وأسفل دركات الحب (من الأعلى إلى الأدنى) هي: حب الشهوات، ثم حب الشر، ثم حب الشيطان.

فهذا يعني بدوره أن أجمل الجمال هو جمال الله ﷻ وذكره، ثم جمال الرسول ﷺ، ثم جمال الجنة، ثم الجمال الداخلي الخاص (الإيمان)، ثم الجمال الداخلي العام (المؤمنين)، ثم الجمال الخارجي الخاص (جمال النساء)، ثم الجمال الخارجي العام (حب الخير). وأسفل دركات الجمال (من الأعلى إلى الأدنى) هي: جمال الشهوات، ثم جمال الشر، ثم جمال الشيطان. فمن خلال ذكر الله ﷻ في القرآن الكريم لهذه الأنواع من الحب والجمال، فقد تبينت مراتبهم وتسلسلهم الهرمي. فليس كل حب هو محمود وليس كل جميل يستحق الحب، كما رأينا.

وقد أشار رسول الله ﷺ إلى نفس هذا الترتيب الهرمي للحب في

الحب في القرآن الكريم

وصفه لأسباب النكاح، في حديثه الشريف التالي:

«تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لأَرْبعٍ، لِمَالِهَا وَلِحَسْبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبْتُ يَدَاكَ»^{٢٦٨}.

"المال" هو الجمال الخارجي العام، و"جمال" المرأة هو الجمال الخارجي الخاص، و"الحسب" هو الجمال الداخلي العام، و"الدين" هو الجمال الداخلي الخاص. فكأن الرسول ﷺ يقول "أن الحب هو المِلل للجمال ولكن للحب مراتب، وحب الله ﷻ خيرٌ من حب الناس، وحب الناس خيرٌ من حب الجمال الجسدي، وحب الجمال الجسدي خيرٌ من حب المال"، والله أعلم.



٢٦٨ رواه البخاري رقم ٥٠٩٠، كتاب النكاح، باب الأكفاء في الدين، ومسلم رقم ١٤٦٦، كتاب الرضاع، باب استحباب نكاح ذات الدين.

٢٨. الباب الرابع؛ الفصل الثامن:

نقيضا للجمال والحب

المطلب الأول: نقيض الجمال (البشاعة والقبح)

رأينا فيما سبق أن مراتب الجمال تمتدّ من تزيين حب الأنداد من دون الله ﷻ إلى حب الله ﷻ، فكيف يكون للجمال نقيض؟ وإن لم يكن للجمال نقيض فما هي "البشاعة" أو "القبح"؟ وبما أن الله ﷻ أحسن كل شيء خلقه، فأين القبح؟ وكما ذكرنا سابقاً، يقول الله ﷻ:

أَلَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِن طِينٍ ﴿٣٢﴾ (السجدة، ٣٢: ٧)

ويلاحظ بالفعل أن كلمة "البشاعة" ليست موجودة في القرآن الكريم مطلقاً، الأمر الذي يدل على أن كل شيء مخلوق فيه شيء من الجمال ولو أن فيه نقصاً بالنسبة لشيء أجهل، حسب مرتبة جماله كما رأينا. وحتى كلمة "القبح" ^{٢٦٩} لم تطلق في القرآن الكريم على أي شيء خلقه الله ﷻ، ولكن

٢٦٩ يعرف الراغب القبح كالتالي:

"ما ينبو عنه البصر من الأعيان وما تنبو عنه النفس من الأعمال والأحوال وقد قُبِحَ قَبَاحَةً فهو قبيح، وقوله: ... مَرَبِّ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٣٢﴾ أي من الموصومين بحالة مُنْكَرَة، وذلك إشارة إلى ما وصف الله تعالى به الكفار من الرِّجَاسَةِ والنَّجَاسَةِ إلى غير ذلك من الصفات، وما وصفهم به يوم القيامة من سواد الوجوه وزُرْقَة العيون وسحبهم بالأغلال والسلاسل ونحو ذلك، يقال قَبِحَهُ اللهُ عن الخير أي نُحَاهُ، ويقال لعظم الساعد، مما يلي النصف منه إلى المرفق قبيحٌ". (الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص ٣٩١).

ويعرّف الرازي القبح كالتالي:

"الجمال هو الحسن والقبح ضد الحسن يكون في الصورة وفي الفعل". (الرازي، مختار الصحاح، ص ٥٨).

ذكرت مرة واحدة، إيماءً إلى فرعون وجنوده يوم القيامة:

وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ (القصص، ٢٨: ٤٢)

فقبّح فرعون وجنوده ليس من أعمال الله ﷻ ولكن من أعمالهم، والله ﷻ لم يذكر في القرآن الكريم أنه يوجد شيء قبيح في الكون الذي خلقه. وبالتالي يمكن لنا أن نستنتج أن القبح نقص نسبي من الجمال، وتفضيل جمال أدنى على جمال أعلى، وليس شيئاً بذاته، والله أعلم.

المطلب الثاني: نقيض الحب (الكره والبغض)

قد ذكرنا سابقاً (في فصل "حب الله للناس") أن الله ﷻ لا يكره أحداً ولكن يكره أعمالاً معينة. لكن ذكر الله ﷻ أن المؤمنين يكرهون الأشياء السيئة. يقول الله ﷻ:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَنُحِبُ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ (الحجرات، ٤٩: ١٢)

وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ إِلَا يَمْنَنُ وَرَزَيْنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَهُ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ

ويعرّف ابن منظور القبح كالتالي:

"القبح ضد الحسن يكون في الصورة والفعل ... قال الأزهرى: هو نقيض الحسن عام في كل شيء". (ابن منظور، لسان العرب، ٢/ ٥٥٢).

فخلاصة الأمر: أن القبح هو الذي يجعل المرء ينفر لأن القبح ضد الحسن والجمال بالصورة وبالفعل.

الرَّشِدُونَ ﴿٧﴾ (الحجرات، ٤٩: ٧)

وعلى العكس من ذلك، فالكافرون والظالمون يكرهون الحق والأشياء
الخيرية:

لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾ (الأنفال، ٨: ٨)

وكذلك يكرهون نور الله ﷻ:

يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ

الْكَافِرُونَ ﴿٩﴾ (التوبة، ٩: ٣٢)

ويكرهون أيضاً دين الحق:

هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ

الْمُشْرِكُونَ ﴿١٠﴾ (التوبة، ٩: ٣٣)

ويكرهون الجهاد:

فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلِيفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ

فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿١١﴾

(التوبة، ٩: ٨١)

ويكرهون القرآن الكريم:

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَاحْبَطُوا أَعْمَلَهُمْ ﴿١٢﴾ (محمد، ٤٧: ٩)

ويكرهون حتى رضوان الله ﷻ:

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَصْحَبَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَاحْبَطُوا أَعْمَلَهُمْ ﴿١٣﴾ (محمد، ٤٧: ٩)

(٢٨:

يكرهون رضوان الله ﷻ مع أن رضوان الله ﷻ أكبر من أي خيرٍ آخر

يمكن للإنسان أن يسعى إليه. يقول الله ﷻ:

وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا

وَمَسْكِنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٍ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ

وكذلك أهل الكتاب يُبغض بعضهم بعضاً:

وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ (المائدة، ١٤)

ويريد الشيطان أن يجعل المؤمنين يبغضون بعضهم بعضاً:

إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخُبَرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ۖ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٩١﴾ (المائدة، ٩١)

فهل هذا كله يعني أن المؤمنين يكرهون الأشياء السيئة فقط، والكافرين يكرهون الأشياء الخيرة فقط؟ الجواب هو لا، وذلك لأنه - كما قد رأينا سابقاً (في فصل "دائرتا الحب") - يوجد بين درجة الإيمان المحضة والكفر المحض أناس يخلطون بين الاثنين؛ بين الإيمان وأعمال الكافرين (المعاصي). يقول الله ﷻ:

وَأَخْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾ (التوبة، ٩: ١٠٢)

وبما أن معظم الناس لهم بعض الأعمال السيئة، فمن الطبيعي أن يكرهوا بعض ما هو خير لهم. يقول الله ﷻ:

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١١﴾ (البقرة، ٢: ٢١٦)

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَجَعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿٨﴾ (النساء، ٤: ١٩)

أما بالنسبة للرسول والأنبياء والذين تَغْلِبُوا على شُحِّ أنفسهم، فيُحِبُّونَ الخير ويكرهون الشر ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا، فيُطِيعُونَ اللهَ ﷻ تماماً:

وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ (الحشر، ٥٩: ٩٠)

فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩١﴾ (التغابن، ٦٤: ١٦)

ءَاَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَاَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ؕ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ؕ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ (البقرة، ٢: ٢٨٥)

والخلاصة أن الكره فيما يبدو يعتمد على حالة الكاره الخاصة: فالمؤمنون يكرهون الشر، والكافرون يكرهون الخير، ولكن يمكن للمؤمنين الذين لم يتمموا تَغْلِبُهُمْ على نفوسهم أن يحبوا شيئاً شراً لهم أو يكرهوا شيئاً خيراً لهم. فهذا يعني أن الكره يجد ذاته ليس شيئاً كريهاً، ولكن يُصْبِحُ كريهاً عند الذين هم كريهون أصلاً. فالكره بالتالي يصدر من المحبة: فالمؤمنون يكرهون الشر من محبتهم لله ﷻ، والكافرون يكرهون الخير من محبتهم للشر ومن محبتهم لِشُحِّ نفوسهم. وهذا يعني أنه إذا كان الكره نقيض الحب عاطفياً، فإنه أيضاً، كالقبح، ليس شيئاً يجد ذاته، ولكنه عكس الحب ولذا فهو مكروه، والله أعلم.

٢٩. الباب الرابع؛ الفصل التاسع: انتهاء الحب

هل ينتهي الحب؟ وعند من؟ ومتى؟ وكيف؟ ولم؟

(١) أما بالنسبة لحب الله ﷻ لخلقه الذين يستحقون حبه (كرسله وأنبيائه والمحسنين كما رأينا سابقاً في فصل "حب الله ﷻ للناس" وفي فصل "حب الله ﷻ لرسله وأنبيائه")، فهذا الحب لا ينتهي لأنه من صفات الله ﷻ (كما رأينا في فصل "الله ﷻ والحب")، وصفات الله ﷻ أبدية لا تتغير ولا تتبدل. يقول الله ﷻ:

.... وَلَا مُبْدِلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ الْأَمْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ (الأنعام: ٨٠، ٨١)

وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَا مُبْدِلَ لِكَلِمَاتِهِ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ (الأنعام: ٨١، ٨٢)

لَهُمُ الْبَشَرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٨٢﴾ (يونس: ١٠، ١١)

وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ ۚ لَا مُبْدِلَ لِكَلِمَاتِهِ ۚ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٨٣﴾ (الكهف: ١٨، ١٩)

سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ ۚ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٨٤﴾ (الأحزاب: ٣٣، ٣٤)

.... فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۚ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٨٥﴾ (فاطر: ٣٥، ٣٦)

سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ ۚ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٨٦﴾ (الفتح: ٤٨، ٤٩)

مَا يُبْدِلُ الْفَوَّلَ لَدَىٰ وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٨٧﴾ (ق: ٥٠، ٥١)

سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا ۚ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٨٨﴾ (الإسراء: ١٧، ١٨)

(ب) وأما بالنسبة لحب البشر لله ﷺ، فإننا عرفنا الحب (في فصل "تعريف الحب") أنه: "مِيلٌ من بعد الإعجاب إلى الحُسْن". وبما أن "حُسْن الله ﷻ" أو "جماله" لا يتغير ولا يتبدل، فهذا يعني أن الطريقة الوحيدة التي يمكن فيها أن يتغير حب الإنسان لله ﷻ هي إذا تغير الإنسان نفسه، وبالتالي تغير إعجابه وميله إلى محبوه الذي هو الله ﷻ. وقد رأينا سابقاً أيضاً (في فصل "طبيعة الحب") أن الحب في حالة تغير مستمر، وأن الإنسان نفسه في حالة تغير مستمر؛ وبين الله ﷻ في القرآن الكريم أنه حتى الإيمان قد يتغير ويزيد ويقل إلى آخر لحظة في حياة الإنسان:

لِيَزِدَادُوا إِيْمَانًا مَّعَ إِيْمَانِهِمْ (الفتح، ٤: ٤٨)

وَزِدْنَهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ (الكهف، ١٨: ١٣)

وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى (مريم، ١٩: ٧٦)

وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴿٧﴾ (محمد، ٤٧: ١٧)

وَيَزِدَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا (المائدة، ٧٤: ٣١)

أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا (التوبة، ٩: ١٢٤)

فَآخَشَوْهُمْ فزَادَهُمْ إِيمَانًا (آل عمران، ٣: ١٧٣)

وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٢٢)

وَإِذَا تَلَّيْتْ عَلَيْهِمْ ءَايَتَهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا (الأنفال، ٨: ٢)

وَلَكِنْ لَّيَطْمَئِنَّ قُلُوبُ (البقرة، ٢: ٢٦٠)

فإذا تغير الإنسان وخف إيمانه، فسينقص أيضاً حبه لله ﷻ، كما إذا زاد إيمان الإنسان بالله فإنه سيزيد أيضاً حبه لله ﷻ (وقد ذكرنا هذين الاحتمالين في فصل "دائرتي الحب" وفي فصل "نمو الحب"). فالخلاصة هنا هي أن

حب الإنسان لله ﷻ قد يتغير ليس لأن محبوبه يتغير (والله ﷻ لا يتغير أبداً) ولكن لأن الإنسان هو نفسه قد يتغير وقد يتغير قلبه ونفسه. وفي طبيعة الحال ينطبق هذا أيضاً على حب الإنسان " في الله ﷻ " كحب المؤمنين لرسول الله ﷺ وللقرآن الكريم وذكر الله ﷻ والشعائر الدينية الأخرى.

وقد ينتهي حب الإنسان لله ﷻ إذا أصبح هذا الإنسان كافراً كلياً، إلا أنه كما ذكرنا سابقاً (في فصل " الكون والحب ") كل أعضائه وكل ذرة فيه ستبقى تحب الله ﷻ (ما دامت موجودة) بحب طبيعي فطري رغماً عن نفسه الكافرة التي أصبحت محجوبة عن حب الله ﷻ. وذكرنا سابقاً أننا لا نعلم شيئاً يمكن له أن لا يحب الله ﷻ إلا نفس الإنسان الكافر، فنضيف هنا أن الشيء الوحيد الذي يمكن أن ينتهي فيه الحب لله ﷻ هو أيضاً نفس الإنسان الكافر.



مسألة: بناءً على ماذا يتغير حال الإنسان وإيمانه وحبه؟

يتغير إيمان الإنسان بناءً على تغير نيته وعمله: فإن كانت نيته وعمله صالحاً فإن إيمانه سيزيد، وإن كانت نيته وعمله سيئاً فإن إيمانه سينقص. يقول الله ﷻ:

كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ (الطّافين: ٨٣، ١٤)

وكذلك جاء عن حذيفة بن اليمان ؓ أنه قال: " سمعت رسول الله ﷺ يقول: "

«تُعْرَضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُوْدًا عُوْدًا فَأَيُّ قَلْبٍ أَشْرَبَهَا نُكِبَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَتَكَرَّهَا نُكِبَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءٌ حَتَّى تُصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ عَلَى أَيْضٍ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تُضَرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَالْآخِرُ

أَسْوَدُ مُرْبَادًا كَالْكُوزِ مُجْحِيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلَّا مَا أَشْرَبَ مِنْ هَوَاهُ» ٢٧٠ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ:

«إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَعْفَرَ وَتَابَ سُقِلَ قَلْبُهُ وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبُهُ وَهُوَ الرَّأْيُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» (المطففين، ٨٣: ١٤) ٢٧١ .

ويلاحظ أنه حتى بعض أولياء الله ﷺ غير الكاملين قد ينسلخ من الإيمان والتقوى (كال المذكور في الآيات التالية وهو بلعام ابن باعوراء) ٢٧٢:

وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَادْنَسَ عَنْهَا فَأْتَبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (١٧٢) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحَمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثَ أَوْ تَرَكَهٗ يَلْهَثُ ذَٰلِكَ مِثْلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِءَايَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (١٧١) (الأعراف، ٧٠: ١٧٥-١٧٦)

فليحذر المؤمن من أن يرتكب إثماً ويتراجع في إيمانه وبالتالي في حبه لله ﷻ لأن الشيطان ينتظر أن يزل الإنسان. قال الله ﷻ:

وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَنِ عَدُوًّا مُّبِينًا (٥٣) (الإسراء، ١٧: ٥٣)

قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أُخِّرْتِنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَأُحْتَنِكَ بِدُرِّيَّتِهِ إِلَّا قَلِيلًا (٥٤) قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا

٢٧٠ رواه مسلم في الصحيح، رقم ١٤٤، كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً.

٢٧١ رواه الترمذي، رقم ٣٣٣٤، كتاب التفسير، باب سورة المطففين، وقال: «هَٰذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ».

٢٧٢ القرطبي، تفسير القرطبي، المجلد ٧، ص ٣٢١.

﴿٣٧﴾ وَأَسْتَفْزِرُ مِنْ أَسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبَ عَلَيْهِمْ بِخَلْقِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي

الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَهُمْ مَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٣٨﴾ (الإسراء، ١٧: ٦٢-٦٤)

قَالَ فِيمَا آغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٣٩﴾ (الأعراف، ٧: ١٦)

قَالَ رَبِّ إِنَّمَا آغْوَيْتَنِي لِأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ (الحجر، ١٥: ٣٩)

قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤١﴾ (ص، ٣٨: ٨٢)

وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَأَمْرَنَّهُمْ فَلَيَلْبِتِكُنَّ ءَاذَانَ الْإِنسَانِ وَلَأَمْرَنَّهُمْ فَيَلْبِسُوا

خُلُقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانُ وَلِيًّا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿٤٢﴾

(النساء، ٤: ١١٩)

وهذه الزلة قد تتم باستدراج خفي لا يعلم الإنسان مصدرها، فلا يحميه منها إلا اتباع شريعة الله ﷻ وسنة رسول الله ﷺ. يقول الله ﷻ:

وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ (الأعراف، ٧: ١٨٢)

فَدَرَبْنَاهُ وَمَنْ يَكْذِبْ بِهَذَا الْخَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ (القلم، ٦٨: ٤٤)



(ج) أما بالنسبة لحب الإنسان لغير الله ﷻ، فهو (كما رأينا سابقاً) أنواع كالتالي: (١) حب الإنسان للأشياء؛ (٢) حب الإنسان للشهوات؛ (٣) حب الإنسان لأصدقائه؛ (٤) حب الإنسان لزوجته؛ (٥) حب الإنسان لعائلته وأقاربه؛ (٦) حب الإنسان للمؤمنين؛ (٧) حب أهل الكتاب؛ (٨) وحب الإنسان للناس جميعاً.

بالنسبة للأنواع الأربعة الأخيرة المذكورة أعلاه (حب الإنسان لعائلته وأقاربه؛ حب الإنسان للمؤمنين؛ حب أهل الكتاب؛ وحب الإنسان للناس جميعاً)، فهذه الأنواع من الحب تتأثر حسب حب الإنسان لله ﷻ، لأن الله

ﷺ أوصى بهم كما رأينا (في فصل "حب الآخرين: الناس جميعاً، وأهل الكتاب، والمؤمنين، والأصدقاء"). فكلما زاد حب الإنسان لله ﷻ زادت أيضاً هذه الأنواع الأربعة من الحب، وكلما نقص أو خف حب الإنسان لله ﷻ نقصت أيضاً هذه الأنواع الأربعة من الحب. لكن هذا لا يعني أنه لا يكون للإنسان ميل خاص لأحد من عائلته أو من المؤمنين أو من أهل الكتاب أو من الناس جميعاً (بناءً على علاقة أو تجربة خاصة أو خصوصية لا علاقة لها مباشرة في المحبة بالله ﷻ). وقد يجب الإنسان الآخرين حباً خاصاً لحاجة خاصة عنده محايدة لا علاقة لها بحب الله ﷻ. يقول الله ﷻ عن سيدنا يعقوب عليه السلام وأبنائه:

وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ (يوسف، ١٢: ٦٨)

أما بالنسبة للنوعين الأولين المذكورين أعلاه: (حب الإنسان للأشياء وحب الإنسان للشهوات) فهما من الحب الذي قد يتغير ويزيد أو ينقص أو ينتهي في أي لحظة بما أن الإنسان وحبه في حالة تغير مستمر، لأنهما من أنواع الحب الأسفل (كما رأينا في فصل "مراتب الجمال والحب") ومبنية على أوهام وشهوات وليست متعلقة بالله ﷻ، وبالتالي لا ثبات لهما.

وبالنسبة للنوع الثالث من الحب: (حب الأصدقاء) فهو ينقسم إلى نوعين: أصدقاء الخير، وأصدقاء الشر.

بالنسبة لأصدقاء الشر، فإنه من السهل أن تتغير هذه الصداقة لأنها مبنية على وهم، والوهم أمر غير حقيقي. يقول الله ﷻ:

وَلَيْنَ أَصْبَحُكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَلَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَوْزَعُوْهُ فَوَرَّأَ عَظِيْمًا ﴿٧٣﴾ (النساء، ٤: ٧٣)

عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً ۗ وَاللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

(المتحنة، ٦٠: ٧)

وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ

كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٢٤﴾ (فصلت، ٤١: ٢٤)

وإن كانت هذه الصداقة لا تتغير في الدنيا فلا بد لها أن تنتهي في الآخرة لأن كل وهمٍ فانٍ في الآخرة. يقول الله ﷻ:

وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ ۚ يَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَهُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن

نَصِيرِينَ ﴿٢٥﴾ (العنكبوت، ٢٩: ٢٥)

يَوَيْلَ لِّى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٦﴾ (الفرقان، ٢٥: ٢٨)

وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّنَا كَرِهْنَا فَنَتَّبِعُكَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا ۖ كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾ (البقرة، ٢: ١٦٧)

لكن بالنسبة لأصدقاء الخير، فلا تتغير هذه الصداقة بسهولة لأنها ليست مبنية على وهم، ولأن الحب الذي في هذه الصداقة خيرة نتيجة تعلق الملكات الواحدة تلو الأخرى إلى الصديق المحبوب ولأنها نوع من أنواع الحب في الله ﷻ. يقول الله ﷻ:

الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٢٨﴾ (الزخرف، ٤٣: ٦٧)

أما بالنسبة للنوع الرابع من الحب (وهو الحب الزوجي)، فإن كان هنالك حباً حقيقياً وليس جسدانياً فقط فإن تغيره أمرٌ غير سهل لأنه كما رأينا سابقاً (في فصل "الحب الزوجي") "جعل إلهي" أو "خلق إلهي"، وقد تم ربطه من خلال الحب في الله ﷻ وميل الملكات واحدة تلو الأخرى إلى المحبوب بشكل تدريجي وكامل.

وهذا لا يعني أن هذا الحب - إن كان حقيقياً أصلاً - لا يتغير أبداً: فقد يتغير بسبب تغير جمال المحب النفسي أو جمال المحبوب النفسي. فإن ظهر من المحبوب قبح جديد لم يكن موجوداً منذ الأساس (كما يحصل بعد ارتكاب الأعمال السيئة) فرما يتأثر حب الذي يُحبه. يقول الله ﷻ:

إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٥٨﴾ عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَنِيَتٍ تَتَّبِعْتِ عِبْدَاتٍ سَيَحِبَّنَّ تَتَّبِعْتِ وَأَبْكَارًا ﴿٥٩﴾ (التحریم، ٦٦: ٤-٥)

ولكن من الوفاء أن لا يتغير هذا الحب بسبب تغير جسم المحبوب أو جماله أو جمالها الجسدي كما يحصل في التقدم في السن أو بعد حادث ما. فالله ﷻ أكد على قيمة فضيلة الوفاء في نفس المؤمن:

بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٦٠﴾ (آل عمران، ٣٠: ٧٦)

وإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٦١﴾ (النجم، ٥٣: ٣٧)

وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۚ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۚ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٦٢﴾ (الإسراء، ١٧: ٣٤)

إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۖ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِنْ أَجْرٍ عَظِيمًا ﴿٦٣﴾ (الفتح، ٤٨: ١٠)

وقد أشار الله ﷻ إلى عظمة الوفاء في الحب الزوجي ودناءة خيانة هذا الحب والميثاق الغليظ الذي هو جزء لا يتجزأ منه في قوله ﷻ:

وإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَاتٍ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ۚ تَأْخُذُونَهُ بِهَيْئَتِهِ وَإِنَّمَا مِثْلُهُ ﴿٦٤﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْتُ مِنْكُمْ مِثْقَالَ غَلِيظٍ ﴿٦٥﴾ (النساء، ٢٠: ٢١-٢١)

فإن الله ﷻ يذكرنا بسيئة أخذ أو سلب أي شيء من الزوجة أو الزوج (بما فيه الحب نفسه) بعد إفضاء كل من الزوجين بعضهما لبعض. وربما هذا هو سر سبب كون الطلاق أبغض الحلال إلى الله ﷻ، كما قال رسول الله ﷺ: «أبغض الحلال إلى الله تعالى الطلاق»^{٢٧٣}.

فالخلاصة هو أن الحب الزوجي الحقيقي له قيمة عظيمة، وفيه ميثاق غليظ بشهادة الله ﷻ، ويجب الوفاء فيه ولا ينبغي له أن يتغير أبداً في الدنيا أو في الآخرة إلا بسبب تغير المحبوب إلى الأسوأ نفسياً، ولا بسبب تغير المحبوب إلى الأقبح جسدياً كما هي طبيعة الأجساد، والله أعلم.

٢٧٣ رواه أبو داود، رقم ٢١٧٨، كتاب الطلاق، باب في كراهية الطلاق. وابن ماجه، رقم

٢٠١٨، كتاب الطلاق، باب طلاق السنة.

٣٠. الباب الرابع؛ الفصل العاشر: طبيعة الحب

بَيَّنَّ اللهُ ﷻ في القرآن الكريم أنه يوجد في طبيعة الحب قواعد عامة. و
نَبَّيْنَا فيما يلي بعضها:

المطلب الأول: الحب في تغيّر دائم

بطبيعة الحال كل شيء يتغيّر. لكن إضافة إلى ذلك التغير العام، كل
من يعيش أحوال الحب يتغيّر بشكل دائم ومستمر (في هذا العالم على
الأقل). هذا لأن الله ﷻ "كل يوم في شأنٍ يُبَدِّلُهُ لا يَبْتَدِيهِ":

يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿١٨﴾ (الرحمن، ٥٥: ٢٩)
ولأن الله ﷻ يَخْلُقُ خلقاً جديداً:

أَفَعِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٥٠﴾ (ق، ٥٠: ١٥)
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ
جَدِيدٍ ﴿٢٠﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢١﴾ (إبراهيم، ١٤: ١٩-٢٠)

ولكن التغير ليس تغييراً فقط، وإنما فيه قبض وبسط، وذلك لأن الله
ﷻ يقبض ويبسط:

مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَصْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ
وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٥﴾ (البقرة، ٢٤٥: ٢٤٥)

ويمكن لنا أن نرى في مراحل الحب (كما ذكرنا سابقاً في فصل "مراحل
الحب") أثر القبض والبسط. فمن مراحل الحب مثل الحزن والألم والخوف

والبكاء والقنوت والاستغفار والتبُّل والإحبات والإنابة والتضرُّع و"وجل القلب"، كل هذه هي من مراحل "القبض". وكذلك الفرح والسكون والشكر والسلام والاكتفاء والاطمئنان والإعجاب والمحبة والمودة والود والرضا، كل هذه هي من مراحل "البسط". فالإنسان يعيش آثار القبض والبسط بشكل طبيعي عندما يعيش مراحل الحب. ولذلك كل من يُحب هو في حالة تغيُّر مستمر، وهو بين أحوال القبض والبسط في الحب بشكل دائم، على الأقل في هذا العالم.



وربما هذا التغيُّر المستمر هو سبب عدم وجود الكلِّ والمَلَل في الحب الحقيقي. فالإنسان لا يسأم من دعاء الخير، وبالتالي لا يسأم من الدعاء. يقول الله ﷻ:

لَا يَسْتَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَسْأَلْ قَنُوطًا ﴿٤٩﴾ (فصلت، ٤٩: ٤٩)

وكذلك لا يسأم أهل الجنة من الحب، كما سنرى إن شاء الله (في فصل "الحب والجمال في الجنة"). يقول الله ﷻ:

لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ (الحجر، ١٥: ٤٨)

وربما سبب هذا كله هو أن الله ﷻ لا يمسه الكلِّ والمَلَل. يقول الله ﷻ:

وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴿٥٠﴾ (ق، ٥٠: ٣٨)

فهذا كله لنقول إنَّ في الحب تغيُّراً مستمراً، ولكن هذا التغيُّر لا يسبب مللاً من الحب للإنسان الذي يحب، والله أعلم.

المطلب الثاني: حاجة الحب

الإنسان الذي يُحب بحاجة مستمرة إلى محبوه، والحاجة تعني النقص. وقد ذكرنا سابقاً فقر الإنسان، وبالتالي حاجة الإنسان. يقول الله ﷻ:

يَتَأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥٠﴾ (فاطر، ٣٥: ١٥٠)

هَتَانْتُمْ هُنَا لِدَعَوَاتٍ لِنُفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَنِ نَفْسِهِ ۗ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ ۗ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴿٣٨﴾ (محمد، ٤٧: ٣٨)

وبطبيعة الحال، كل شيء بحاجة لله ﷻ:

يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٥٥﴾ (الرحمن، ٥٥: ٢٩)

ولكن بما أن كل شيء يُحب الله ﷻ (كما رأينا سابقاً في فصل "الكون والحب")، يمكن لنا أن نعتبر أن السؤال المستمر لله ﷻ والفقر إليه جزء لا يتجزأ من الحب. فالحب يعني بالضرورة حاجة، والذي يحب يحتاج محبوه.

المطلب الثالث: خصوصية الحب

للحب خصوصية خاصة. فالإنسان لا يستطيع أن يحب من كل قلبه حبيين من النوع نفسه. ولهذا يقول الله ﷻ:

وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ الْبَنَاتِ ۖ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۚ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٢٩﴾ (النساء، ٤: ١٢٩)

وسبب هذه الخصوصية هي أن للإنسان قلباً واحداً فقط، والحب يملأ هذا القلب، فلا يستطيع الإنسان أن يملأه بحبين لأنه لا يتسع لهما. يقول الله

مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفَيْهِ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ الَّتِي تَظَاهَرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ ۖ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ أَمْتُهُمْ ۚ

يَهْدِي السَّبِيلَ ﴿٤٠﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٤٠)

وربما تأتي الغيرة من هذه القاعدة: فكما يعلم الإنسان أن قلبه لا يستطيع أن يحب إلا حباً واحداً، يعلم أن محبوه لا يستطيع أن يحب إلا حباً واحداً، فيغار إذا أبدى محبوه ميلاً إلى أي شيء آخر غيره، والله أعلم. وعلى أية حال، فللحب خصوصية تطلب من الإنسان كل قلبه وكل مكوناته وكل ملكاته، ويملاها كلها بحب واحد، ولا يسمح لحب أي شيء آخر أن يدخل في هذا القلب إذا كان الحب كاملاً. ويقول الله ﷻ للرسول ﷺ:

قُلْ إِن صَلَائِي وَنُفْسِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٧٠﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۚ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٧١﴾ (الأنعام، ١٦٢-١٦٣)

المطلب الرابع: قدرة الحب

للحب قدرة عظيمة. فالحب يُغيّر من يُحب، وهذا ما رأينا في الفصلين "مراحل الحب" و "نمو الحب". وبهذا التغير يقهر الحب الشخص الذي يُحب - والقبض الذي ذكرناه أعلاه هو جزء من هذا القهر - ولكن هو قهر خَيْرٌ لأنه يُغيّر نفس الذي يُحب إلى الأفضل، ويُخرجه من نفسه وبقية شُحها. وأشار سيدنا يوسف عليه السلام لهذا القهر الخَيْر، وهو في السجن وليس له إلا الله. يقول الله ﷻ:

يَنْصَحِي السِّجْنَءَ أَن تَابَ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٢٦﴾ (يوسف، ١٢٦)

فنهاية الحب هو القهر الأكبر وهو الموت. فالذي يُحب يموت في

محبوبه أو محبوبه، وسنرى هذا - إن شاء الله ﷻ - في فصل "الحب والموت". ويكفي هنا أن نشير إلى بُشْرَى الموت في الحب كما ذكرها الله ﷻ في الآية الكريمة:

إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ ۚ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ۚ فَاسْتَبَشِرُوا بَبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ ۚ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٠﴾ (التوبة، ٩: ١١١)

والخلاصة أن للحب قوة عظيمة، فالحب يقهر من يُحب، ثم يستدرجه عبر مراحل الحب إلى موته، ومن ثم إلى الخلود في محبوبه، فللحب قدرة على الإفناء والإبقاء، فما أعظم قدرة الحب! يقول الله ﷻ:

وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ (البقرة، ٢)

(١٥٤-١٥٦)

٣١. الباب الرابع؛ الفصل الحادي عشر:

الحب والسعادة

لا يوجد فرح ولا رضى ولا متعة من غير حب من طريقة أو من أخرى. وسبب ذلك أن الفرح والرضى والمتعة، كما رأينا سابقاً (في فصل "أنواع الحب" وفي فصل "مراحل الحب")، هي من أنواع أو مراحل الحب. فكيف يكون فرح بشيء من غير حبه؟ أو رضى بشيء من غير حبه؟ أو متعة بشيء من غير حبه أو اللذة فيه؟ وأوضح الله ﷻ هذا في قوله الكريم:

مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ۖ (الأحزاب، ٣٣: ٤)

فبما أن الإنسان ليس له إلا قلب واحد، فلا يستطيع أن يرضى بشيء لا يحبه. يقول الله ﷻ:

زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَلِكَ مَتَعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَقَابِ ﴿١٤﴾ (آل عمران، ٣: ١٤)

فهنا نرى أن متاع الحياة الدنيا كلها وزينتها وشهواتها جميعها مرتبط بالحب. ومن ناحية أخرى، نرى أنه يوجد فرح في الفرار من شيء لا نحبه، وبالتالي يوجد فرح في الميل إلى الشيء الذي نحبه (وهو نقيض ما لا نحبه). يقول الله ﷻ:

فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨٢﴾ فَلْيُصْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٣﴾ (التوبة، ٩: ٨٢-٨٣)

فالمخلفون فرحوا بمقعدهم لأنهم كانوا يكرهون الجهاد ويحبون ما يظنونه آمناً، وهذا يدل على أن الفرح يأتي من الحب حتى لو كان الحب شيء دنيئ أو سيء. وهذا يفسر أيضاً كيف تكون المتعة في الحياة الدنيا بالرغم من الموت الذي يُنتظر في آخرها. يقول الله ﷻ:

وَيَوْمَ تَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَمَعَشَرُ آجِنٍ قَدْ اسْتَكْرَثْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ ۖ وَقَالَ أُولِيَاؤُهُمْ مِّنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا ۚ قَالَ النَّارُ مَثْوَلَكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ (الأنعام: ٦٢٨)

وهذا يفسر كذلك أيضاً كيف يكون الرضى في الحياة الدنيا والاطمئنان بها عند الغافلين:

إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأْنَأُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ (يونس: ١٠، ٧)

فالغافلون يطمئنون للحياة الدنيا ويرضون بها بالرغم من اطمئنان القلب الحقيقي فقط في ذكر الله ﷻ. يقول الله ﷻ:

الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ۚ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ (الرعد: ٢٨، ١٣)

وكذلك يرضون بالحياة الدنيا بالرغم من الرضى المتبادل الذي يكون بين الله ﷻ والمؤمنين في الدنيا والآخرة. يقول الله ﷻ:

جَزَاءُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَلِكَ لِمَنْ حَشَىٰ رَبَّهُ ﴿٥٨﴾ (البقرة: ٩٨، ٨) (انظر إلى: المائدة، ٥: ١١٩؛ التوبة، ٩: ١٠٠؛ المجادلة، ٥٨: ٢٢؛ الفجر، ٨٩: ٢٧-٣٠)

ولكن بالرغم من الفرح والمتعة والرضى الذي قد يشعر به الكافرون والمشركون والغافلون والظالمون نتيجة ميلهم إلى ما يحبونه في الحياة الدنيا، فإن الحياة الدنيا بدون ذكر الله ﷻ وعبادته تكون بالضرورة حياة فيها شيء

من الكآبة (ربما لأن كل إنسان يعرف أنها ستنتهي آجلاً أم عاجلاً). يقول الله ﷻ:

وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴿١٧٤﴾

(طه، ٢٠: ١٧٤)

وهنا نأتي إلى نقطة مهمة جداً يبرزها الإعجاز القرآني: وهي كلمة "السعادة" فهي لم ترد ولا مرة واحدة في القرآن الكريم في وصف الحياة الدنيا وحياة الكفار والمشركين والغافلين والظالمين. وإنما أتت كلمة السعادة مرتين في القرآن الكريم فقط، كلتاهما تشير إلى الجنة وهما في الآيات التالية من سورة هود ﷻ:

يَوْمَ يَأْتُ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۖ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٢٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ هُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٢٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٢٦﴾ * وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۖ عَطَاءٌ غَيْرُ مَجْذُوذٍ ﴿١٢٧﴾ (هود، ١١: ١٠٥-١٠٨)

فالسعداء هم الذين يكونون في الجنة خالدين فيها، ولا يكون أحد من الكفار والمشركين والغافلين والظالمين سعيداً حقيقة، لا في الدنيا ولا في الآخرة، وذلك بالرغم من الفرح والمتعة والرضى الذي قد يشعروا به في الحياة الدنيا. وبمعنى آخر: لا سعادة حقيقة بدون حب الله ﷻ.



مسألة: هل تنطبق كلمة "سعادة" على المؤمنين الصالحين في الدنيا في

ضوء القرآن الكريم؟

يقول الله ﷻ:

وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ هُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا
وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾ (البقرة، ٢٥)

فبما أن السعادة نعمة على الإنسان وبالتالي رزق من الله ﷻ، وبما أن كل رزق يرزق المؤمن به في الجنة يذكره في رزق ما في الدنيا، فهذا يعني أنه قد تكون سعادة ما للمؤمن الصالح في الدنيا ولو أن رزق الجنة ليس نفس رزق الأرض (وبطبيعة الحال أفضل منها) ولكن "مُتَشَابِهًا" لها فقط، والله أعلم.



مسألة: لم لا تكون سعادة حقيقية للكافرين والمشركين والغافلين والظالمين في الدنيا؟
قد ذكرنا سابقاً قول الله ﷻ:

وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴿٢٤﴾ (طه، ٢٤)

وذكرنا أيضاً أن الفرح والمتعة والرضى كلها تعتمد على الحب. فهذا يعني بالضرورة أن حب الكافرين والمشركين والغافلين والظالمين لا يكفي لكي يؤدي إلى درجة السعادة الكاملة. فسعادتهم يبقى فيها نقص لأن حبهم يبقى فيه نقص بالنسبة لحب المؤمن ولأنهم لا يصلون إلى حالة المعية الكاملة الدائمة مع محبوبهم لكونه ليس الله ﷻ الباقي وبالتالي فهو فانٍ. وهذا واضح في قول الله ﷻ:

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٥﴾ (البقرة، ٢: ١٦٥)

فالحب الدينوي لا يكفي لكي يؤدي إلى السعادة لأنه لا يملأ الإنسان بشكل كافٍ تامٍ كاملٍ دائمٍ. وكما رأينا سابقاً مراراً، أن الله ﷻ نفخ فيه من روحه (انظر إلى: السجدة، ٣٢: ٧-٩؛ ص، ٣٨: ٧٢؛ الحجر، ١٥: ٢٨-٣٤)، وبالتالي لا يكفيه ولا يملؤه بشكل كامل إلا حب الله ﷻ. يقول الله ﷻ: فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٧﴾ (البقرة، ٢: ١٢٧)

أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ (الزمر، ٣٩: ٣٦)

ولهذا فإن سعادة الإنسان وحياته الحقيقية هي في الآخرة أو عند الله ﷻ. يقول الله ﷻ: وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ (العنكبوت، ٢٩: ٦٤)

والله أعلم.



٣٢. الباب الرابع؛ الفصل الثاني عشر:

الحب والجمال في الجنة

هل يوجد حب وجمال في الجنة؟ بالنسبة للجمال الجواب واضح، فالجنة كلها جمال، وفيها النظر إلى الجميل، وهو الله ﷻ. يقول الله ﷻ:

وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ (القيامة، ٧٥: ٢٢-٢٣)

وإضافة إلى ذلك فالجنة مليئة بأهل الأرواح الجميلة، بدءاً برسول الله ﷺ. يقول الله ﷻ:

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشَّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٦١﴾ (النساء، ٤٩: ٦٩)

ولا يفوتنا أن نذكر جمال حور الجنة. يقول الله ﷻ:

وَكَوَاعِبُ أُنثَىٰ ﴿٣٣﴾ (النبا، ٧٨: ٣٣)

فَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٦٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٦٧﴾ (الواقعة، ٥٦: ٣٦-٣٧)

فَمِنْ قَصِيرَاتُ الْطَّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّ أَنْسُ قُبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٥١﴾ (الرحمن، ٥٥: ٥٦)

حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ (الرحمن، ٥٥: ٧٢)

كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ (الدخان، ٤٤: ٥٤)

مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ (الطور، ٥٢: ٢٠)

وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَلِ اللَّوْلُؤِ الَّتِي لَمْ يَكُنْ لَهَا ﴿٢٣﴾ (الواقعة، ٥٦: ٢٢-٢٣)

وَعِنْدَهُمْ قَنْصَرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ (الصافات، ٣٧: ٤٨)

وَعِنْدَهُمْ قَنْصَرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ (ص، ٣٨: ٥٢)



ولكن هل هذا يعني أن في الجنة حباً؟ كما رأينا سابقاً (في فصل " طبيعة الحب ") يوجد في الحب قبض، ويوجد في الحب نقص، ويوجد في الحب حاجة، ويوجد في الحب حزن؛ والجنة ليس فيها هذه الصعوبات. يقول الله ﷻ:

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ أَدْخُلُوها بِسَلْمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَتَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ (الحجر، ١٥: ٤٥-٤٨)

وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٤٩﴾ الَّذِي أَحْلَلْنَا دَارَ الْمَقَامَةِ مِنَ فَضْلِهِ ۚ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٥٠﴾ (فاطر، ٣٥: ٣٥-٤٩)

فالجواب على هذا السؤال هو أن كل رزق يُرزق به الإنسان في الدنيا موجود في الجنة (والحب رزق للإنسان). يقول الله ﷻ:

وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ هُمْ فِي جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ ۖ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥١﴾ (البقرة، ٢: ٢٥)

ومع أن رزق الجنة شبيه برزق الأرض، لكن يختلف رزق الجنة عن رزق الأرض بشيء معين. يقول الله ﷻ:

قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ ۖ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ (الأعراف، ٧: ٣٢)

فرزق الجنة وزينتها خالصة بينما رزق الأرض يكون فيه بالضرورة نقص ما. يقول الله ﷻ:

مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ

طَعْمُهُ وَأَنْهَرُ مِنْ خَمَرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَرُ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى ۖ وَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَلَدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿٤٧﴾ (نحل، ٤٧)

(١٥:

فكذلك الحب في الجنة: لا يكون في الجنة حب غير الحب الخالص والخير. وهذا الحب موجود فقط عند المتقين. فحتى درجة الخلّة من الحب لا وجود لها في الجنة إلا إذا أتت بالتقوى:

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ (الزخرف، ٦٦-٦٧)

ولذا، فالأزواج الصالحون والزوجات الصالحات مع بعضهم البعض في الجنة (ومع أولادهم أيضاً) لأنّ الحب الخيّر والحب في الله يخلد^{٢٧٤}. يقول الله ﷻ:

هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّ عَلَى الْأَرْبَابِكُمْ تُكُونُونَ ﴿٥٦﴾ (يس، ٣٦-٥٦)

أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ (الزخرف، ٤٣-٧٠)

رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨٠﴾ (غافر، ٤٠-٨٠)

جَنَّاتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ

٢٧٤ بل أكثر من ذلك: كل غل أو نقص في الحب الخيّر ينزع في الجنة لكي يصبح الحب في الجنة محض وخالص. يقول الله ﷻ:

وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍ فَجَرى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ ۖ لَفَدَّ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَن تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ (الأعراف، ٧: ٤٣)

أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٥﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٦﴾ (الحجر، ١٥: ٤٦-٤٨)

عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ (الرعد، ١٣: ٢٣)

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢٤﴾

(الطور، ٥٢: ٢٤)

وعلى العكس من ذلك، الأزواج الظالمون والزوجات الظالمات مع بعضهم البعض في النار لأن الحب المبني على "النفس الأمارة بالسوء" ينتهي. يقول الله ﷻ:

أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٥﴾ (الصافات، ٣٧: ٢٥)

فخلاصة القول هنا هو أنه يوجد في الجنة كل ما يُحبه أهل الجنة، وكل من يحبهم، وأنه يوجد في الجنة حب، ولكن الحب في الجنة يختلف عن الحب في الدنيا. الحب في الجنة هو فقط ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين من دون معاناة وقبض، كالحب في الدنيا، والله أعلم. يقول الله ﷻ:

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ أَلَا خِلَاءٌ يَوْمَئِذٍ

بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ يَنْعَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ

تَحْزَنُونَ ﴿٢٨﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِقَايَتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٢٩﴾ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ

وَأَزْوَاجُكُمْ تُخْبَرُونَ ﴿٣٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهُيهِ

الْأَنْفُسُ وَلَذَّةُ الْأَعْيُنِ ۚ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣١﴾ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا

كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ (الزخرف، ٤٣: ٦٦-٧٢)

الباب الخامس: المحبوب (الجمال واللقاء والرضوان)

٣٣. الباب الخامس؛ الفصل الأول:

الجمال والحُسن ومكوناتهما

المطلب الأول: معنى "الجمال" ومعنى "الحُسن"

ما هو الفرق بين الجمال والحُسن؟ فيما يلي رأي العلماء في ذلك:

أما بالنسبة للجمال:

فيقول الراغب: "الجمال: الحُسن الكثير، وذلك ضربان، أحدهما: جمال يختص الإنسان به في نفسه أو بدنه أو فعله، والثاني: ما يوصل به إلى غيره، وعلى هذا الوجه ما روي عنه عليه السلام أنه قال: «إن الله جميل يحب الجمال» تنبيهاً أنه منه تفيض الخيرات الكثيرة فيجب مَنْ يختص بذلك، وقال عليه السلام: «**وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْتَحُونَ ...**» (النحل، ١٦: ٦) قال عليه السلام: «**... فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ...**» (يوسف، ١٢: ١٨) ٢٧٥ .

ويقول الزبيدي: "والجمال الحُسن ، يكون في الخلق وفي الخلق" ٢٧٦ .

وأما بالنسبة للحُسن:

يقول الراغب: "الحُسن عبارة عن كل مبهج مرغوب فيه وذلك ثلاثة أضرب: مستحسن من جهة العقل، ومستحسن من جهة الهوى، ومستحسن

٢٧٥ المفردات، ص ٩٧.

٢٧٦ تاج العروس، ٧/ ٢٦٣.

من جهة الحس " ٢٧٧ .

وقال الزبيدي: " الحُسْنُ بالضم الجمالُ، ظاهره ترادفهما. وقال الأصمعي: الحُسْنُ في العينين، والجمال في الأنف، وفي الصحاح الحُسْنُ نقيض القبح. وقال الأزهري: الحُسْنُ نَعْتُ لما حَسُنَ " ٢٧٨ .

يَتَضَحُّ من أقوال العلماء أنه يوجد شيء من الترادف بين المصطلحين "جمال" و "حُسْن" ، وأن العلماء ليس لديهم دليل قطعي في هذا الموضوع. ومع هذا يلاحظ أن وصف "الجمال" يُستعمل إذا كان الجميل واحداً، فالله تعالى جميل، والصبر جميل ^{٢٧٩}، وفي الأنعام جمال ^{٢٨٠}. أما بالنسبة لوصف "الحُسْن" ، فهو يُستعمل إذا كان المقصود أكثر من واحد أو تعدد في أنواع جمال الموصوف: فلله الأسماء الحسنى ^{٢٨١}، و "الإحسان" يعني الفضائل كلها كما ذكرنا، وحُسْن المرأة يُطلق على كُل حُسْن مُجمل في شكلها الظاهري، والله أعلم.



المطلب الثاني: مكوّنات الجمال والحُسْن

الجمال أو الحُسْن صفة، والصفة عموماً لا تتجزأ - بذاتها - ولكن هل يوجد في هذه الصفة مكوّنات؟ بمعنى آخر، هل للجمال أو للحُسْن عناصر

٢٧٧ المفردات، ص ١١٨ .

٢٧٨ تاج العروس، ٧/ ٢٦٣ .

٢٧٩ يوسف، ١٣: ٨٣ .

٢٨٠ النحل، ١٦: ٦ .

٢٨١ انظر إلى: الأعراف، ٧: ١٨؛ الإسراء، ١٧: ١١٠؛ طه، ٢٠: ٨؛ الحشر، ٥٩: ٢٤ .

يُمكن لنا أن نسميها ونفهمها؟ يقول الله ﷻ:

الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
يَحْسَبَانِ ﴿٥﴾ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا
تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَالْأَرْضَ
وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ
﴿١٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ (الرحمن، ٥٥: ١-١٣)

فنرى هنا، في بداية سورة الرحمن، أن الله ﷻ ذكر الميزان ثلاث مرات.
وجاء في تفسير الجلالين:

" ﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴾ أثبت العدل. ﴿ أَلَّا تَطْغَوْا ﴾ أي لأجل
أن لا تجوروا ﴿ فِي الْمِيزَانِ ﴾ ما يوزن به. ﴿ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ ﴾ بالعدل
﴿ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴾ تُنقصوا الموزون" ٢٨٢.

لكن يلاحظ أن الله ﷻ ذكر الميزان بين ذكره للشمس والقمر والنجم
والشجر والسماء والأرض وما تُثبت الأرض، وأن الله ﷻ لم يذكر أشياء
تُنسب عادة للعدل قبل وبعد ذكر الميزان. بل ذكر الله ﷻ ما في خلقه من
طبيعة الخلق قبل وبعد الميزان ولم يذكر ثواباً وعقاباً وأشياء أخرى يتوقع
العقل أن يجدها مع ذكر العدل. فلذلك ربما يكون في ذكر "الميزان" إشارة إلى
"ميزان" أكبر، وهو التوازن والتناغم الطبيعي في خلق الله ﷻ. ودليلنا على
هذا هو "الحسبان" الذي ذكره الله ﷻ: الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ يَحْسَبَانِ ﴿٥﴾ وَالنَّجْمُ
وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ (الرحمن، ٥٥: ٥-٧)

ونعلم - كما ذكرنا سابقاً مراراً - أن الله ﷻ وضع الجمال في كل
شيء خلقه:

الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ (السجدة، ٣٢: ٧)

وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۚ

إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ (النمل، ٢٧: ٨٨)

فإنه يوجد أيضاً بالضرورة جمال في السماوات والأرض وفي مكونات كل منهما التي ذكرها الله ﷻ في بداية سورة الرحمن. فهل هذا يعني أن الميزان جزء من الجمال؟ أو بالأحرى، هل هذا يعني أن الميزان هو تركيب الجمال؟ ذكر الرسول ﷺ فضائل عدة لبعض سور وآيات القرآن الكريم. لكن بالنسبة لسورة الرحمن ذكر شيئاً فريداً من نوعه:

فعن سيدنا علي عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ:

«لكل شيء عروس وعروس القرآن الرحمن»^{٢٨٣}.

فكرة "العروس" تختلف عن فكرة "المرأة" أو "الزوجة" بشيئين: بالجمال (لأن العروس تكون عادة جميلة) وبالاحتفال (لأن العروس تختلف عن المرأة بمجداث العرس، والعُرس احتفال). فهل يوجد في حديث رسول الله ﷺ إشارة إلى جمال سورة الرحمن؟ وهل في حديث رسول الله ﷺ إشارة أيضاً إلى أنه يوجد في سورة الرحمن ذكر وشرح للجمال؟

وهذا يجعلنا نقول بأنه يوجد في ذكر الميزان إشارة إلى الجمال.

ذكر الله ﷻ مكوّنات الميزان، وهي: (١) إقامة، (٢) الوزن، (٣) القسط بينهما. في الإقامة شيء عمودي، وفي الوزن شيء أفقي، وفي القسط تناغم بينهما. من ناحية أخرى، يوجد في الإقامة شيء جلالِي (لأن الإقامة تتطلب الحق)، ويوجد في الوزن شيء إكرامي (لأن الوزن يتطلب شيئاً متوفراً وموجوداً، وبالتالي رزقاً من الله ﷻ)، ويوجد في القسط شيء كمالي. فإن كان هذا الطرح صحيحاً، فيمكن لنا أن نقول إن مكوّنات الجمال هي وجود

٢٨٣ رواه البيهقي، رقم ٤٩٠ / ٢، كتاب شعب الإيمان، باب تعظيم القرآن.

الجلال والجمال والتوفيق بينهما، وبالتالي الكمال.

وربما تكون إشارة أخرى لمكونات الجمال في بداية ونهاية سورة الرحمن. فأول آية في السورة هي: "الرَّحْمَنُ"، والرحمن (كما رأينا في فصل "الله جلّ جلاله" والحب) مصدر الحب ومصدر الخلق، وبالتالي مصدر الجمال. وآخر آية في سورة الرحمن هي: تَبَرَّكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾ (الرحمن، ٥٥: ٧٨). فربما نرى أيضاً في هذا الاسم من أسماء الله سير مكونات الجمال: فمكونات الجمال هي الجلال والإكرام والبركة بينهما. والله أعلم. وهذا ما قاله الإمام الفخر الرازي: فإنه صنفها إلى قسمين وهما الجلال والإكرام فقال:

"صفات الله تعالى نوعان سلبية وهي المسماة في القرآن بالجلال، وإضافية وهي المسماة في القرآن الكريم بالإكرام وإليه الإشارة بقوله: ... ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾ (الرحمن، ٥٥: ٧٨) ٢٨٤.

وكذلك صَنَّف بعض العلماء الآخرين (مثل الشيخ عبد الكريم بن إبراهيم الجبلي في كتابه "الإنسان الكامل") أسماء الله الحسنى إلى صنفين: أسماء الذات الإلهية (مثل: الأحد)، وأسماء الصفات. وصَنَّف أسماء الصفات إلى ثلاثة أصناف، وهي: أسماء جمال (مثل: الرحيم والجميل)، وأسماء جلال (مثل: العزيز والجبار)، وأسماء كمال (مثل: الملك والرّب)، فهل "الحسن" مُكوّن من إكرام وجلال والتكامل بينهما؟ الله أعلم.

٣٤. الباب الخامس؛ الفصل الثاني:

الدُّوق

قد ذكرنا سابقاً (في فصل "طبيعة الحب") أن الجمال موجود في الأشياء ذاتها. وذكرنا أيضاً أن الجمال حقيقة موضوعية. ورأينا أن الجمال معروف عموماً لدى الناس؛ يقول الله ﷻ:

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكَبًا وَّءَاتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ (يوسف، ١٢: ٣١)

فنسوة المدينة كلهن أجمعن على جمال يوسف ﷻ وانبهرن به.

لكن يُلاحظ أنه يوجد أحياناً اختلاف بين الناس – أو تغيّر في الناس – على أكثر ما يُعجبهم فيما بين الأشياء الجميلة. وعلى سبيل المثال إبراهيم ﷻ انتقل من الإعجاب بالكوكب وحبه إلى عدم حبه، ثم إلى الإعجاب بالقمر، ثم إلى الإعجاب بالشمس. يقول الله ﷻ:

فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى الْكَوْكَبَ ۖ قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٨﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْسَ إِلَهِي بَالْأَفَلِ ۖ وَلَئِن سَأَلْتُ النَّاسَ لَمَا تَدْعُونَ إِلَهُاتِهِمْ إِلَّا هُمْ يُسْوِغُونَ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِسُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَنْقُومُ إِلَهُي بِرَأْيٍ مِّمَّا تَشْرِكُونَ ﴿٨٠﴾ (الأنعام، ٧٦: ٧٨-٧٩)

فإعجاب إبراهيم ﷻ تغيّر حسب إدراكه للجمال. وهذا يعني أن إدراك الجمال مربوط بحالة المدرك.

بالإضافة إلى ذلك، يوجد اختلافات وفروقات بين الناس، مع أنهم من أصل واحد. يقول الله ﷻ:

يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَنُكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٠﴾ (الحجرات، ٤٩: ١٣)

وإذا كان إدراك الجمال يختلف في شخص واحد حسب حالته، فهذا يعني أيضاً أنه سيختلف من شخص إلى شخص حسب الاختلافات الطبيعية بينهم. والله ﷻ يقول:

وَأِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٣١﴾ فَتَقَطُّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۚ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ (المؤمنون، ٢٣: ٥٣-٥٢)

مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا ۚ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٣﴾ (الروم، ٣٠: ٣٢)

"كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ": هذا اللفظ الكريم يعني أن كل حزب فرح بما كان عنده، ولكن يمكن الفهم منه أيضاً أن كل حزب يفرح حسب طبيعته، أي بمعنى آخر كل حزب يفرح بشيء معين أكثر من شيء آخر حسب طبيعته الخاصة. ويقول الله ﷻ:

قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ ۖ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾ (الإسراء، ١٧: ٨٤)

وهذه الآية الكريمة تشير أيضاً إلى أن كل إنسان يختار ما يرتضيه ويحبه حسب طبيعة الحب.

وعن أبي هريرة ؓ قال رسول الله ﷺ:

«الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف»^{٢٨٥}.

فهذا الحديث يشير أيضاً إلى أن الذوق أمر خاص فطري في روح الإنسان، والله أعلم^{٢٨٦}.

٢٨٥ رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب الأرواح جنود مجندة، رقم ٢٦٣٨.

٢٨٦ يقول الله ﷻ:

وعلى أية حال، خلاصة القول هنا هو أنه بالرغم من موضوعية الجمال، فإنه يوجد في طبيعة الناس وفي الاختلافات الطبيعية بينهم شيء يؤدي إلى ذوق خاص في كل شخص. وهذا الذوق الخاص هو الذي يجعل الإنسان يُفضّل نوعاً واحداً من الجمال على نوع آخر. فالجمال موضوعي، ولكن الذوق غير موضوعي بل نفسي وذاتي، والله أعلم.

وَعَرِّضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿١٨﴾ (الكهف)

(٤٨:).

يقول الرازي في تفسيره:

"ثم قال ﷺ: لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وليس المراد حصول المساواة من كل الوجوه، لأنهم خلقوا صغاراً ولا عقل لهم ولا تكليف عليهم بل المراد أنه قال للمشرّكين المنكرين للبعث المفتخرين في الدنيا على فقراء المؤمنين بالأموال والأنصار: لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ عراة حفاة بغير أموال ولا أعوان، ونظيره قوله تعالى: وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاهُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَّآ خَوَّلْنَكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ (الأنعام: ٦٠، ٩٤) وقال تعالى: أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنِي مَالًا وَوَلَدًا ... إلى قوله: ... وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٥٠﴾ (مريم: ١٩، ٧٧-٨٠)". (الرازي، التفسير الكبير مفاتيح الغيب، ٧/ ٤٧٠).

ولكننا نقول: بأن قول الرازي في تفسير قوله ﷺ "أَوَّلَ مَرَّةٍ" تعود إلى "حفاة عراة" وليس إلى "صَفًّا" لأنه يرى تناقضاً بين مسألة أن الله ﷻ خلقنا صفاً وما جاء في الآية الكريمة من أن الله ﷻ خلقنا "فرداً". أما بالنسبة لنا فإننا لا نرى تناقضاً بينهما، وربما خلقنا الله ﷻ بصفوف طويلة المدى بحيث أن كل واحد منا يأتي بمفرده، وعلى أية حال فحقائق الآخرة وأمورها ليست كحقائق الدنيا وأمورها، كما جاء في الحديث الصحيح: "ولا خطر على قلب بشر". (رواه البخاري، رقم ٣٢٤٤، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة).

والفائدة هنا من قولنا في هذا الموضوع كله هو أن الله ﷻ أشار إلى نفس ما جاء به الحديث الشريف "أن الأرواح جنود مجنّدة"، أي أن الأرواح خلقت صفاً ولكل روح منها طبيعة خاصة، والله أعلم.

٣٥. الباب الخامس؛ الفصل الثالث:

طبيعة الجمال

بَيَّنَّ اللهُ ﷻ في القرآن الكريم أنه يوجد في طبيعة الجمال قواعد عامة.
وفيما يلي مُبَيَّن بعضها.

المطلب الأول: موضوعية الحب

الجمال موجود في المحبوب بشكل موضوعي حقيقي، وليس كما يظن البعض أنه موجود في عين الذي يُحب. لا، إنه موجود في الأشياء ذاتها، وحتى في كل الأشياء. فالله ﷻ يقول:

الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَنِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ (السجدة، ٣٢: ٧)

وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسِبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ (النمل، ٢٧: ٨٨)

يَتَأَيَّأُ الْإِنْسَانُ مَا عَمَرَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَلَكَ ﴿٢﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٣﴾ (الأنفطار، ٨٢: ٦-٨)

فالجمال في الأشياء ذاتها. يقول الله ﷻ:

وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْتَحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَنْفَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ ﴿٧﴾ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٨﴾ (النحل، ١٦: ٧-٨)

المطلب الثاني: قدرة الجمال

للجمال قدرة عظيمة، مثل قدرة الحب. فالجمال الفئان يستطيع أن يوقف من يشهده عن كل ما هو فيه، وحتى عن نفسه، وحتى عن حواسه وعن الألم. يقول الله ﷻ:

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكِنًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿١٢﴾ (يوسف، ١٢: ٣١)

فسوة المدينة انجذب وانسحرن بمجرد رؤية يوسف الطيب، وقطعن أيديهن من غير شعورهن بجاهلن. وهكذا الجمال يوقف من يُدركه، ويقطع عمله (والأيدي رمز للعمل) ويُلْهِيه عن أي شيء غيره. ولا نعلم قوة غير قوة الله ﷻ تستطيع هذا بهذه الطريقة.

المطلب الثالث: طريقة تأثير الجمال

يؤثر الجمال على من يُدركه بطريقتين.

الطريقة الأولى هي: سَحَب من يُدركه خارج ذاته، وبالتالي جَذْبه إلى حُب الشيء الجميل، وإلى حب امتلاكه - وذلك ربما بقوة وبعنف. فجمال يوسف الطيب أثار على زوجة العزيز بحيث جعلها تُريد أن تزني معه، وحتى تُريد أن تُجبره على الزنى معها. يقول الله ﷻ:

وَرَوَدَتْهُ الْمَرْءُ فَقَدْ حُبَّ زَوْجَهَا لَأَسْخَرَنَّهَا أَعِزَّتْ لَهَا وَالْأَسْخَرُ أَهْلٌ وَلَوْلَا رَحْمَةُ رَبِّكَ لَأَكِيدَنَّ فَصْلَكَ بِفَصْلِ الْمَرْءِ فَأَلَقَتْ خَلْفَهَا أَوْ يَفْزَعُ يُدْهِمُّ رَبَّهُ مَذْمُومٌ فُلُوحٌ يُقْلَعُ أَظْلَمُ مِمَّا ظَنَنْتَ لَكَ قَالَ وَمَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ

وَهُمْ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَنَ رَبِّهِ ۚ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾

(يوسف، ١٢: ٢٣-٢٥)

فلهذا حذر الله ﷻ رسوله الكريم ﷺ من "مَدَّ الْعَيْنَ" إلى الجمال.
يقول الله ﷻ:

لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ (الحجر، ١٥: ٨٨)

وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرَزَقُ رَبِّكَ حَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٣١﴾ (طه، ٢٠: ١٣١)

الطريقة الثانية هي: رجوع من يُدركه إلى ذاته، وبالتالي إلى فضائل النفس، وإلى الإيمان، وإلى السكون. فيعقوب ﷻ، استعان بجمال الصبر عند معاناته، وبالتالي سَكَنَ وتوكل على الله ﷻ. وهذا واضح بكلمات يعقوب ﷻ في الآيات التالية:

قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ (يوسف، ١٢: ٨٣)

قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحْزَنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ (يوسف، ١٢: ٨٦)

يَبْنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْيِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾ (يوسف، ١٢: ٨٧)

وكذلك صحابة رسول الله ﷺ، إذ يبايعون الرسول ﷺ تحت شجرة الحديبية: كانوا أمام المشهد العظيم وهو رسول الله ﷺ - الذي كان جمال

خَلَقَهُ وَخَلَقَهُ أَكْثَرَ حَتَّى مِنْ جَمَالِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ - وكانت "يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ" (الفتح ٤٨: ١٠)؛ فرجعوا إلى ذواتهم، والله عَلَّامُ الْغُيُوبِ أنعم عليهم بما هو أعمق من السكون، وهي السكينة. يقول الله عَلَّامُ الْغُيُوبِ:

لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ (الفتح ٤٨: ١٨)

والخلاصة، فللجمال قدرة عظيمة ونوعان من التأثير: جذب من يُدركه إلى خارج ذاته، ودفع من يجذبه إلى ذاته.

وربما نرى هذين النوعين من التأثير في جمال النساء والجذب لهن أو الرحمة بهن كمؤمنات كما هو مشار إليه في الآية الكريمة التالية:

لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعَتْ بِهِمَ أَوْ جَاءَ مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَآخِضْ بِجَنَاحِكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ (الحجر، ١٥: ٨٨)

والله أعلم.

المطلب الرابع: فائدة الجمال (والحب)

قد ذكرنا سابقاً قول الله عَلَّامُ الْغُيُوبِ:

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكِنًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿١٢﴾ (يوسف، ١٢: ٣١)

ورأينا قدرة الجمال على التسبب بحال لا يشعر مشاهد الجمال فيه بالآلم. وسنذكر في الفصل اللاحق ان شاء الله علاقة الحب بالموت. ويقول الله عَلَّامُ الْغُيُوبِ:

وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تَرْتَحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٧﴾ وَتَحْمِلُ أَوْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بِلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٨﴾ (النحل، ٦: ٧-٨)

وهذه الحالة الوحيدة في القرآن الكريم التي يذكر الله ﷻ فيها لفظ "بِشِقِّ الْأَنْفُسِ"، فهل تكون هنا إشارة إلى كيف يسهل الجمال والحب مصيبة الموت؟ ونقصد في ذلك أنه ذكر هنا الأنعام (وهو المعنى اللفظي) وكيف تسهل السفر، ولكن دُكر أيضاً الجمال وبعده دُكر بلوغ بلد مقصود حيث لا يصله أحدٌ إلا بشقِّ الأنفس، فهل نفهم أن الجمال والحب يجعلان الإنسان يستطيع ما لا يُستطاع عادة إلا بشقِّ الأنفس (أي بالقهر والموت)؟ وبمعنى آخر هل يوجد إشارة هنا إلى قدرة الجمال والحب على تلطيف مصيبة الموت – النفسي أو الجسدي (كما سنرى لاحقاً إن شاء الله) – بحيث أنه من خلال الحب والجمال يصل المرء إلى ما يؤدي إليه الموت من دون معاناة وقهر؟ فعلى سبيل المثال، نعلم تماماً أن الرسول ﷺ قد توفي في حالة شوق إلى الله ﷻ^{٢٨٧}، وكذلك سيدتنا فاطمة الزهراء رضي الله عنها لما أخبرها رسول الله ﷺ بأنها ستموت بعده قريباً فرحت لأنها كانت تشتاق إلى لقاء ربها^{٢٨٨}، فهل

٢٨٧ عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما مرض رسول الله ﷺ ونقل أخذت بيده لأصنع به نحو ما كان يصنع فأنزع يده من يدي ثم قال:

«اللهم اغفر لي واجعلي مع الرفيق الأعلى» قالت: فذهبت أنظر فإذا هو قد قضى. (رواه مسلم، ٢١٩١، كتاب السلام، باب استحباب رقية المريض).

٢٨٨ عن عائشة رضي الله عنها قالت: أقبلت فاطمة رضي الله عنها تمشي كأن مشيتها مشي النبي ﷺ فقال لها النبي ﷺ:

«لا أراه إلا حضر أجلي وإنك أول أهل بيتي لحاقاً بي» فبكت فقال: «أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة أو نساء المؤمنين» فضحكت. (رواه البخاري، ٣٦٢٤، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام. ومسلم، ٢٤٥٠، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل فاطمة بنت النبي عليهما الصلاة والسلام).

هنا دليل على قدرة الجمال والحب لتسهيل مصيبة الموت؟ فإن كان نعم، فهذه هي الفائدة الكبيرة من الجمال (والحب)؟ الجمال يجعلنا مثل نسوة المدينة اللاتي قطعن أيديهن ولم يشعرن بالألم إذ رأينَ سيدنا يوسف عليه السلام، حتى عند مصيبة الموت والقهر، والله أعلم.

وعلى سبيل مثال آخر: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال لما طُعن حرام بن ملحان وكان خاله يوم بثر معونة قال بالدم هكذا فنضحه على وجهه ورأسه ثم قال: فزت ورب الكعبة. (رواه البخاري، ٤٠٧٢، كتاب المغازي، باب غزوة الرجيع ... وبثر معونة).

٣٦. الباب الخامس؛ الفصل الرابع:

الحب والموت

المطلب الأول: موت " النفس الأمارة بالسوء "

ذكرنا سابقاً (في فصل "مراحل الحب" وفي فصل "طبيعة الحب") أن حب الله ﷻ يؤدي بالتدرج - ولكن بالضرورة - إلى موت الذي يحب في محبوبه. وليس المقصود من هذا هو الموت الجسدي طبعاً وإنما المقصود هو الموت النفسي. وقد رأينا في قصة نسوة المدينة اللواتي قطعن أيديهن عند مشاهدة يوسف عليه السلام بداية عملية موت النفس في الحب. يقول الله ﷻ:

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكِنًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿١٢﴾ (يوسف، ١٢: ٣١)

فالحب، أو الجمال الفئان، يُخرج الذي يُدركه من نفسه. ففي بداية الحب لا تؤدي هذه العملية إلى موت النفس، ولكن بعد فترة، عندما يشتد الحب، لا بد للذي يُحب أن يموت لأننا رأينا في (فصل "الوقوع في الحب") أن جميع مكونات وملكات الذي يُحب تميل إلى المحبوب بحيث يتغير الإنسان كلياً. فإذا تغير الإنسان كلياً، وتغيرت نفسه "السابقة" كلياً، ماتت هذه النفس. والمقصود بهذا، بطبيعة الحال، ليس انتهاء النفس أو أن الإنسان يصبح بلا نفس، بل إن نفسه تفقد أُنانيته كلياً، بحيث يمكن لنا أن نعتبر أن نفسه "السابقة" قد ماتت.

أي نفس هي تموت؟ قد رأينا (في فصل "الوقوع في الحب") أنه يوجد "نفس" بشكل عام، بالإضافة إلى ثلاثة "أجزاء" أو "أنواع" من النفس،

وهي: "النفس الأمارة بالسوء"، و"النفس اللوامة"، و"النفس المطمئنة".
فسنذكر هنا قول الله ﷻ بالنسبة إلى "النفس الأمارة بالسوء":

وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٣﴾
(يوسف، ١٢: ٥٣)

النفس الأمارة بالسوء هي التي تَحُثُّ الإنسان على السوء. فهذه النفس تُسَوِّلُ له وتُطَوِّعُه لعمل الشرِّ. يقول الله ﷻ:

وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۚ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾
(يوسف، ١٢: ١٨)

قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۚ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾
(يوسف، ١٢: ٨٣)

قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ ۖ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾ (طه، ٩٦: ٩٦)

فَطَوَّعَتْ لَهُ دُمْغَةً ۖ قَتَلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾ (المائدة، ٣٠: ٣٠)

وبالتالي فهذه النفس مثل الشيطان "الَّذِي يُوسِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ" ﴿٥﴾ (الناس، ١١٤: ٥)، إن لم تكن هي "القرين".

و"النفس الأمارة بالسوء" هي النفس التي تموت، و"النفس المطمئنة" هي النفس التي تبقى بعد هذا الموت، لأن الله ﷻ يقول:

يَأْتِيَهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٦٠﴾ أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَُّرْضِيَةً ﴿٦١﴾ فَأَدْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٦٢﴾ وَأَدْخُلِي جَنَّتِي ﴿٦٣﴾ (الفجر، ٨٩: ٢٧-٣٠)

"النفس المطمئنة"، بعدما ترجع إلى الله ﷻ وتدخل الجنة، لا تسمع فيها أي شيء من "النفس الأمارة بالسوء": فلا أمر بسوء، ولا تسويل، ولا محاولة لتطويعها، وحتى لا وسواس. بل تسمع في الجنة فقط سلاماً وطمينة

السَّلام. يقول الله ﷻ:

لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٢٧﴾ (الواقعة، ٥٦: ٢٥-٢٦)

لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا ﴿٢٨﴾ وَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٢٩﴾ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي

نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴿٣٠﴾ (مريم، ١٩: ٦٢-٦٣)

وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣١﴾ (يونس، ١٠: ٢٥)

سَلَّمَ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾ (يس، ٣٦: ٥٨)

أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا حَيَّةً وَسَلَامًا ﴿٣٣﴾ (الفرقان، ٢٥: ٧٥)

دَعَوْنُهُمْ فِيهَا سُبْحَنَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴿٣٤﴾ وَأَجْرٌ دَعَوْنُهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
أَعْلَمِينَ ﴿٣٥﴾ (يونس، ١٠: ١٠)

وبالتالي فعند رجوع "النفس المطمئنة" إلى ربها، فإن "النفس الأمارة بالسوء" تموت تلقائياً^{٢٨٩} وربما نرى هذا في إسلام - وبالتالي انتهاء - القرن. فقد قال رسول الله ﷺ:

«مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وَكَّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ» قَالُوا: وَإِلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟! قَالَ: «(وَلِيَّايَ) إِلَّا أَنْ اللَّهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ»^{٢٩٠}.

فلهذا بعد إسلام القرن أو موت "النفس الأمارة بالسوء" يكون

^{٢٨٩} وربما تكون هنالك إشارة إلى هذا في قول الله ﷻ:

إِنَّ الدَّيْبَ كَذَبُوا بَقَائِبِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ (الأعراف، ٧: ٤٠)

فرمما في "الجمال" إشارة إلى "النفس الأمارة بالسوء"، وفي الدخول في "سم الخياط" إشارة إلى الدخول إلى الجنة، وبالتالي إشارة إلى ضرورة موت الجملة وفناءه قبل الدخول في "سم الخياط"، أي في الجنة، والله أعلم.

^{٢٩٠} رواه مسلم، رقم ٢٨١٤، كتاب صفة القيامة والجنة، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفقتة الناس.

المسلم كالرجل السليم الذي يستمع فقط لصوت واحد خير، ويكون ميتاً بالنسبة لهزات الشر. يقول الله ﷻ:

ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا

أَحْمَدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴿١٢﴾ (الزمر، ٢٩: ٣٠-٣١)

وعلى أية حال، أشار الله ﷻ أن في قتل النفس السيئة أجراً عظيماً.

يقول الله ﷻ:

وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ

وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا لَا تَأْتِيَنَّهُمْ مِّنْ لَّدُنَّا

أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَنْ يَطْعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ

مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ

أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عِلِمًا ﴿٧٠﴾ (النساء، ٤: ٦٦-٧٠)

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُومِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجَلَ فَتَوَبُوا إِلَى

بَارِيكُمْ فاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ

الرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ (البقرة، ٢: ٥٤)

وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿١٢٢﴾ (آل عمران، ٣: ١٤٣)

فهذا يمكن لنا أيضاً أن نفهم أن الموت أثناء الجهاد في سبيل الله ﷻ هو

نوعان: الموت البدني، والموت النفسي. وربما نرى إشارة إلى الموت النفسي،

بالإضافة إلى الموت البدني، في الآيات التالية:

وَلَيْنِ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٠٧﴾

وَلَيْنِ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٠٨﴾ (آل عمران، ٣: ١٥٧-١٥٨) وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ

فِي الْأَرْضِ مُرَغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَنْ تَخَرَّجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٨﴾ (النساء، ٤: ١٠٠)

وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقْنَهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٥٩﴾ لِيَدْخُلْنَهُمْ مُدْخَلَ بَرْزَخٍ ۖ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ (الحج، ٢٢: ٥٩-٥٨)

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا ﴿٦١﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٢٣)

إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ ۚ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ۚ فَاسْتَبَشِرُوا بِنُبْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٢﴾ (التوبة، ٩: ١١١)

فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ۚ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٣﴾ (النساء، ٤: ٧٤)

فالموت النفسي في سبيل الله هو غاية الجهاد ضد النفس، كما أن الموت البدني في سبيل الله يحصل في الجهاد ضد العدو. فلذلك قال رسول الله ﷺ: «تحفة المؤمن الموت»^{٢٩١}.

وقال رسول الله ﷺ:

«كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»^{٢٩٢}.



٢٩١ رواه الحاكم، المستدرک، ٤/٣٥٥.

٢٩٢ رواه البخاري، برقم ٦٤١٦، كتاب الرقاق، باب قول النبي كن في الدنيا كأنك غريب.

المطلب الثاني: موت " النفس الأمارة بالسوء " من خلال حب الله ﷻ

رأينا آنفاً أن " النفس الأمارة بالسوء " تموت في سبيل الله ﷻ. وبين الله ﷻ علاقة الحب في هذا الموت. وقد رأينا سابقاً (في فصل "أنواع الحب") أن الولاية نوع من أنواع الحب. وبين الله ﷻ أن الولي هو الذي يتمنى الموت. يقول الله ﷻ:

قُلْ يَتْلِيهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ رَعَمْتُمْ أَنْكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٢﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾
(الجمعة، ٦٢: ٧-٦)

وقال الله ﷻ أيضاً:

قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَنْ يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾
(البقرة، ٩٤: ٩٥-٩٥)

فأولياء الله ﷻ يُحبونه، ومن حبهم له ﷻ يَتَمَنُّونَ الموت، وتموت نفوسهم "الأمارة بالسوء" فيكونون بعد ذلك آمنين. يقول الله ﷻ:

أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٠٠﴾ (يونس، ١٠: ١٢٢)

وبعد ذلك يكونون بإذن الله مثل رسول الله ﷺ في حبهم المخلص لله عبر الحياة والموت:

قُلْ إِنِّي هَدَيْتَنِي رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٤﴾ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٥﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۗ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ (الأنعام، ١٦١: ١٦٣-١٦٣)

وهذه الحالة - أو حالة قريبة منها - هي حالة جميع الذين يحبون الله ﷻ حباً صادقاً ويتبعون مرضاة الله ﷻ لدرجة أنهم مستعدون استعداداً

كاملاً للشهادة في سبيله من شدة حبه لله ﷻ. وكانت هذه الحالة هي حالة سيدنا علي كرم الله وجهه إذ أخذ مكان رسول الله ﷺ في سريرته عند محاولة الكفار اغتيال رسول الله ﷺ، كما هو مشار إليه في الآية الكريمة التالية حسب بعض التفسير:

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ (البقرة، ٢)

قال الفخر الرازي: "في سبب النزول روايات ... والرواية الثالثة: نزلت في علي بن ابي طالب، بات على فراش رسول الله ﷺ ليلة خروجه إلى الغار" ٢٩٣.

المطلب الثالث: عذاب النفس التي تُحب ولا تموت بالله

كل ما ذكرناه آنفاً صحيح بالنسبة للذين يُحبون الله ﷻ. أما بالنسبة للذين يُحبون غير الله ﷻ، فما مصيرهم إذا اشتد الحب؟ هل يموتون؟ وكيف تموت نفوسهم "الأماراة بالسوء" إذا كان حبه لذنبي أو شرك؟ يقول الله ﷻ:

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ (البقرة، ١٦٥)

بين الله ﷻ في هذه الآية الكريمة والعظيمة أنَّ الذين يصلون في حب غير الله إلى درجة الحب التي لا تنبغي إلا لله ﷻ فقط ("يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ") لا تموت نفوسهم كالذين يحبون الله ﷻ، ولكن يُصيبهم عذاب شديد ("أَنَّ اللَّهَ

شَدِيدُ الْعَذَابِ "). أما بالنسبة للذين يُحبون الله ﷻ، فحُبهم أشد من ذلك، وبما أن الله ﷻ له " **الْقُوَّةُ** " **جَمِيعًا** "، فإنهم يموتون، ثم يُحْيَوْنَ بالله كما سنرى فيما يلي إن شاء الله.

المطلب الرابع: الحياة بالله بعد موت النفس

من المعروف أن كل إنسان سيذوق الموت. يقول الله ﷻ:

إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِلَهُمْ مَيِّتُونَ ﴿٣٩﴾ (الزمر، ٣٩: ٣٠)

كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأَدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ (آل عمران، ٣: ١٨٥)

كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُّوْكُمْ بِالْشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٢٥﴾ (الأنبياء، ٢١: ٣٥)

كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ (الحكيت، ٢٩: ٥٧)

أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ (النساء، ٤: ٧٨)

ولكن "ذوق الموت" يختلف من شخص لآخر. بالنسبة للذين ماتت أنفسهم "الأمارة بالسوء" الموت النفسي، من قبل فهؤلاء يموتون وهم "طيبون" ثم يدخلون الجنة. يقول الله ﷻ:

الَّذِينَ تَتَوَفَّيْهُمْ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُوتَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ (النحل، ١٦: ٣٢)

ربما تكون كلمة " **طَيِّبِينَ** " إشارة لطيفة بالإضافة إلى معناها " طاهرين من

الكُفْر" ٢٩٤. فكلمة "طَيِّب" تعني أيضاً "حَي"، وفي هذه الحالة يكون بالضرورة الموت المذكور في الآية أعلاه هو موت "النفس الأمارة بالسوء". لكن كيف يدخل الجنة الإنسان الذي ماتت نفسه "الأمارة بالسوء" ولم يمت جسدياً؟

نعلم أن الرسول ﷺ دخل الجنة وهو حي جسدياً في ليلة المعراج. ونعلم أيضاً أن بلالاً ؓ كان في الجنة - أو على الأقل كانت روحه في الجنة - وجسده حي يرزق في الدنيا. قال رسول الله ﷺ:

«يَا بِلَالُ حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتُهُ فِي الْإِسْلَامِ فَإِنِّي سَمِعْتُ ذَفَّ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الْجَنَّةِ» قَالَ: مَا عَمِلْتُ عَمَلًا أَرْجَى عِنْدِي أَنِّي لَمْ أَطْهَرْ طَهُورًا فِي سَاعَةٍ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ إِلَّا صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطَّهُورِ مَا كُتِبَ لِي أَنْ أَصَلِّيَ ٢٩٥.

ونعلم أيضاً أن سائر العباد الذين يتقربون إلى الله بالنوافل يُمكن لهم أن يُحِقِّقُوا ما هو أعظم من الجنة. فالله ﷻ يقول في الحديث القدسي:

«(من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ٢٩٦ ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره

٢٩٤ جلال الدين الحلبي وجمال الدين السيوطي، تفسير الجلالين، ص ٣٤٩.

٢٩٥ رواه البخاري، رقم ١١٤٩، كتاب الجمعة، باب فضل الطهور بالليل والنهار وفضل الصلاة بعد الوضوء.

٢٩٦ وهذه الحالة في طبيعة الحال، كانت حالة رسول الله ﷺ أكثر من أي مؤمن آخر، وربما نرى إشارة إلى ذلك في الآية الكريمة (التي نزلت تتحدث عن معركة بدر):

فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتُمْ إِذْ رَمَيْتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلَئِنْ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا

إِنَّا اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ (الأنفال: ٨، ١٧)

ونعلم أيضاً أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان "ميتاً" فأحياه الله جل جلاله وجعل له نوراً يمشي بالناس. يقول الله جل جلاله:

أَوْمَن كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ (الأنعام، ٦: ١٢٢)

ويقول ابن كثير في تفسيره، عن هذه الآية: "وزعم بعضهم أن المراد بهذا المثل رجلان معينان، فقبل: عمر بن الخطاب هو الذي كان ميتاً فأحياه الله، وجعل له نوراً يمشي به في الناس" ٢٩٨ .

وواضح من هذا كله أنه يمكن للولي - بإذن الله جل جلاله - أن يكون حياً بالله بعد موت نفسه "الأماراة بالسوء"، وبالتالي أن يدخل الجنة وجسده ما زال حياً يرزق في هذه الدنيا. ففي الحب موت في الله، وفي الحب حياة في الله بعد الموت في الله. يقول الله جل جلاله:

وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ (البقرة، ٢: ١٥٤)

وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿٢٦﴾ (آل عمران، ٣: ١٦٩)

فحتى لو لم يدركه الإنسان، فإن نهاية الحب هو الموت في الله ثم الحياة في الله والجنة ٢٩٩ ، حتى أثناء الحياة الدنيا. وهذا "الفناء" و"البقاء" في الله هو

٢٩٧ رواه البخاري، رقم ٦٥٠٢، كتاب الرقاق، باب التواضع.

٢٩٨ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ص ٧١٨، ولكن يقول ابن كثير أيضاً أن هذا الوصف القرآني ينطبق على كل مؤمن حقيقي كان كافراً في السابق.

٢٩٩ ويمكن لنا أن نفهم ذلك أيضاً من الآية الكرعة التالية:

أيضاً غاية الحب، وربما غاية الحياة كلها. فلماذا أمر الله ﷻ الرسول ﷺ أن تكون حياته ومماته وكُله لله. يقول الله ﷻ:

قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۚ وَبِذَلِكَ
أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢٨﴾ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغَىٰ رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ
كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَظَمًا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا
كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٩﴾ (الأنعام، ١٦٢-١٦٤)

فلماذا أيضاً، يدعونا الله ﷻ لما يُحيينا، ويُدكرنا بأنه هو الذي يحول
بيننا وبين قلوبنا:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ
اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ۚ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ (الأنفال، ٢٤)

مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ ۚ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ۚ وَلَنَجْزِيَنَّهُ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾
(التحل، ١٦: ٩٦)

انظر أيضاً إلى: هود، ١١؛ الكهف، ١٨؛ طه، ٢٠؛ طه، ٧٣؛ طه، ٢٠؛ القصص، ٢٨؛
القصص، ٢٨؛ الأعلى، ٨٧؛ ١٧.

٣٧. الباب الخامس؛ الفصل الخامس:

اللقاء والرضوان

يوجد في الزواج الطبيعي بين الرجل والمرأة نوعان عظيمان من اللقاء هما: النظر والمعية^{٣٠٠}.

يقول الله ﷻ:

قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَرَزَكُنَّ ۖ إِنَّ اللَّهَ حَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠٠﴾ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ خُمُرَهُنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرَ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَتِ النِّسَاءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا تَخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا ۖ إِنَّهُ أَلَمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ ﴿٣٠١﴾ (النور، ٢٤: ٣٠٠-٣٠١)

وقال الرسول ﷺ:

«انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما»^{٣٠١}.

ومن هنا يتبين أن في الزواج الطبيعي أمرين عظيمين، وهما النظر إلى المحبوب، والزواج (وعين الزواج بطبيعة الحال هو الجماع).

٣٠٠ وفي طبيعة الحال الجماع هو أمر أساسي في المعية الزوجية.

٣٠١ رواه الترمذي وحسنه برقم (١٠٨٧) في كتاب النكاح، باب ما جاء في النظر إلى المخطوبة.



وأنه يوجد للعبد في الجنة نوعان عظيمان من اللّقاء مع الله ﷻ:

(أ) النوع الأول هو: النظر إلى الله ﷻ. يقول الله ﷻ:

﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (القيامة، ٧٥: ٢٢-٢٣)

(ب) أما بالنسبة للنوع الثاني، فقد ذكرناه سابقاً (في فصل "حب الله للناس" وفي فصل "مراحل الحب") أنه يوجد بين الله والعبد "معية عامة" و"معية خاصة" (و"معية خاصة جداً"). وبالنسبة "للمعوية الخاصة"، ذكر الله ﷻ أنه مع المؤمنين. يقول الله ﷻ:

﴿إِن تَسْتَغْفِرُوا لَكُمْ أَسْفَلَ سَافِلَاتِهِ فَإِن تَنبَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُوا نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِتْنَتُكُمْ شَيْئاً وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأنفال، ١٩)

ولكن لم يذكر الله ﷻ ولا مرة واحدة في كل القرآن الكريم أن المؤمنين - أو حتى رسول الله ﷺ - مع الله ﷻ. بل أعظم نعمة ذكرها الله ﷻ في الجنة هي نعمة "الرضوان". يقول الله ﷻ:

﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكِنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾

﴿التوبة، ٩: ٧٢﴾ ٣٠٢

٣٠٢ انظر أيضاً إلى: آل عمران، ٣: ١٥؛ آل عمران، ٣: ١٦٢؛ آل عمران، ٣: ١٧٤؛ المائدة، ٥: ٢؛ المائدة، ٥: ١٦؛ التوبة، ٩: ٢١؛ التوبة، ٩: ١٠٩؛ محمد، ٤٧: ٢٨؛ الفتح، ٤٨: ٢٩؛ الحديد، ٥٧: ٢٠؛ الحديد، ٥٧: ٢٧؛ الحشر، ٥٩: ٨.

فَقَوْلُهُ ﷺ " **رِضْوَانٌ مِنْ رَبِّ اللَّهِ** " وصفه الله ﷻ بأنه " **أَكْبَرُ** " ، ويُفهم من ذلك أن رضوان الله أكبر من أي شيء آخر، وبالتالي فإن رضوان الله نوع من المعية مع الله في الجنة، لأنه لا شيء أكبر من المعية مع الله. وأكد هذا رسول الله ﷺ في الحديث التالي:

«إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى يَا رَبُّ وَقَدْ أُعْطِينَا مَا لَمْ نُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَلَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُونَ: يَا رَبُّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أَجَلُ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا»^{٣٠٣}.

فـ "الرضوان" من "الرضا" - وبالتالي من الحب - ولكنه أعظم من الرضا. والله ﷻ يُجِلُّ على عبده "الرضوان"، فهو نهاية الآخرة التي لا نهاية لها، وهو نهاية الحب الذي لا ينتهي، ولا يمكن لنا أن نقول أكثر من هذا، والله أعلم.



في الفصل السابق ("الحب والموت") ذكرنا أن الولي قد يدخل الجنة في حياته، مثل رسول الله ﷺ في المعراج. فهل ينظر الولي إلى الله ﷻ في الدنيا؟ إذ الأبصار لا تُدرك الله ﷻ:

لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿٢٥٥﴾ (الأنعام: ٢٥٣)

وحتى الرُّسل لا يرون الله ﷻ بأعينهم. يقول الله ﷻ:

٣٠٣ رواه البخاري، رقم ٦٥٤٩، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار. ومسلم، رقم ٢٨٢٩، كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب إحلال الرضوان على أهل الجنة.

وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرِنِي وَلَكِنِ
أَنْظُرَ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي ۚ فَلَمَّا تَخَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ
دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ

(الأعراف، ٧: ١٤٣)

لكن الفؤاد يرى آيات الله الكبرى. يقول الله ﷻ:

مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۚ (النجم، ٥٣: ١١)

مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۚ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ (النجم، ٥٣: ١٧-١٨)

وبما أن هذا حصل في حياة الرسول ﷺ الدنيوية، يمكن لنا أن نستنبط
أن فؤاد الولي قد يرى في حياته الدنيوية آيات الله ﷻ.

أما بالنسبة للرضوان، فهل يُحِلُّ الله ﷻ رضوانه على الإنسان وهو
حي؟ الجواب هو أننا لا نعلم ذلك، ولكن نعلم أن الله ﷻ قد يُؤتي عبده في
حياته الدنيوية "رحمة من عنده" وقد يُعلِّمه "من لدنه علماً". يقول الله ﷻ:

فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِمَّا لَدُنَّا عِلْمًا (الكهف، ١٨)

(٦٥:

وإضافة إلى ذلك، فإن الله ﷻ يُنْزِلُ الروح على من يشاء من عباده.

يقول الله ﷻ:

يُنْزِلُ الْمَلَكُوتَ بِالرُّوحِ مِمَّنْ أَمَرَهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِمَّنْ عِبَادِهِ ۚ أَنْ أَنْذِرُوهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا

أَنَا فَاتَّقُونِ (النحل، ١٦: ٢)

رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِمَّنْ أَمَرَهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِمَّنْ عِبَادِهِ ۚ لِيُنْذِرَ يَوْمَ

الْتِقَافِ (غافر، ٤٠: ١٥)

فلنستمع إلى قول يعقوب عليه السلام، أن لا نياس من روح الله ﷻ أبداً.

يقول الله ﷻ:

يَنْبَنِيَّ أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْيِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيِسُ مِنْ
رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٧﴾ (يوسف، ١٢: ٤٧)

ويقول الله ﷻ:

وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ ﴿٤٨﴾ (الرحمن، ٥٥: ٤٦)

وقال ابن عربي في تفسيره (وقيل إنه تفسير عبد الرزاق القاشاني في الحقيقة) لهذه الآية الكريمة:

"﴿جَنَّاتٌ﴾ إحداهما جنة النفس والثانية جنة القلب" ٣٠٤.

فربما يكون في هذه الآية إشارة أيضاً إلى نوعين من اللقاء مع الرب وهما النظر إلى الله ﷻ في الآخرة، و"المعية الخاصة" مع الله ﷻ في الآخرة، والله أعلم.



٣٨. الباب الخامس؛ الفصل السادس:

المقصود الحقيقي وراء كل حب

قد رأينا سابقاً (في فصل "الكون والحب") أن كل شيء يُحب الله ﷻ حباً طبيعياً فطرياً، باستثناء الكافرين والمنافقين والظالمين. ويجب أن نضيف إلى ذلك أن الإنسان في كل ما يسعى إليه فإنه يقصد الله ﷻ في الحقيقة، حتى ولو لم يُدرك هذا، وهذا صحيح حتى عند الكافرين والمنافقين والظالمين. ونرى هذا حتى في جذور الكُفر والنفاق والظلم، وذلك في وعد الشيطان الباطل لآدم عليه السلام، ليُغريه. يقول الله ﷻ:

فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَّخِذُ هَلْ أَذُنُكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٌ لَّا يَبْلَى ﴿٢٠﴾

(طه: ٢٠، ٢١)

"البقاء" هو الله ﷻ، و"الملك الذي لا يَبْلَى" هو له أيضاً. والشيطان وَعَدَ آدَمَ عليه السلام أن يذله عليهما، فآدم عليه السلام عندما استجاب للشيطان، كان يقصد أن يذله الشيطان كيف له أن يتحلَّى بصفات ومُلْك الله ﷻ. ففي هذا كان يقصد آدم عليه السلام ما ينبغي لله ﷻ فقط. فخطؤه أنه كان يريد أن يشارك الله ﷻ فيما عنده، أو أن يكون عنده مثل ما عند الله ﷻ. لكن في كلتا الحالتين، كان آدم عليه السلام يُريد الله ﷻ في نهاية المطاف، لأنه كان يُريد صفاته، والذي يُريد الصفات يُريد ذات الصفات من غير أن يُدرك ذلك. وبالفعل لم يكن آدم عليه السلام يُريد شيئاً سوى صفات الله ﷻ.

ويقول الله ﷻ:

زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَقَابِلِ ﴿١٤﴾

(آل عمران: ١٤، ١٥)

من خلال حب شهوة النساء والبنين والقناطير المقنطرة والذهب والفضة والخيول والأنعام والحراث، يُريد الإنسان الجمال والعز والغنى والقوة والرزق. وهذه الأشياء كلها تأتي أصلاً من الله ﷻ، وتعكس صفاته وأسماءه الحسنى. فالذي يُريدها لا يُريد شيئاً خارج صفات الله ﷻ وأفعاله، ولو أخطأ في تفضيل حُبها لذاتها على حب الله ﷻ وحب الإيمان وما أمر به الله ﷻ. ويقول الله ﷻ:

وَجَدْتُهُا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ (النمل، ٢٤: ٢٤)

فملكة سبأ كانت بسجودها للشمس من دون الله ﷻ تبحث في الحقيقة عن الله ﷻ، ولكنها كانت تظن أن الشمس هي الله. وهذا كله واضح في قصة إبراهيم عليه السلام إذ كان يُرشد عقول قومه إلى الله ﷻ، أولاً في الكوكب، ثم في القمر، ثم في الشمس، ثم عرفهم أن الله ﷻ هو الذي خلق السماوات والأرض وأنه ليس كوكباً ولا قمراً ولا شمساً، ليكونوا من المهتدين. يقول الله ﷻ:

فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى الْكَوْكَبَ ۖ قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْسَ إِلَهِنَّ وَلَهُنَّ لَبَنُونَ ۚ قَالَ أَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَدْعُونَ ۖ إِيَّاهُ تَدْعُونَ ۚ فَاتَّبَعُوهُ ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَنْقُومُ رَبِّي بِرَّيَّ ۖ مِمَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٧﴾ إِيَّاهُ تَدْعُونَ ۚ فَاتَّبَعُوهُ ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٢٨﴾ فَلَمَّا رَأَى النَّجْمَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَنْقُومُ رَبِّي بِرَّيَّ ۖ مِمَّا تَدْعُونَ ۚ فَاتَّبَعُوهُ ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّا رَأَى النَّجْمَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَنْقُومُ رَبِّي بِرَّيَّ ۖ مِمَّا تَدْعُونَ ۚ فَاتَّبَعُوهُ ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٣٠﴾

تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْآمَنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ (الأنعام، ٧٦-٨٢)

فكل ما يريده الإنسان في الحقيقة هو الله ﷻ وصفاته وأسماءه الحسنى وأفعاله، لكن لا يدرك ذلك لأنه يرى، من جهله، ظاهر الأمور فقط، وهذا وضع لا يكفي عند الله ﷻ . يقول الله ﷻ:

يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ ﴿٨٣﴾ (الروم، ٣٠: ٧)
فَأَعْرِضْ عَنْ مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٨٤﴾ ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَن اهْتَدَىٰ ﴿٨٥﴾ (النجم، ٥٣: ٢٩-٣٠)

وَمَا يَتَّبِعْ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٨٦﴾ (يونس، ١٠: ٣٦)

والمدحش في هذا كله هو كيف أن الإنسان لا يعلم أنه يريد الله ﷻ وصفاته في كل واحدة من رغباته: فما الذي يستطيع أن يحجب الله ﷻ؟ يقول الله ﷻ:

يَتَابِعُ الْبَاطِنُ مَا عَرَكَ رَبِّكَ أَكْرِمُ ﴿٨٧﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَلَكَ ﴿٨٨﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨٩﴾ (الأنفطار، ٨٢: ٨-٦)

الجواب هو أن لا شيء يستطيع أن يحجب الله ﷻ، ولكن ذنوب الإنسان تحجب الإنسان عن الله ﷻ. يقول الله ﷻ:

كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٠﴾ (الطغف، ٨٣: ١٤)

ويقول الله ﷻ:

وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا إِمَّا يَبْتَغَِنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٩١﴾ (الإسراء، ١٧: ٢٣)

ويقول ابن عجيبة في تفسير هذه الآية:

"قلت: (قضى)، هنا، بمعنى حَكَمَ وأوجب وأمر، لا بمعنى القضاء، إذ لو كان كذلك لما عُبد غير الله" ٣٠٥.

فأثار ابن عجيبة هنا نقطة مهمة وهي معنى كلمة "قَضَى": فحسب تفسيره يكون معنى كلمة "قَضَى" هنا يُخالف معناها الطبيعي، لأنه اعتبر جملة "وَقَضَى رَبُّكَ" "أمراً تكليفاً"، لأنه يرى أن اعتبار هذه الجملة "أمراً تكوينياً" مستحيل، فيقول: "إذ لو كان كذلك لما عُبد غير الله". ويقول الله ﷻ:

إِذَا جَاءَكَ الْمُتَنَفِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُتَنَفِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ (المنافقون، ٦٣: ١)

فقول المنافقين في هذه الآية الكريمة (إن محمداً ﷺ هو رسول الله) صحيحٌ بحد ذاته، ولكن الله ﷻ حَكَمَ عليه بأنه كذبٌ منهم، وذلك لأنهم قالوه بنية كاذبة. قال الله ﷻ:

... يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ... (الفتح، ٤٨: ١١)

وقال الرسول ﷺ:

«إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى ...» ٣٠٦.

فلهذا هل يجوز لنا هنا أن نعتبر الجملة الكريمة "وَقَضَى رَبُّكَ" "أمراً تكوينياً"، وليس "أمراً تكليفاً"، عكس ما قاله ابن عجيبة؟ أي بمعنى آخر، هل يجوز لنا أن نعتبر أنه يوجد في الآية الكريمة (الإسراء، ١٧: ٢٣) إشارة إلى أن المقصود الحقيقي وراء كل حب هو الله ﷻ وحده؟ ففي هذه الحالة يكون

٣٠٥ أبو العباس أحمد بن محمد بن عجيبة، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ص ١٩٢، مجلد رقم ٣.

٣٠٦ صحيح البخاري، كتاب الإيمان، رقم ١.

المشركون لا يقصدون في شركهم إلا الشرك وليس عبادة الله ﷻ - لذلك تبقى عبادتهم شركاً - ولكن يكون الله ﷻ وصفاته وراء مقصودهم من غير أن يدركوا ذلك، والله أعلم. فعلياً هذا هو المعنى اللغوي لـ "قَصَى". ويقول الله ﷻ:

﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ (يونس: ١٠٠)

وجاء في تفسير الجلالين:

" (أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ) عبداً وملكاً وخلقاً (وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ) يعبدون (مِنْ دُونِ اللَّهِ) أي غيره أصناماً (شُرَكَاءَ) له على الحقيقة، تعالى عن ذلك (إِنْ) ما (يَتَّبِعُونَ) في ذلك (إِلَّا الظَّنَّ) أي ظنهم أنها آلهة تشفع لهم (وَإِنْ) ما (هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ) يكذبون في ذلك " ٣٠٧.

ولذلك فشركاء المشركين ليس لديهم أية حقيقة أو أي وجود أصلاً - ولهذا فإن عبادتهم لم تكن إلا الظن - وبالتالي فعبادتهم بالضرورة عبادة شيء مختلف بالحقيقة عما يظنون. وكل من في السماوات والأرض هو الله ﷻ، فهذا يعني أن الشيء الذي يعبده المشركون في الحقيقة هو إما الله ﷻ - وبطبيعة الحال فإن الله ﷻ "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ" (الشورى: ٤٢: ١١) - أو الله ﷻ، وبالتالي صفاته أو أفعال صفاته.

ويقول الله ﷻ:

﴿إِنَّ الْمُتَنَفِّقِينَ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالٍ يُرَاءَوْنَ النَّاسَ وَلَا يُذَكِّرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلاً﴾ (النساء: ١٤٢)

فرما تكون إشارة أخرى هنا لهذه الفكرة في قوله "وَهُوَ خَدِيعُهُمْ"، والله أعلم.

وعلى أية حال، فالله ﷻ هو المقصود الحقيقي وراء كل حب - سواء أدرك الإنسان ذلك أم لم يُدرکه - كيف لا و:

هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣١﴾ (الحديد، ٥٧: ٣)

وكيف لا يكون الله ﷻ المقصود الحقيقي وراء كل حب، وهو ﷻ يقول:

وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ (البقرة، ٢: ١١٥)

وربما هذا يكون سر من أسرار قوله ﷻ:

وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ (التوبة، ٩: ١١٨)

أي بمعنى آخر، أن الله هو المقصود الحقيقي وراء كل حب، فلا ملجأ منه بتاتاً إلا إليه، وبالتالي لا ملجأ من حبه بلا إدراك وقصد إلا إلى حبه مع إدراك وقصد، والله أعلم.

الحب في القرآن الكريم
باب خاتمة الرسالة

٣٩. خلاصة واستنتاج

المطلب الأول: الخلاصة

(١) بعد المقدمة والتمهيد ذكرنا في الفصل الثالث من باب المقدمات (تعريف الحب)، وبيئنا تعريف الحب في حق الخالق وفي حق المخلوق، وأن معناه في حق المخلوق هو: "مِيلٌ من بعد الإعجاب إلى الحُسْن"، وهذا تعريف استنبطناه من كلام الله ﷻ مباشرة وهو لا يختلف في جوهره عما قاله كثير من العلماء. أما بالنسبة لحب الله ﷻ فهو: "حب الجمال"، وبيئنا مما ذكرناه من كلام العلماء وخاصة الإمام الغزالي أن الحب بمعنى الميل مُحال على الله ﷻ، إذ قال إن "معنى محبة الله للعبد هي تقريبه من نفسه بدفع الشواغل والمعاصي عنه وتطهير باطنه من كدورات الدنيا ورفع الحجاب عن قلبه ...".

(٢) ذكرنا في الفصل الأول من الباب الأول (الله ﷻ والحب): إن حب الله لعباده حقيقة ثابتة في القرآن الكريم، وبيئنا أن أصل هذه المسألة هو ارتباط اسم الجلالة (الله) باسمه "الرَّحْمَن" واسمه "الرَّحِيم" وأن رحمته ﷻ شاملة للخلق جميعاً، ومن أدلة ذلك قوله ﷻ: ... رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا

... (غافر، ٤٠: ٧).

(٣) ذكرنا في الفصل الثاني من الباب الأول (الحب أصل الخلق): أن

الحب أصل الخلق وأن الله ﷻ خلق الخلق للرحمة، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما "وللرحمة خلقهم"، وبيننا أن هناك رأياً آخر يقول: بأن الله ﷻ "خلق أهل الرحمة للرحمة وأهل الاختلاف للاختلاف"، وقد أخذنا بالرأي الأول لأنه قول ابن عباس رضي الله عنهما ولأنه الأصوب لغوياً.

(٤) ذكرنا في الفصل الثالث من الباب الأول (الكون والحب): قضية الكون وحبه لله ﷻ، وكيف أن الكون كله يسبح الله ﷻ ويحمده فطرياً، وملخص ذلك كله قول الله ﷻ: **... وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ...** (الإسراء، ١٧: ٤٤).

(٥) ذكرنا في الفصل الرابع من الباب الأول (حب الله ﷻ للناس): قضية حب الله ﷻ للناس، وبيننا فضل الله على الناس وكيف أن الله ﷻ خلق الإنسان في أجمل صورة وأحسن تقويم وفضله على كثير ممن خلق، وأن الله ﷻ ذكر في كتابه الكريم ثمانية أصناف من الناس الذين يحبهم، وهم: المتوكلون، والمتطهرون، والتوابون، والمقسطون، والذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص، والصابرون، والمتقون، والمحسنون، وأن القاسم المشترك بين هذه الأصناف هي التحلي بأنواع الفضائل. وذكرنا معية الله لعباده وأن هذه المعية إما معية عامة للخلق، أو معية خاصة للذين يحبهم الله ﷻ وهم الأنبياء والمرسلون والمؤمنون (وبالذات الصابرون والمتقون والمحسنون منهم).

(٦) ذكرنا في الفصل الخامس من الباب الأول (حب الله ﷻ لرسله وأنبيائه): حب الله ﷻ لرسله وأنبيائه وأن من ذلك تفضيله ﷻ لرسله وأنبيائه على جميع خلقه بما فيهم أوليائه وأن الله أرسل إلى كل أمة نذيراً، وأنه

ﷺ ذكر أسماء خمسة وعشرين من الأنبياء والمرسلين في القرآن الكريم، وأن كل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً، وأن أولي العزم من الرسل خمسة وهم: سيدنا نوح وسيدنا إبراهيم وسيدنا موسى وسيدنا عيسى وسيدنا محمد عليهم الصلاة والسلام، وأنه لا يجوز للمؤمنين أن يفرقوا بين أحد من رسل الله ﷺ الذين ذكر الله فضلهم (وفضل أنبيائه) في كتابه الكريم بقوله: ... **وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ** ﴿٨٥﴾ (الأنعام: ٦، ٨٥)، وأن الله اختص بحبه سيدنا محمداً ﷺ بدلائل عديدة في القرآن الكريم.

(٧) ذكرنا في الفصل السادس من الباب الأول (الذين لا يحبهم الله ﷻ): من لا يحبهم الله ﷻ ونص عليهم في القرآن الكريم وهم: الكافرون، وكل كفار أثيم، والمعتدون، والمختال الفخور، والخوان الأثيم، وكل خوان أثيم، والخائنون، والمفسدون، والمسرّفون، والفرحون، والظالمون، والمستكبرون. وذكرنا أن الله ﷻ لا يحب الأعمال السيئة على مختلف أنواعها، وأنه ﷻ يكره بعض الأعمال، ولكنه لم يذكر أنه يكره أشخاصاً بعينهم.

(٨) ذكرنا في الفصل الأول من الباب الثاني (حب الرسول ﷺ لله ﷻ): قضية حب الرسول ﷺ لله ﷻ، وبيّنا أنه ﷺ أول من أسلم ... **أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ** . . . (الأنعام: ٦٤: ١٤)، **أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ** ﴿١٢﴾ (الزمر: ٣٩، ١٢)، وأنه أول العابدين، وأنه الأسوة الحسنة، وأنه ﷺ بلغ من حبه لربه ﷻ أن كان نسكه وحياته ومماته لله ﷻ وهذا هو الحب المطلق الكامل لله ﷻ.

(٩) ذكرنا في الفصل الثاني من الباب الثاني (حب الرسول ﷺ للمؤمنين): قضية حب الرسول ﷺ للمؤمنين، وأن الله ﷻ جعله شاهداً

ومبشراً ونذيراً، وأمره أن يستغفر للناس، وأنه بالمؤمنين رؤوف رحيم، وأنه كان يشفق حتى على الكافرين ويجب الهداية لهم بدليل قوله ﷺ: **لَعَلَّكَ بَخِيعٌ** **نَفْسِكَ إِلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ** (الشعراء، ٢٦، ٣)، وأنه ﷺ كان شديد الحياء وخاصة من المؤمنين، وهذا دليل قاطع على حب رسول الله ﷺ للمؤمنين، وحرصه على الناس لينالوا الجنة ورضوان الله ﷻ.

(١٠) ذكرنا في الفصل الأول من الباب الثالث (حب الإنسان لله ﷻ): قضية حب الإنسان لله ﷻ، وبيئاً أن حب الإنسان لله سهل وطبعي، لأن الله ﷻ أسبغ عليه نعمه الظاهرة والباطنة، وبيئاً أن مجرد عاطفة الحب فقط لا يقبلها الله من الإنسان بل يطلب من الإنسان الحب الحقيقي باتباع الرسول ﷺ في أخلاقه وفي أعماله وفي كافة أموره ليكون صادقاً في حب الله ﷻ بكل وجدانه، فإذا اتبع المؤمن الرسول ﷺ وصدق في ذلك وذكر الله كثيراً فإنه ينطبق عليه قول الله ﷻ: ... **وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ** ... (البقرة، ٢: ١٦٥) . وذكرنا أيضاً كيف يؤدي حب الله ﷻ إلى حب ما يُذكر بالله ﷻ وما يؤدي إلى الله ﷻ.

(١١) ذكرنا في الفصل الثاني من الباب الثالث (حب المؤمن للرسول ﷺ): قضية حب المؤمن للرسول ﷺ، وبيئاً أن المؤمن الصادق يحب الرسول ﷺ لأنه يعلم أنه حريص على الناس، ورؤوف رحيم بالمؤمنين، وأنه يشفع للمؤمنين يوم القيامة، ويجب أن يدخلهم الله ﷻ الجنة، كما يحب المؤمن رسول الله ﷻ لجماله ﷺ الخُلقي الذي شهد الله ﷻ له فيه بقوله ﷻ: **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ** (القام، ٦٨، ٤) . فإذا كان عند بعض المؤمنين نقص في ذلك الحب فإنما هو لعدم إدراكهم لذلك الجمال الخُلقي ولتلك الفضائل التامة لرسول الله ﷻ، فمحبته

سيدنا رسول الله ﷺ واحترامه والتأدب معه والصلاة والسلام عليه امتحان عظيم لتقوى القلوب. وذكرنا أيضاً أنه يجب على المسلم أن يحب ويحترم قربي رسول الله ﷺ وبالذات آل بيته الأطهار.

(١٢) ذكرنا في الفصل الثالث من الباب الثاني (حب قربي الرسول ﷺ وأهل بيته الأطهار) ما ورد من الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الصحيحة الثابتة عن رسول الله ﷺ مما يُفيد أنه يجب على المسلم أن يحب ويحترم قربي رسول الله ﷺ وبالذات أهل بيته الأطهار.

(١٣) ذكرنا في الفصل الثالث من الباب الثالث (أثر حب الله ﷻ على الإنسان): قضية أثر حب الله ﷻ على الإنسان، وأن حب الله ﷻ هنا يتلخص في قوله ﷻ في الآية الكريمة: **قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ** (آل عمران ٣: ٣١)، وأن درجات الحب تتفاوت وهي تزداد شيئاً فشيئاً، وأما آثار هذا الحب على الذين يحبهم الله ويحبونه فتظهر في أربع صفات وهي: (أ) **"أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ"**، و (ب) **"أَعَزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ"**، و (ج) **"تُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ"**، و (د) **"وَلَا تَخَافُونَ وُفُوءَ"** **لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ**.

فهذا هو حال الذين يُحبهم الله ويحبونه، فإنهم المؤمنون الأبرار الذين يتواضعون ويتذللون للمؤمنين ويعتزون بإيمانهم أمام الكافرين، ويجاهدون جهاداً مستمراً ضد النفس بإخلاص ولا يلتفتون إلى ما دون الله.

ثم ذكرنا في هذا الفصل مسألة في تعريف أولياء الله ﷻ وما ورد فيهم من الآيات، وأن من أبرز صفات ولي الله هو تمنى الموت لأنه مطمئن لأعماله، لقول الله ﷻ: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ**

فَتَمَنُّوا أَلْوَتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٢﴾ (الجمعة، ٦٢: ٦) ، وناقشنا قضية الولاية وحب الله ﷻ.

(١٤) ذكرنا في الفصل الرابع من الباب الثالث (الحب العائلي): قضية الحب العائلي، وبيئاً أن الله ﷻ وصف ونظم في كتابه الكريم الحب العائلي بين الأقارب، وأن العلاقات والحقوق والحب العائلي يمكن أن تكون في مبدأ واحد وهو "الْمَوَدَّةُ فِي الْقُرْبَى". وأن الله ﷻ جعل حقوق القرابة ودرجاتها مختلفة وبيئ حقوق كل منها، فأوجب بر الوالدين واحترامهما وطاعتهما في غير معصية الله ﷻ، وبيئ حقوق الزوجة بالمعاشرة بالمعروف، وكذلك حقوق الأولاد، وصلة الأرحام والإحسان إليهم، كما حذر من فتنة الأزواج والأولاد والأموال، كل ذلك ليُعم الحب المتوازن في العائلة ويكون هذا الحب مضبوطاً برضا الله ﷻ.

(١٥) ذكرنا في الفصل الخامس من الباب الثالث (حب الآخرين: الناس جميعاً، وأهل الكتاب، والمؤمنين، والأصدقاء): قضية حب الآخرين غير أولي القربى من الناس من بقية المؤمنين والأصدقاء، وكيف جعل الله ﷻ بينهم رابطة الأخوة ليجب بعضهم بعضاً، وكيف أمر الله ﷻ بالرحمة بأهل الكتاب وعدم الإساءة إليهم، وكذلك الناس كافة: كيف بُرَّهم ونحسن إليهم ونتعارف معهم ونقسط إليهم ولا نعتدي عليهم بالقتل أو بأي نوع من أنواع الإساءة لتعم المحبة في البشرية جمعاء.

وذكرنا كل ذلك في أربعة مطالب: ففي المطلب الأول: الناس جميعاً. وفي المطلب الثاني: أهل الكتاب. وفي المطلب الثالث: المؤمنون. وفي المطلب الرابع: الأصدقاء.

(١٦) ذكرنا في الفصل السادس من الباب الثالث (الحب الزوجي والحب الجنسي): قضية الحب الزوجي والحب الجنسي، وكيف أن الله ﷻ بين لنا أنه خلق لنا من أنفسنا أزواجاً لنسكن إليها وجعل بيننا مودة ورحمة، وجعل سبحانه حاجة كل من الزوجين لبعضهما في الذرية والنسل، وبيننا الحب الزوجي النفسي أنه يكون بالحب وارتياح كل من الزوجين والسكن لبعضهما، وأن الحب الزوجي الجنسي يكون في الاستمتاع الطبيعي المشروع بين الزوجين، وأن ذلك مضبوط شرعاً بمن أحل الله ﷻ.

وذكرنا كل ذلك في ثلاثة مطالب: ففي المطلب الأول: حاجة الزوجين لبعضهما في النسل والذرية. وفي المطلب الثاني: الحب الزوجي النفسي غير الجسماني. وفي المطلب الثالث: الحب الزوجي الجنسي.

(١٧) ذكرنا في الفصل السابع من الباب الثالث (الحب والزنا): قضية الحب والزنا، وكيف أن الله ﷻ حرّم الزنا وتوعدّ بالعقاب عليه، ومع هذا فإن الله ﷻ بين أن في الزنا "شهوة" وميلاً عظيماً، ومعنى آخر يوجد حب مع الشهوة، فمن هنا تأتي الخطورة العظيمة في الزنا، ولكن هذا غير مشروع وقد حذر الله ﷻ منه لأنه يجر صاحبه إلى دائرة تبعد الزاني عن الهدى والصراط المستقيم بشكل دائم ومستمر. كما ذكر الله ﷻ ذلك بقوله: ...

وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ (الإسراء، ١٧: ٣٢)

(١٨) ذكرنا في الفصل الثامن من الباب الثالث (الحب والنظر): قضية الحب والنظر، وبيننا في هذا الفصل أن في نظر الإنسان شيء خاص يُعبر عن الحب ويولده، فإن الحب يدخل على نفس الإنسان من خلال عينيه إلى قلبه، وقد أوصى الله ﷻ رسوله بقوله: **لَا تَمُدَّنْ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْتَاهُ زَوْجًا مِّنْهُمْ**

(١٩) ذكرنا في الفصل الأول من الباب الرابع (أنواع الحب): أنواع الحب العديدة التي ذكرها الله ﷻ في كتابه الكريم، كالحب والرحمة والرأفة والود والشغف والهوى والهيم والرغب والغرام والهيام ... وهي خمسة وثلاثون نوعاً، وبيئاً معانيها واحدة واحدة من كتب اللغة، وذكرنا الآيات التي وردت فيها، بحيث أصبح - إن شاء الله ﷻ - بحثاً جامعاً لكل ما جاء في القرآن الكريم في أنواع الحب.

(٢٠) ذكرنا في الفصل الثاني من الباب الرابع (مراحل الحب): مراحل الحب المتعددة التي ذكرت في القرآن الكريم، كالتزّين والإعجاب والميل والرضا والخلة ... وذكرنا ما ورد من الآيات فيها واحدة واحدة، وهي مائة مرحلة، وهي ليست جميع المراحل التي بالإمكان استنباطها من القرآن الكريم، ولكن تشكل - إن شاء الله - معظم المراحل الرئيسة للحب.

(٢١) ذكرنا في الفصل الثالث من الباب الرابع (الوقوع في الحب): قضية الوقوع في الحب، وذكرنا في المطلب الأول: أن الإنسان الذي يقع في الحب مخلوق من ثلاثة عناصر رئيسة وهي: الجسم والنفس والروح. وذكرنا في المطلب الثاني: ما هو الوقوع في الحب وهو أنه: "مِيل جميع مكوّنات أو ملكات الإنسان إلى الحسن من بعد الإعجاب به".

(٢٢) ذكرنا في الفصل الرابع من الباب الرابع (نمو الحب): كيف ينمو الحب وكيف ينمي الإنسان، وكيف يتحوّل إلى درجة أعمق وأشد، وأن

القرآن الكريم أثبت أن للحب درجات، **وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ** (البقرة، ٢: ١٦٥) وذكرنا أنه إذا كانت نفس الإنسان ومكوناته وملكاته تخوض وتتعلق بمحسوب ليس من مصلحته الحقيقة أن يحبه فليقطع هذا الخوض واللعب وليشغل نفسه بذكر الله ﷻ.

(٢٣) ذكرنا في الفصل الخامس من الباب الرابع (دائرتا الحب): دائرتي الحب، وملخص ذلك أن هناك دائرتين: دائرة الإيمان ودائرة الكفر، وأن الله ﷻ أخرج المؤمنين من دائرة الظلمات إلى دائرة النور، وأن الكافرين أخرجتهم الطواغيت من دائرة النور إلى دائرة الظلمات. وأن المؤمنين بذلك يسرون إلى صعود الكافرين بعكسهم إلى هبوط. ومن الجدير بالذكر أن دائرة الإيمان هي دائرة حب الله والنور، ودائرة الكفر هي دائرة الشهوات والظلمات.

(٢٤) ذكرنا في الفصل السادس من الباب الرابع (مثلث الحب): مثلث الحب، وملخص ذلك أن الإنسان إنما يحب من يتصوره في عقله وإنما يتم الحب أولاً في حُبِّ المحبوب بناء على صورته المزيّنة في عقله بغض النظر عما إذا كانت هذه الصورة تمثل المحبوب في الحقيقة أم لا. وهذا الأمر هو الذي يُفسّر كيف يمكن للإنسان أن يحب شيئاً من دون أن يعرفه حق المعرفة: فإنه يحب الصورة التي عنده في عقله أكثر أو بنفس القدر الذي يحب حقيقة المحبوب، وقد لا يعرف المحبوب حقاً ولكن يظن أنه يعرفه لأن لديه حُبّاً لصورته عنده. وعند اكتشافه حقيقة محبوه مع الخبرة فيه ربما ينصرف عنه أو عن حبه لأنه لم يجده كالصورة المزيّنة في عقله. فكم من حب انتهى عند اكتشاف حقيقة المحبوب!

(٢٥) ذكرنا في الفصل السابع من الباب الرابع (مراتب الجمال والحب): مراتب الجمال والحب، كيف يُفضّل نوع من أنواع الحب على نوع آخر، وكذلك الجمال، وذكرنا في المطلب الأول: مراتب الجمال وأن أعلاها في التسلسل الهرمي هو جمال الله وأسمائه وصفاته ثم جمال رسوله ثم جمال الآخرة ... وهكذا إلى أن يصل إلى الأنواع الهابطة مثل تزين الأعمال السيئة وتزين قبائح الأعمال كالشرك وقتل الأولاد. وفي المطلب الثاني: بيئاً مراتب الحب، وكيف يُفضّل الإنسان نوعاً من أنواع الجمال على أخرى.

(٢٦) ذكرنا في الفصل الثامن من الباب الرابع (نقيض الجمال والحب): نقيض الجمال والحب، فذكرنا في المطلب الأول: نقيض الجمال وهو البشاعة والقبح. وذكرنا في المطلب الثاني: نقيض الحب وهو الكره والبغض، فالمؤمنون يكرهون الشرّ، والكافرون يكرهون الخير.

(٢٧) ذكرنا في الفصل التاسع من الباب الرابع (انتهاء الحب): انتهاء الحب. فأما بالنسبة لحب الله ﷻ لخلقفه فهو لا ينتهي لأن صفات الله ﷻ لا تتغير ولا تتبدل (والحب من صفات الله ﷻ). وأما بالنسبة لحب البشر لله ﷻ وحب البشر لغير الله ﷻ فقد يخف أو ينقص أو ينتهي لأن صفات الخلق تتبدل وتتغير، ولكن الحب في الله ﷻ والحب الخير يجب أن لا ينتهي، وهو في الفعل لا ينتهي إذا بقي المؤمن الفاضل المحسن على إيمانه وفضله واحسانه.

(٢٨) ذكرنا في الفصل العاشر من الباب الرابع (طبيعة الحب): طبيعة الحب، وأن الله ﷻ بيّن في القرآن الكريم أنه يوجد في طبيعة الحب قواعد عامة ذكرنا بعضها في خمسة مطالب: المطلب الأول: أحوال الحب في تغيير

مستمر. المطلب الثاني: أن الإنسان الذي يجب بحاجة مستمرة إلى محبته. والمطلب الثالث: في خصوصية الحب، وهو أن الإنسان لا يستطيع أن يحب من كل قلبه حبيبين من نفس النوع. والمطلب الرابع: قدرة الحب، وأن الحب يغيّر من يحب.

(٢٩) ذكرنا في الفصل الحادي عشر من الباب الرابع (الحب والسعادة): الحب والسعادة، أنه لا توجد سعادة إلا في حب الله ﷻ، وأن المؤمن المحب لله ﷻ هو الوحيد الذي يصل للسعادة الحقيقية، ولكن بالرغم من هذا فإنه قد يوجد لكل من يحب، بالشر أو بالخير، شيء من الانبساط والفرح والمتعة والرضا من خلال الحب.

(٣٠) ذكرنا في الفصل الثاني عشر من الباب الرابع (الحب والجمال في الجنة): الحب والجمال في الجنة، وهو أن في الجنة حباً ولكنه حب صافٍ ليس فيه صعوبات الدنيا كالحاجة والحزن والقبض، ولا يكون في الجنة غير الحب الخالص والخير، والخلاصة: أنه يوجد في الجنة كل ما يحبه أهل الجنة، وكل من يحبهم الله ﷻ.

(٣١) ذكرنا في الفصل الأول من الباب الخامس (الجمال والحسن ومكوّناتهما): قضية الجمال والحسن ومكوّناتهما، ففي المطلب الأول: ذكرنا معنى الجمال ومعنى الحسن وأن بينهما شبه ترادف. وفي المطلب الثاني: ذكرنا مكوّنات الجمال والحسن.

(٣٢) ذكرنا في الفصل الثاني من الباب الخامس (الذوق): الذوق، وسرّه: أن الجمال موجود في الأشياء ذاتها ويختلف إدراكه من إنسان لآخر، وأن

الجمال حقيقة موضوعية، وأن إدراك الجمال متغير وهو مربوط بحالة المدرك،
فإدراك الجمال يختلف من شخص لآخر حسب الاختلافات الطبيعية بينهم.

(٣٣) ذكرنا في الفصل الثالث من الباب الخامس (طبيعة الجمال): طبيعة الجمال، بمعنى أنه يوجد في طبيعة الجمال قواعد عامة، ففي المطلب الأول: ذكرنا موضوعية الحب. وفي المطلب الثاني: ذكرنا قدرة الجمال. وفي المطلب الثالث: ذكرنا تأثير الجمال، وأن الجمال يؤثر على من يدركه بطريقتين: الأولى: سحب من يدركه خارج ذاته، والثانية: رجوع من يدركه إلى ذاته، وبالتالي إلى فضائل النفس وإلى الإيمان. وفي المطلب الرابع: ذكرنا فائدة الجمال وكيف أن الحب والجمال يخففان عناء المشقة ويسهلان مصيبة الموت.

(٣٤) ذكرنا في الفصل الرابع من الباب الخامس (الحب والموت): قضية الحب والموت، ففي المطلب الأول: بيّنا موت النفس الأمارة بالسوء. وفي المطلب الثاني: موت النفس الأمارة بالسوء من خلال حب الله ﷻ. وفي المطلب الثالث: عذاب النفس التي لا تحب ولا تموت بالله. وفي المطلب الرابع: الحياة بالله بعد موت النفس.

(٣٥) ذكرنا في الفصل الخامس من الباب الخامس (اللقاء والرضوان): اللقاء والرضوان، وأنه يوجد في الزواج الطبيعي بين الرجل والمرأة نوعان عظيمان من اللقاء هما: النظر والمعية، هذا مثل في الدنيا. أما في الآخرة فيوجد في الجنة نوعان عظيمان من اللقاء مع الله، النوع الأول: النظر إلى الله ﷻ، والثاني: معية الله الخاصة للمؤمنين.

(٣٦) ذكرنا في الفصل السادس من الباب الخامس (المقصود الحقيقي وراء

كل حب): ما هو المقصود الحقيقي وراء كل حب، وتبين أن من خلال حب الشهوات أن الإنسان يريد الجمال والعز والغنى والقوة والرزق، وأن هذه الأشياء تأتي أصلاً من الله ﷻ وتعكس صفاته وأسماءه الحسنى، والمدهش أن الذنوب هي التي تحجب الإنسان عن إدراك ذلك، بينما المقصود الحقيقي من وراء كل حب هو الله ﷻ.

المطلب الثاني: الفوائد المتحققة من هذه الرسالة

(١) نرجو الله ﷻ ونأمل أننا استطعنا بحمد الله ﷻ وحسن توفيقه أن نحقق أهدافنا جميعها في هذه الرسالة، وكان هدفنا الأول منها: أن نبين بأن كل ما يمكن أن يقال عن الحب موجود في كتاب الله ﷻ، وأنه مذكور تفصيلاً وليس مجملاً، تأكيداً وإيماناً منا بقول الله ﷻ عن كتابه الكريم بأنه: "يَبَيِّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ"، "وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ"، وتحقيقاً لقوله ﷻ أيضاً: "مَا فَرَطْنَا فِي آلِ كِتَابٍ مِنْ شَيْءٍ"^٤. وبذلك تبين أن جميع مسائل وقضايا وأنواع الحب المذكورة في القرآن الكريم، وهذا كله يعتبر من إعجاز القرآن الكريم في هذا الموضوع الفلسفي، وربما يدل على الإعجاز القرآني في جميع مواضيع الفلسفة.

(٢) نرجو الله ﷻ ونأمل أننا استطعنا بحمد الله ﷻ أن نشرح الحب وأسراره من القرآن الكريم شرحاً لعله يكون وافياً، وأتينا بأمر لم تكتب من قبل - فيما نعلم - من القرآن الكريم في الحب مثل: تعريف الحب، وتعريف الوقوع في الحب، واستخراج أنواع الحب، واستخراج مراحل الحب، وملكات الإنسان، وعلاقة ملكات الإنسان مع مراحل الحب، وعلاقة الحب بالنظر، وعلاقة الحب بالذوق، وقضية الوقوع في الحب، وقضية زواج

النفوس، كل ذلك من القرآن الكريم فقط، وبطريقة لم تُطرح من قبل، فجمعنا كل ذلك في كتاب واحد، ونأمل أن يكون بإذن الله مرجعاً لقضية الحب في القرآن الكريم.

(٣) نرجو الله ﷻ ونأمل أننا استطعنا بحمد الله ﷻ أن نثبت كل نقطة وطرح ورد في هذه الرسالة بالقرآن الكريم فقط، وأما الحديث النبوي الشريف فإننا جعلناه - حين أوردناه واستشهدنا به - مؤكداً إما جاء في القرآن الكريم، وهذا خلافاً للعلماء الذين سبقونا في الكلام عن الحب، حيث إنهم أثبتوا بعض المسائل التي طرحوها في كلامهم عن الحب إما باستدلال من حديث، أو قول لأحدٍ من الصوفية، أو من الشعر، أو من القصص والأمثال الشعبية، أو غير ذلك، ولم يركزوا في الاستدلال على كل نقطة بالقرآن الكريم كما هو نهجنا في هذه الرسالة، وما أخذناه من القرآن الكريم ليس أكثر مما يأخذه المرء من الماء إذا وضع إصبه في البحر المحيط.

(٤) نرجو الله ﷻ ونأمل أننا استطعنا بحمد الله ﷻ أن نجمع صفوة وخلاصة ما قاله العلماء قبلنا عن الحب في القرآن الكريم، وذكرنا ما قالوه في موضوعات الحب وتعريفهم لكثير من قضاياها المذكورة في القرآن الكريم وخاصة التعريفات والمعاني الفلسفية واللغوية لهذه المسائل وجعلناها في الهوامش، وتطرقتنا لمسائل كثيرة ومتنوعة عن الحب لم يتطرقوا لها، فأصبح بإذن الله ﷻ كتاباً شاملاً في الحب، ومنهاجاً لتشخيص الحب وقطع مراحلها لمن يريده، فلهذا نرجو أن تكون قد أصبحت مادة تصلح منهجاً للتعليم في هذا الموضوع.

(٥) نرجو الله ﷻ ونأمل أننا استطعنا بحمد الله ﷻ أن نحقق بذلك كله

أيضاً إثبات أن دين الإسلام هو دين الحب والمودة، وأن القرآن الكريم وهو الكتاب المقدس عند المسلمين دستور عظيم صالح لأن يكون منهجاً لبث ونشر المحبة في العالم، خلافاً لما يظنه ويروجّه البعض من غير المسلمين (وحتى من مفكريهم)، وأن الاهتمام بموضوع الحب في الإسلام إنما أتى من المتصوفين وبعض الأحاديث النبوية الشريفة فقط، والحق خلاف ذلك لأن القرآن الكريم أوضح كل ما يمكن للإنسان أن يعرفه أو يفهمه عن الحب، فتحققت أمانينا بفضل الله ﷻ من هذه الرسالة بتطريزها وتزيينها بكل هذه المواضيع عن الحب في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: خاتمة واستنتاج

وفي الختام نقول: الله ﷻ هو الرحمن والرحيم والودود، خلقَ العالم من الرحمة ومن الحب، وجعل الجمال في كل ما خلقه، والله ﷻ يحب جماله من خلال الكون الذي خلق فيه الجمال. وبالحب يعود الإنسان بالصرط المستقيم إلى الله ﷻ؛ وبالحب أيضاً - ولكن بحبٍ أدنى وأسفل - يأخذ الإنسان الطريق إلى النار. فالله ﷻ يقول: **وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ** ﴿٩٠﴾ (البند، ٩٠: ١٠). فللإنسان خيار بين الحب الأسمى والحب الأدنى، وبين الحب الذي يؤدي إلى الله وإلى الجنة والحب الذي يؤدي إلى العذاب وإلى النار، **فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ** ﴿٨١﴾ (التكوير، ٨١: ٢٦)؟
فلذلك قال الرسول ﷺ:

«وهل الدين إلا الحب والبغض؟ قال الله ﷻ **قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي**

يُحِبِّكُمْ اللَّهُ (آل عمران، ٣: ٣١)» ٣٠٨ .

وقال ﷺ أيضاً:

«أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله»^{٣٠٩}.

وكذلك قال ﷺ:

«من أحبَّ الله وأبغضَ الله وأعطى الله ومنَعَ الله فقد استكمل الإيمان»^{٣١٠}.

فعلينا أن نختار حب الله ورجاءه في هذه الدنيا وفي الآخرة على حب الهوى والشهوات. يقول الله ﷻ:

إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَٰئِكَ مَأْوَهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوُهُمْ فِيهَا سُبْحَنَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ۖ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ (يونس: ١٠-٧)

^{٣٠٩} رواه أبو داود الطيالسي في مسنده، رقم ١٠١، من حديث البراء بن عازب مرفوعاً، وهو حديث حسن.

^{٣١٠} رواه أبو داود، كتاب السنة، رقم ٤٦٨١، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه.

صفوة المراجع التي قرأتها أو استعملتها في هذه الرسالة هي:

القرآن الكريم

من كتب التفسير

١. البروسوي، الإمام العالم الفاضل مولانا ومولى الروم الشيخ إسماعيل حقي البروسوي، (توفي سنة ١١٣٧هـ)، تفسير روح البيان، (دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م، بيروت، عدد المجلدات: ١٠).
٢. البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، (توفي سنة ٥١٦هـ)، معالم التنزيل، (دار طيبة، الطبعة الرابعة، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م، الرياض، عدد المجلدات: ٨).
٣. البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، (توفي سنة ٨٨٥هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م، بيروت، عدد المجلدات: ٨).
٤. البيضاوي، الإمام القاضي ناصر الدين أبو سعيد عبد الله أبي عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، (توفي سنة ٧٩١هـ)، تفسير البيضاوي، (دار الفكر، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م، بيروت، عدد المجلدات: ٥).
٥. التستري، الإمام أبو محمد سهل بن عبد الله التستري، (توفي سنة ٢٨٣هـ)، تفسير التستري، (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م، بيروت، عدد المجلدات: ١).
٦. الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي المالكي، (توفي

سنة ٨٧٥هـ)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، (دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م، بيروت، عدد المجلدات: ٥).

٧. الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، (توفي سنة ٤٢٧هـ)، الكشف والبيان، (دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م، بيروت، عدد المجلدات: ١٠).

٨. ابن جرير الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، (توفي سنة ٣١٠هـ)، تفسير الطبري، (دار الكتب العلمية، الطبعة الرابعة، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م، بيروت، عدد المجلدات: ١٢).

٩. ابن جزي الكلبي، الإمام الحافظ أبو القاسم محمد بن أحمد ابن جزي الكلبي الغرناطي، (توفي سنة ٧٤١هـ)، التسهيل لعلوم التنزيل، (دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م، بيروت، عدد المجلدات: ٢).

١٠. ابن الجوزي، الحافظ الإمام أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، (توفي سنة ٥٦٧هـ)، زاد المسير، (دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م، بيروت، عدد المجلدات: ٤).

١١. ابن أبي حاتم الرازي، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي الرازي، (توفي سنة ٣٢٧هـ)، تفسير القرآن العظيم، (دار الفكر، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م، بيروت، عدد المجلدات: ١٤).

١٢. الحكيم الترمذي، أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن بشر، (توفي سنة ٣٢٠هـ)، بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب، (عدد المجلدات: ١).

١٣. أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي، (توفي سنة ٧٥٤هـ)، البحر المحيط في التفسير، (دار الفكر، ١٤١٢هـ، ١٩٢٩م، بيروت، عدد المجلدات: ١١).

١٤. أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي، (توفي سنة ٧٥٤هـ)، تفسير النهر الماد، (دار الجنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م، بيروت، عدد المجلدات: ٣).
١٥. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، (توفي سنة ٥٣٨هـ)، تفسير الكشاف، (دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م، بيروت، عدد المجلدات: ٤).
١٦. أبو السعود، القاضي أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، (توفي سنة ٩٢٨هـ)، تفسير أبي السعود، (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م، بيروت، عدد المجلدات: ٦).
١٧. السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، (توفي سنة ٣٧٥هـ)، بحر العلوم، (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م، بيروت، عدد المجلدات: ٣).
١٨. السيوطي، العلامة جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، والإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تفسير الجلالين، (دار المعرفة، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م، بيروت، عدد المجلدات: ١).
١٩. السيوطي، الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، (توفي سنة ٩١١هـ)، الدر المنثور في التفسير المأثور، (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م، بيروت، عدد المجلدات: ٧).
٢٠. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، (توفي سنة ١٢٥٠هـ)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، (دار المعرفة، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م، بيروت، عدد المجلدات: ٥).
٢١. الشيرازي، الشيخ أبو محمد صدر الدين روزبهان بن أبي نصر البقلي الشيرازي، (توفي سنة ٦٠٦هـ)، تفسير عرائس البيان في حقائق القرآن، (مخطوطة).

٢٢. الصابوني، محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، (دار الصابوني، الطبعة التاسعة، القاهرة، عدد المجلدات: ٣).

٢٣. الصاوي، أحمد بن محمد الصاوي المصري الخلوئي المالكي، (توفي سنة ١٢٤١هـ)، حاشية الصاوي على تفسير الجلالين، (دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٥م، بيروت، عدد المجلدات: ٦).

٢٤. الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، (توفي سنة ٣٦٠هـ)، التفسير الكبير للطبراني، (دار الكتاب الثقافي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م، الأردن، إربد، عدد المجلدات: ٦).

٢٥. ابن عادل الحنبلي، أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي، (توفي سنة ٨٨٠هـ)، اللباب في علوم الكتاب، (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م، بيروت، عدد المجلدات: ٢٠).

٢٦. ابن عاشور، محمد الطاهر بن عاشور، معاصر، التحرير والتنوير، مؤسسة التاريف، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م، بيروت، عدد المجلدات: ٣٠).

٢٧. ابن عجيبة، أبو العباس أحمد بن محمد بن عجيبة، (توفي سنة ١٢٢٤هـ)، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، (١٤١٩هـ، ١٩٩٩م، القاهرة، عدد المجلدات: ٦).

٢٨. ابن عربي، محيي الدين بن عربي، تفسير ابن عربي، (المكتبة التوفيقية، القاهرة، عدد المجلدات: ٢) (وكاتبه الحقيقي عبد الرزاق القاشاني).

٢٩. العز ابن عبد السلام، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي الشافعي، (توفي سنة ٦٦٠هـ)، تفسير القرآن - اختصار النكت للماوردي، (دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م، بيروت، عدد المجلدات: ١).

٣٠. ابن عطية، أبو محمد عبد الحق ابن عطية الأندلسي، (توفي سنة ٥٤١هـ)،

المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (طُبِعَ على نفقة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني، أمير دولة قطر، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ، ١٩٧٧م، الدوحة، عدد المجلدات: ١٥).

٣١. الإمام الغزالي، الإمام حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي، (توفي سنة ٥٠٥هـ)، جواهر القرآن، مكتبة الجندي، ١٩٦٤م، القاهرة، عدد المجلدات: ١).

٣٢. فخر الدين الرازي، الإمام أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين البكري الطبرستاني الرازي، (توفي سنة ٦٠٦هـ)، التفسير الكبير، (دار إحياء التراث العربي، الطبعة الرابعة، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م، بيروت، عدد المجلدات: ١١).

٣٣. الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، (توفي سنة ٢٠٧هـ)، معاني القرآن، (دار السرور، عدد المجلدات: ٣).

٣٤. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، (توفي سنة ٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، (دار الحديث، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م، القاهرة، عدد المجلدات: ٢٢).

٣٥. القشيري، الإمام أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري النيسابوري الشافعي، (توفي سنة ٤٦٥هـ)، تفسير القشيري المسمى لطائف الإشارات، (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م، بيروت، عدد المجلدات: ٣).

٣٦. ابن كثير، الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، (توفي سنة ٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، (دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م، بيروت، عدد المجلدات: ١).

٣٧. الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، (توفي سنة ٤٥٠هـ)، النكت والعيون، (مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، عدد

المجلدات: ٦).

٣٨. مجاهد بن جبر، أبو الحجاج مجاهد بن جبر القرشي المخزومي، (توفي سنة ١٠٤هـ)، تفسير مجاهد، (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م، بيروت، عدد المجلدات: ١).

٣٩. مقاتل بن سليمان، الإمام أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير، (توفي سنة ١٥٠هـ)، تفسير مقاتل بن سليمان، (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م، بيروت، عدد المجلدات: ٣).

٤٠. النسفي، الإمام الجليل عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، تفسير النسفي / مدارك التنزيل وحقائق التأويل، (دار المعرفة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م، بيروت، عدد المجلدات: ١).

٤١. الواحدي، الإمام أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، (توفي سنة ٤٦٨هـ)، أسباب نزول القرآن، (دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م، بيروت، عدد المجلدات: ١).

٤٢. الواحدي، الإمام أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، (توفي سنة ٤٦٨هـ)، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (دار القلم، دمشق، والدار الشامية بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م، عدد المجلدات: ٢).

من كتب السنة

١. البخاري، الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخاري، صحيح البخاري، (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م، بيروت، عدد المجلدات: ٨).

٢. الإمام البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، (توفي سنة ٤٥٨هـ)، السنن الكبرى، (دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م، بيروت، عدد المجلدات: ١١).

٣. البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، (توفي سنة ٤٥٨هـ)، كتاب الزهد الكبير، (مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الثالثة، ١٩٩٦م، بيروت، عدد الأجزاء: ١).

٤. الإمام الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة، (توفي سنة ٢٧٩هـ)، الجامع الصحيح، (دار الكتب العلمية، بيروت، عدد المجلدات: ٥).

٥. الحاكم، الإمام الحافظ أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، (توفي سنة ٤٠٥هـ)، المستدرك على الصحيحين، (دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م، بيروت، عدد المجلدات: ١).

٦. ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان البستي، (توفي سنة ٣٥٤هـ)، صحيح ابن حبان، (مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م، بيروت، عدد الأجزاء: ١٨).

٧. ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (توفي ٨٥٢هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (دار المعرفة، ١٣٧٩هـ، بيروت، عدد الأجزاء: ١٤).

٨. ابن حنبل، الإمام أحمد ابن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، (المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م، عمان، عدد المجلدات: ٨).

٩. الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، (توفي سنة ٤٦٣هـ)، تاريخ بغداد، (دار الكتب العلمية، بيروت، عدد الأجزاء: ١٣).

١٠. السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، (توفي سنة ٢٧٥هـ)، سنن أبي داود، (دار الجنان ومؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٨م، بيروت، عدد المجلدات: ٢).

١١. الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، (توفي سنة ٣٦٠هـ)، المعجم الكبير، (مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٣م، الموصل، عدد الأجزاء: ٢٠).

١٢. الطيالسي، ابو داود سليمان ابن داود الطيالسي، (توفي سنة ٢٠٤هـ)، مسند الطيالسي، (دار المعرفة، بيروت، عدد المجلدات: ١).
١٣. الكتاب الجامع لفضائل القرآن الكريم، مؤسسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامي، (مطبعة الأمن العام، الطبعة الثانية، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م، عمان، عدد المجلدات: ١).
١٤. الإمام مسلم، الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، (توفي سنة ٢٦١هـ)، صحيح مسلم، (دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م، بيروت، عدد المجلدات: ١).
١٥. ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، (توفي سنة ٢٧٥هـ)، سنن ابن ماجه، (دار إحياء التراث، الطبعة الأولى، مصر، عدد المجلدات: ٢).
١٦. الإمام مالك، إمام دار الهجرة مالك بن أنس، (توفي سنة ١٧٩هـ)، الموطأ، (دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م، بيروت، عدد المجلدات: ٢).
١٧. النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن بحر بن سنان بن دينار النسائي، (توفي سنة ٣٠٣هـ)، سنن النسائي، (مكتبة المطبوعات الإسلامية، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م، حلب، عدد المجلدات: ٥).

من كتب السيرة

١. ابن هشام، عبد الملك بن هشام، (توفي سنة ٢١٨هـ)، السيرة النبوية، (دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م، بيروت، عدد المجلدات: ٤).
٢. الواقدي، محمد بن عمر بن واقد، (توفي سنة ٢٠٧هـ)، كتاب المغازي، (مطبعة جامعة أكسفورد، لندن، عدد المجلدات: ١).

من كتب علوم القرآن

١. الذهبي، الدكتور محمد حسين الذهبي، الأستاذ في كلية الشريعة بالأزهر الشريف، التفسير والمفسرون، (١٣٩٦هـ، ١٩٧٦م، عدد المجلدات: ٣).
٢. الزركشي، الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، (توفي سنة ٧٩٤هـ)، البرهان في علوم القرآن، (دار المعرفة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م، بيروت، عدد المجلدات: ٤).
٣. السيوطي، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، (توفي سنة ٩١١هـ)، الإتقان في علوم القرآن، (دار ابن كثير، الطبعة الرابعة، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م، دمشق، عدد المجلدات: ٢).
٤. محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، (دار الفكر ودار المعرفة، الطبعة الرابعة، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م، بيروت، عدد المجلدات: ١).
٥. ابن النحاس، الإمام العلامة أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل ابن النحاس، (توفي سنة ٣٣٨هـ)، إعراب القرآن، (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م، بيروت، عدد المجلدات: ٥).

من كتب المعاجم اللغوية

١. الأخفش، سعيد بن مسعدة البلخي المجاشعي، معاني القرآن، (عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م، بيروت، عدد المجلدات: ٢).
٢. الرازي، محمد ابن أبي بكر ابن عبد الله الرازي، (توفي سنة ٦٦٦هـ)، مختار الصحاح، (دار البصائر، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م، بيروت، عدد الأجزاء: ١).
٣. الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، (توفي سنة ٥٠٢هـ)، المفردات في غريب القرآن، (دار المعرفة، الطبعة الرابعة، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م، بيروت، عدد المجلدات: ١).

٤. الزبيدي، محب الدين أبو فيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي الحنفي، تاج العروس من جواهر القاموس، (دار الفكر، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م، بيروت، عدد المجلدات: ٢٠).
٥. الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، (توفي سنة ٨١٧هـ)، القاموس المحيط، (دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م، بيروت، عدد المجلدات: ٦.١). ابن منظور، الإمام العلامة أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري، (توفي في سنة ٧١١هـ)، لسان العرب، (دار صادر، بيروت، عدد المجلدات: ١٥).

كتب أخرى لعلماء المسلمين

١. الأسكداري، محمود بن فضل الله الأسكداري، (توفي سنة ١٠٣٨هـ)، حبة المحبة، (مخطوطة).
٢. إمام الحرمين، أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، (توفي سنة ٤٧٨هـ)، الإرشاد، (مطبعة السعادة، ١٣٦٩هـ، ١٩٥٠م، القاهرة، عدد الأجزاء: ١).
٣. التوحيد، أبو حيان علي بن محمد بن العباس التوحيدي، (توفي في حدود ٤٠٠هـ)، الإمتاع والمؤانسة، (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م، بيروت، عدد المجلدات: ١).
٤. ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني، (توفي سنة ٧٢٨هـ)، النبوات، (دار القلم، بيروت، عدد الأجزاء: ١).
٥. ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني، (توفي سنة ٧٢٨هـ)، التحفة العراقية، (مكتبة المنار، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٧م، الأردن-الزرقاء، عدد الأجزاء: ١).

٦. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، (توفي سنة ٢٥٥هـ)، البيان والتبيين، (دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م، بيروت، عدد المجلدات: ٢).

٧. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب البصري، (توفي سنة ٢٥٥هـ)، رسائل الجاحظ، (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م، بيروت، عدد الأجزاء: ٤).

٨. ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، (توفي سنة ٥٩٧هـ)، ذم الهوى، (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م، بيروت، عدد الأجزاء: ١).

٩. الجيلي، عبد الكريم بن إبراهيم الجيلي، (توفي سنة ٥٠٨هـ)، الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل، (دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م، بيروت، عدد المجلدات: ١).

١٠. ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، (توفي سنة ٤٥٦هـ)، طوق الحمامة في الألفة والألف، (دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م، بيروت، عدد المجلدات: ١).

١١. الرازي، فخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازي، (توفي سنة ٦٠٦هـ)، لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات، (المكتبة الأزهرية للتراث، طبعة جديدة، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م، القاهرة، عدد الأجزاء: ١).

١٢. ابن سينا، أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا، (توفي سنة ٤٢٨هـ)، رسالة في العشق، (دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م، دمشق، عدد الأجزاء: ١).

١٣. ابن أبي شريف، كمال الدين محمد بن محمد بن أبي بكر بن أبي شريف المري المقدسي الشافعي، (توفي سنة ٩٠٥هـ)، المسامرة شرح المسامرة في العقائد المنجية من الآخرة، (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ،

٢٠٠٢م، بيروت، عدد الأجزاء: (١).

١٤. شهاب الدين الحلبي، شهاب الدين محمود بن سلمان الحلبي، (توفي سنة ٧٢٥هـ)، كتاب منازل الأحباب ومنازه الألباب، (دار صادر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م، بيروت، عدد الأجزاء: (١).

١٥. أبو طالب المكي، الإمام أبي طالب محمد بن أبو الحسن علي بن عباس المكي، (توفي سنة ٣٨٦هـ)، قوت القلوب في معاملة المحبوب، (دار الفكر، بيروت، عدد المجلدات: (٢).

١٦. الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة المصري الطحاوي الحنفي، صحيح شرح العقيدة الطحاوية بشرح حسن السقاف، (دار الإمام النووي، الطبعة الثالثة، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م، بيروت، عدد المجلدات: (١).

١٧. عبد القاهر البغدادي، عبد القاهر بن طاهر بن محمد التميمي البغدادي، (توفي سنة ٤٢٩هـ)، الفرق بين الفرق، (دار المعرفة، بيروت، عدد الأجزاء: (١).

١٨. العجلوني، إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي، (توفي سنة ١١٦٢هـ)، كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الحديث على ألسنة الناس، (دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م، بيروت، عدد الأجزاء: (٢).

١٩. ابن عربي، محيي الدين محمد بن علي بن محمد الحاتمي الطائي الأندلسي، (توفي سنة ٦٣٨هـ)، الفتوحات المكية، (دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، بيروت، عدد المجلدات: (٤).

٢٠. ابن العريف، الشيخ أحمد بن محمد ابن العريف الصنهاجي، (توفي سنة ٥٣٦هـ)، كتاب النفائس ومحاسن المجالس، أخرجه نهاد خياطة، حلب، (مجلة المورد، بغداد، المجلد التاسع، ١٩٨٠م، ص ٦٨١-٧٠٦).

٢١. ابن عطاء الله السكندري، ابن عطاء الله السكندري أحمد بن محمد بن

عبد الكريم، (توفي سنة ٧٠٩هـ)، الحِكم العطائية/ شرح وتحليل، دار الفكر، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م، دمشق، عدد المجلدات: ٤).

٢٢. الغزالي، الإمام حجة الإسلام أبو حامد محمد الغزالي الطوسي، (توفي سنة ٥٠٥هـ)، إحياء علوم الدين، (شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م، بيروت، عدد المجلدات: ٥).

٢٣. الغزالي، الإمام حجة الإسلام أبو حامد محمد الغزالي الطوسي، مقاصد الفلاسفة، (دار المعارف، ١٩٦١م، القاهرة، عدد المجلدات: ١).

٢٤. الغزالي، الإمام حجة الإسلام أبو حامد محمد الغزالي الطوسي، (توفي سنة ٥٠٥هـ) المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، (دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م، بيروت، عدد المجلدات: ١).

٢٥. القشيري، أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري النيسابوري، (توفي سنة ٤٦٥هـ)، الرسالة القشيرية في علم التصوف، (دار الخير، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م، دمشق/ بيروت، عدد المجلدات: ١).

٢٦. ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي، (توفي سنة ٧٥١هـ)، الروح، (دار ابن كثير، الطبعة السابعة، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م، دمشق/ بيروت، عدد المجلدات: ١).

٢٧. ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي، (توفي سنة ٧٥١هـ)، مدارج السالكين، (دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م، بيروت، عدد المجلدات: ٣).

٢٨. ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي، (توفي سنة ٧٥١هـ)، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، (دار البيان العربي، مصر، عدد الأجزاء: ١).

٢٩. الكلاباذي، أبو بكر محمد بن إسحاق الكلاباذي (توفي سنة ٣٨٠هـ)، التعرف لمذهب أهل التصوف، (مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى،

١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م، القاهرة، عدد الأجزاء: (١).

٣٠. مخلوف، مفتي الديار المصرية حسنين محمد مخلوف، معاصر، من وحي القرآن الكريم فيمن يحبهم الله تعالى، وفيمن يكرههم الله تعالى من عباده، (مطبعة المدني، الطبعة الثالثة، ١٣٩٦هـ، ١٩٧٦م، القاهرة، عدد الأجزاء: ١).

٣١. الثُّفري، محمد بن عبد الجبار بن الحسن الثُّفري، كتاب المواقف، (دار الكتب المصرية، ١٣٥٢هـ، ١٩٣٤م، القاهرة، عدد الأجزاء: ١).

٣٢. الهجويري، كشف المحجوب، (مخطوطة).

٣٣. الهروي، عبد الله الأنصاري الهروي، (توفي سنة ٤٨١هـ)، منازل السائرين، (دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م، بيروت، عدد الأجزاء: ١).

مراجع أخرى

١. العجلوني، كامل محمد صالح العجلوني، الجنس في اليهودية والمسيحية والإسلام/ المرأة والرجل وعلاقتهما، (مطبعة الجامعة الأردنية، ٢٠٠٧م، عمان، عدد المجلدات: ١).

٢. غازي بن محمد بن طلال، الحقيقة والمعرفة (كتاب الثقافة العامة للمرحلة الثانوية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م، وزارة التربية والتعليم، الأردن).

٣. وداد ناصر لوتا، سرِّي للغاية: المعاشرة الزوجية، أصول وعادات، ٢٠٠٩م، دبي.

٤. مجموعة من العلماء، الحب في القرآن الكريم، (طبع مؤسسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامي، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م، الأردن/ عمان، عدد الأجزاء: ٢).

(A) PRIMARY SOURCES ON LOVE IN ENGLISH AND FRENCH:

(A) (i-ii) (Religious and Secular) Ancient Sources on Love in English and French:

Ficino, Marsilio, *Commentary on Plato's Symposium of Love*, trans. Sears Jayne (2nd ed.) (Dallas 1985)

Plato, *Phaedrus* and *The Seventh Letter*, trans. Walter Hamilton (London 1973)

Plato, *Phaedo*, in *Five Dialogues*, trans. G.M.A.Grube (Indianapolis 1984)

Plato, *The Republic*, trans. G.M.A.Grube (Indianapolis 1984)

Plato, *The Symposium of Love*, trans. A.Nehemas and P.Woodruff (New York 1989)

Plotinus, *The Enneads*, Intro. J.Dillon, trans. S.Mackenna (London 1991)

Rumi, Jalaludin, *The Mathnawi*, Volumes I-VI, trans. Reynold Nicholson, (Reprinted Great Britain, 1960)

(A) (iii) (Religious) Modern Sources on Love in English and French:

Lewis, C.S., *The Allegory of Love*, (London 1972)

Lewis, C.S., *The Four Loves*, (London 1972)

Nasr, Seyyed Hossein, *The Garden of Truth, The Vision and Promise of Sufism, Islam's Mystical Tradition*, (New York, 2007)

(A) (iv) (Secular) Modern Sources on Love in English and French:

De Rougemont, Denis, *L'Amour et L'Occident*, (Paris 1939)

Ghazi Ben Mohammed, *What is Falling in Love?*, (Cambridge University, U.K., Ph.D, 1993)

Stendhal, *De L'Amour*, (Paris 1965); Stendhal, *De L'Amour*, Intro. Jean Stewart, trans. Gilbert and Suzanne Sale (London 1975)

(B) SECONDARY SOURCES ON LOVE IN ENGLISH AND FRENCH:

(B) (i) (Religious) Ancient Sources on Love in English and French:

The Holy Bible, King James Translation (H.M. Printers, London)

Aquinas, St. Thomas, *Summa Theologia*, in *Great Books of the Western World*, Volume XIX and Volume XX, trans. W.O.Ross (Chicago 1989)

St. Augustine, *Confessions*, trans. R.S.Pine-Coffin (Middlesex, U.K., 1985)

St. Bernard of Clairvaux, *On the Song of Songs*, in 4 Volumes, trans. K.Walsh and I.M.Edmunds (Kalamazoo, Michigan 1979)

St. John of the Cross, *Dark Night of the Soul*, trans. E.Allison Peers (New York 1990)

St. Julian of Norwich, *Showings*, trans. E.Colledge and J.Walsh (New York 1978)

Maimonides, Moses, *The Guide of the Perplexed*, in 2 Volumes, trans. Shlomo Pines (Chicago 1963)

Mechthild of Magdeburg, *The Flowing Light of the Godhead* (selected writings from), trans. Lucy Menzies in *German Mystical Writings* ed. Karen Campbell (New York 1991)

St. Nicholas of Cusa, *The Vision of God*, trans. E.Gurney-Salter (London 1928)

The Philokalia, (*Writings from the Philokalia on the Prayer of the Heart*) trans. E.Kadlouboudsky and G.E.H.Palmer (London 1992)

Porphyry, *On the Cave of the Nymphs*, trans. Thomas Taylor, (Grand Rapids, Michigan 1991)

Proclus, Diadochus, *Commentary on the First Alcibiades of Plato*, trans. L.G.Westernick (Amsterdam 1954)

Pseudo-Dionysius Aeropogite, *The Divine Names and Mystical Theology*, trans. J.D.Jones (Milwaukee 1980)

Rolle, Richard, *The Fire of Love*, trans. Clifton Walters (London 1972)

St. Teresa of Avila, *The Life of St.Teresa of Avila by Herself*, trans. J.M.Cohen (London 1957)

Theologia Germanica (selected writings from), trans. Bengt Hoffman in *German Mystical Writings* ed. Karen Campbell (New York 1991)

The Zohar, Moses de Léon, attributed to Rabbi Simeon ben Yohai, trans. H.Sperling and M.Simon (London 1949)

(B) (ii) (Secular) Ancient Sources on Love in English and French:

Aristotle, *Nicomachean Ethics*, in *Great Books of the Western World*, Volume IX, trans. W.O.Ross (Chicago 1989)

Capellanus, Andreas, *The Art of Courtly Love*, trans. John Jay Parry, (New York 1969)

Capellanus, Andreas, *On Love*, trans. P.G. Walsh, (U.K. 1982)

De Lorris, Guillaume, and De Meun, Jean, *The Romance of the Rose*, trans. Charles Dahlberg (Hanover, New Hampshire 1983)

(B) (iii) (Religious) Modern Sources on Love in English and French:

Burckhardt, T., *Moorish Culture in Spain*, trans. Alisa Jaffa (New York 1972)

Burckhardt, T., *Alchemy. Science of the Cosmos, Science of the Soul*, trans. William Stoddart (Dorset, U.K., 1986)

Chittick, William C., *The Sufi Path of Love: The Spiritual Teachings of Rumi*, (New York 1983)

Coomaraswamy, A.K., *Traditional Art and Symbolism*, Volume I, ed. Roger Lipsey (Oxford, U.K., 1977)

Evola, Julius, *Eros and the Mysteries of Love*, (Rochester, Vermont 1991)

Greeley, Andrew M. and Mary G. Durkin, *The Book of Love*, (New York, 2002)

Happold, F.C., *Mysticism: A Study and an Anthology*, (London 1990)

Mahmutcehajic, Rusmir, *On Love in the Muslim Tradition*, (New York 2007)

Schuon, Frithjof, *The Essential Writings of Frithjof Schuon*, ed. S.H.Nasr (New York 1986)

Schuon, Frithjof, *Esoterism as Principle and Way*, (Kent, U.K., 1981)

Schuon, Frithjof, *Gnosis — Divine Wisdom*, (Middlesex, U.K., 1959)

Schuon, Frithjof, *Logic and Transcendence*, (London, 1975)

Schuon, Frithjof, *Roots of the Human Condition*, (Bloomington, Indiana 1990)

Schuon, Frithjof, *Spiritual Perspectives and Human Facts*, (Middlesex, U.K., 1987)

Smith, Huston, *The World's Religions*, (New York 1986)

Staveley, Lilian, *The Golden Fountain: On the Soul's Love for God*, (Bloomington, Indiana 1982)

Underhill, Evelyn, *Mysticism*, (London 1957)

Vaughn-Lee, Llewellyn, *The Paradoxes of Love*, (California, 1996)

Arthur Verslius, *The Mysteries of Love*, (Minn., USA, 1996)

The Way of a Pilgrim and The Pilgrim Continues his Way, trans. J.M.French (San Francisco 1991)

(B) (iv) (Secular) Modern Sources on Love in English and French:

Bell, Joseph Norment, *Love Theory in Later Hanbalite Islam*, (New York, 1979)

Boase, Roger, *The Origin and Meaning of Courtly Love*, (Manchester, U.K., 1977)

Campbell, Joseph, *The Hero with a Thousand Faces*, (London 1988)

D'Arcy, M.C., *The Mind and Heart of Love*, (London 1954)

Dawkins, Richard, *The Selfish Gene*, (London 1979)

Fisher, Helen E., *Anatomy of Love*, (New York 1992)

Freud, Sigmund, *On Sexuality: Three Essays on the History of Sexuality and Other Works* trans. James Strachey (London 1987)

Fromm, Erich, *The Art of Loving*, (New York 1956)

Girard, René, *Deceit, Desire and the Novel*, trans. Yvonne Freccero (London 1984)

Hazo, Robert G., *The Idea of Love* (New York 1967)

Menocal, Maria Rosa, *The Arabic Role in Medieval Literary History*, (Philadelphia 1990)

Morris, Desmond, *The Naked Ape*, (London 1967)

Nygren, Anders, *Agape and Eros*, trans. P.S.Walton (London 1953)

Parker, A.A., *The Philosophy of Love in Spanish Literature, 1480-1680*, (Edinburgh 1985)

Peck, Scott M., *The Road Less Travelled: A New Psychology of Love, Traditional Values and Spiritual Growth* (New York 1978)

Raglan, Lord Fitzroy, *The Hero*, (London 1936)

Solovyev, Vladimir, *The Meaning of Love*, (London 1945)

Singer, Irving, *The Nature of Love*, Volumes I-III, (Chicago 1984)

Wolf, Naomi, *The Beauty Myth*, (New York 1992)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ

وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ ۖ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾

وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾

غازي بن محمد بن طلال

ملاحظات:

الحب في القرآن الكريم

ملاحظات:



يطلب من:

Sales@loveinthequran.com

عمّان - الأردن

هاتف: ٠٠٩٦٢٧٧٧٤٦٧٧٦

فاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٥١٤٩٤٠

Hard copies available from:
www.loveinthequran.com

(A free 'soft copy' / PDF of this entire text is also
available at: www.altafsir.com.)

هذه الرسالة هي: "الأنفس في العقود، والأجل على الجيد، والأرسخ في القلب، والأقرب إلى الفكر، والأكمل في التأثير".

المفتي العام رئيس مجلس الإفتاء الأعلى في الجمهورية العربية السورية،
فضيلة الشيخ أ. د. أحمد بدر الدين حسون

"فيه ما يجب على العالم أن يسمعه وهو يتلقى القرآن، فأجاد وأفاد".

مفتي الديار المصرية، فضيلة الشيخ أ. د. علي جمعة

"أخرج للناس ما كان عازباً عن أفهامهم ... فقد أتيتم في مؤلفكم هذا بما لم يأت به أحداً من قبلكم".

مفتي عام سلطنة عُمان، معالي الشيخ أحمد بن حمد الخليلي

"رسالة لا مثيل لها في الماضي".

رئيس العلماء والمفتي العام في البوسنة والهرسك، فضيلة الشيخ د. مصطفى تسيريتش

لا سعادة من غير حب، لا في الدنيا ولا في الآخرة. فمن أراد أن يعرف أسرار الحب فعليه أن يغوص في هذا الكتاب، فإن مضمونه أهم موضوع في الكون من أعظم مصدر في الوجود، ألا وهو كتاب الله تعالى الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾

هذا الكتاب في الأصل رسالة الدكتوراة الثانية التي قدّمها الأستاذ الدكتور الأمير غازي بن محمد بن طلال لدرجة العالمية (الدكتوراة) في قسم الفلسفة في كلية أصول الدين في جامعة الأزهر الشريف بالقاهرة عام ٢٠٠٩م. وتاريخ ١٦/١/٢٠١٠م. نوقشت الرسالة ومنحت مرتبة الشرف الأولى. وكان مشرف هذه الرسالة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر أ. د. أحمد الطيب الذي كتب عنها: "رسالة متميزة، جديرة بالثناء والتقدير: منهجاً ومضموناً ولغة". ومن الجدير بالذكر أن الأمير غازي حصل قبل ذلك على الدكتوراة من جامعة كمبريدج في إنجلترا عام ١٩٩٣م، وكان موضوع رسالة الدكتوراة "ما هو الوقوع في الحب؟".

لمؤلف في سطور:

ولد صاحب السمو الملكي الأمير غازي بن محمد بن طلال في عمان في ١٥/١٠/١٩٦٦م، وهو ابن أخ المرحوم بإذن الله تعالى الملك الحسين بن طلال طيب الله ثراه. وقد حصل على درجة البكالوريوس من جامعة برنستون في أمريكا عام ١٩٨٨م بمرتبة أعلى الشرف، ثم حصل على درجة الدكتوراه من جامعة كمبريدج في إنجلترا سنة ١٩٩٣م.

(تابع تكملة سيرة المؤلف في الداخل داخل الغلاف)



(تكملة سيرة المؤلف)

وقد شغل سموه عدة مناصب منها: السكرتير الثقافي لجلالة الملك الحسين بن طلال طيب الله ثراه؛ والمستشار لشؤون العشائر لجلالة الملك الحسين بن طلال طيب الله ثراه؛ والمبعوث الشخصي والمستشار الخاص لجلالة الملك عبدالله الثاني ابن الحسين المعظم. وأسس الأمير غازي جامعة البلقاء التطبيقية سنة ١٩٩٦م؛ وكذلك أسس جامعة العلوم الإسلامية العالمية سنة ٢٠٠٧م؛ وأنشأ سموه مشروع التفسير الكبير (www.altafsir.com) وهو

أكبر مشروع لتفسير القرآن الكريم على الإنترنت، عام ٢٠٠١م. والأمير أيضاً رئيس مجلس أمناء مؤسسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامي؛ وهو صاحب الرسالة التاريخية "كلمة سواء بيننا وبينكم" في عام ٢٠٠٧م.

وقد تقلد عدة جوائز وأوسمة من الأردن ومن دول أخرى. وله عدة مؤلفات قيّمة منها كتاب "إجماع المسلمين على احترام مذاهب الدين" الذي قال عنه الإمام الأكبر شيخ الأزهر الراحل الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي: "إن هذا السفر الجليل هو خير مرجع لمن يريد أن يسير على الصراط المستقيم في قوله وفعله وفي سلوكه ونهجه".

الأمير غازي متزوج من د. الأميرة أريج (بنت معالي د. السيد عمر بن عبد المنعم الزواوي)، ولهما ثلاثة من الأولاد وهم: الأميرة تسنيم، والأمير عبد الله، والأميرة جنة، حفظهم الله تعالى.